

شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد

مختص
بمحدث أبو الفضل برهان

دار النشر: المكتبة الإسلامية
بيروت - لبنان - مصر

شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد



مؤسسة الفضل الإسلامي

الجزء الرابع عشر

مؤسسة اسماعيليان

للطباعة والنشر والتوزيع

قم إيران - تلفون ٢٥٢٣



مرکز تحقیقات کتب و میراث اسلامی

باب
الکتب و المراسل



مرکز تحقیقات کتاب و اسناد



مرکز تحقیقات کتاب و اسناد دیجیتال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الواحد العدل

الأصل :

باب المختار من كتب مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام ورسائله إلى أعدائه وأوليائه^(١)
بإلادته، ويدخل في ذلك ما اغتبر من عهدته إلى عماله ووصايائه ولأهلته وأصحابه



التبويب :

لما فرغ من إيراد المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام وكلامه الجارى تجزئ
الخطب من المواعظ والزواجر ، شرع في إيراد باب من مختار كلامه عليه السلام ، وهو
ما كان جارياً تجزئ الرسائل والكتب ، ويدخل في ذلك العهد والوصايا . وقد أورد
في هذا الباب ما هو بالباب الأول أشبه ، نحو كلامه عليه السلام لشرّيح القاضي لما اشترى
داراً ، وكلامه لشرّيح بن هاني لما جعله على مقدمته إلى الشام .
وسمى ما يكتب للولاية عهداً اشتقاقاً من قولهم : عهدت إلى فلان ، أى أوصيته .

الأصل :

من كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة قدم مسيره من المدينة إلى البصرة :

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ ، جَبْهَةَ الْأَنْصَارِ وَسَنَامِ الْعَرَبِ .
أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنِّي أَخِيرُكُمْ عَنْ أَمْرِ عُمَانَ حَتَّى يَكُونَ سَمْعُهُ كَعْيَانِهِ .
إِنَّ النَّاسَ طَلَعُوا عَلَيْهِ ، فَكَانَتْ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أَكْثَرُ اسْتِعْتَابِهِ . وَأَقْلُ^(١)
عِتَابِهِ ، وَكَانَ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرُ أَهْوَى سَبْرَهَا فِيهِ الْوَجِيفُ ، وَأَرْفَقُ حِدَائِسَهَا الْعَنِيفُ . وَكَانَ
مِنْ عَائِشَةٍ فِيهِ فَلَتَةٌ غَضَبٍ ، فَأَنْبِغَ لَهُ قَوْمٌ قَتَلُوهُ ، وَبَاقِي النَّاسُ غَيْرَ مُسْتَكْرِهِينَ ،
وَلَا مُجْبَرِينَ ، بَلْ طَائِعِينَ مُخْبِرِينَ .
وَأَعْلَمُوا أَنَّ دَارَ الْهَجْرَةِ قَدْ قَلَّتْ بِأَهْلِهَا وَقَلَعُوا بِهَا ، وَجَاسَتْ جَيْشَ الْعِرَاقِ ،
وَقَامَتِ الْفِتْنَةُ عَلَى الْقَطْرِ ، فَأَمَرُوا إِلَى أَمِيرِكُمْ ، وَبَادَرُوا جِهَادَ عَدُوِّكُمْ .
إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

الشرح :

قوله : « جبهة الأنصار » ؛ يمكن أن يريد جماعة الأنصار ، فإن الجبهة في اللغة الجماعة ،
ويمكن أن يريد به سادة الأنصار وأشرافهم ، لأن جبهة الإنسان أعلى أعضائه ، وليس
يريد بالأنصار هاهنا بنى قبيلة^(٢) ، بل الأنصار هاهنا الأعوان .

(١) مخطوطة التهج : « فأقل » . (٢) هي قبلة أم الأوس والخزرج .

قوله عليه السلام : « وسنام العرب » ؛ أى أهل الرفعة والعلو منهم ، لأن السنام أعلى أعضاء البعير .

قوله عليه السلام : « أكثر استعتابه وأقل عتابه » ، الاستعتاب : طلب الثبتي ، وهو الرضا ، قال : كنت أكثر طلب رضا ، وأقل عتابه وتضييفه على الأمور ، وأما طلحة والزبير فكانا شديدين عليه .

والوجيف : سير سريع ، وهذا مثل المشمرين^(١) في الطعن عليه ، حتى إن السير السريع أبطأ ما يسيران في أمره ، والجداء العنيف أرفق ما يحرمضان به عليه .
ودار الهجرة : المدينة .

وقوله : « قد قلت بأهلها وقلدوا بها » ، الباء هاهنا زائدة في أحد الموضعين ، وهو الأول ، ويعنى « من » في الثانى ، يقول : فارت أهلها وفارقوها ، ومنه قولهم : « هذا منزل قلعة » أى ليس بمستوطن .

مركزية كبرى

وجاشت : اضطربت . والمرجل : القدر .

ومن لطيف الكلام قوله عليه السلام : « فكنت رجلاً من المهاجرين » ، فإن في ذلك من التخلص والتبرئ مالا يخفى على التأمل ، ألا ترى أنه لم يبق عليه في ذلك حجة لطاعن ، حيث كان قد جعل نفسه كواحد من عرض المهاجرين ، الذين بنفوسهم يسير منهم انمقدت خلافة أبى بكر ، وهم أهل الحل والعقد ، وإنما كان الإجماع حجة لدخولهم فيه .
ومن لطيف الكلام أيضاً قوله : « فأتبع له قوم قتله » ، ولم يقل : « أتباع الله له قوما » ، ولا قال : « أتباع له الشيطان قوماً » ، وجعل الأمر مبهماً .

وقد ذكر أن خط الرضى رحمه الله « مستكبرين » بكسر الراء ، والفتح أحسن وأصوب ، وإن كان قد جاء : استكبرهت الشيء بمعنى كرهته .

(١) : « وهذا مثل في العرب للمشرق في العائن عليه » .

وقال الراوندى : المراد بدار الهجرة هاهنا الكوفة التى هاجر أمير المؤمنين عليه السلام إليها ، وليس بصحيح ، بل المراد المدينة ، وسياق الكلام يقتضى ذلك ، ولأنه كان حين كتب هذا الكتاب إلى أهل الكوفة بعيداً عنهم ، فكيف يكتب إليهم يخبرهم عن أنفسهم .

[أخبار علىّ عند مسيره إلى البصرة ، ورسله إلى أهل الكوفة]

وروى محمد بن إسحاق عن عمه عبد الرحمن بن يسار القرشى ، قال : لما نزل علىّ عليه السلام الرّبعة متوجّهاً إلى البصرة بعث إلى الكوفة محمد بن جعفر بن أبى طالب ومحمد بن أبى بكر الصديق ، وكتب إليهم هذا الكتاب ، وزاد فى آخره :

غسبى بكم إخواناً ، وللهدين أنصاراً ، فى ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ^(١) .

وروى أبو مخنف ، قال : حدثنى الصّنعبي ، قال : سمعتُ عبد الله بن جُنادة يحدث أن علياً عليه السلام لما نزل الرّبعة بعث هاشم بن عتبة بن أبى وقاص إلى أبى موسى الأشعرى ، وهو الأمير يومئذ على الكوفة ، لينفّر إليه الناس ، وكتب إليه معه :

من عبد الله على أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس . أما بعد ، فإننى قد بعثت إليك هاشم بن عتبة لتُشخّص إلى مَنْ قَبْلَكَ من المسلمين ليتوجّهوا إلى قوم نكثوا بيعتى ، وقتلوا شيعتى ، وأحدتوا فى الإسلام هذا الحدث العظيم ، فاشخّص بالناس إلىّ معه حين يقدم عليك ، فإننى لم أولئك المضر الذى أنت فيه ، ولم أفرّك عليه إلا لتسكون من أهوائى على الحق ، وأنصارى على هذا الأمر ، والسلام .

فأما رواية محمد بن إسحاق فإنه قال : لما قدم محمد بن جعفر ومحمد بن أبي بكر الكوفة ، استنقرا^(١) الناس ، فدخل قوم منهم على أبي موسى ليلاً ، فقالوا له : أشير علينا برأيك في الخروج مع هذين الرجلين إلى علي عليه السلام ، فقال : أما سبيل الآخرة فالزموا بيوتكم ، وأما سبيل الدنيا فاشخصوا معها . فنعى بذلك أهل الكوفة من الخروج . وبلغ ذلك الحمدين ، فأغلظا لأبي موسى ، فقال أبو موسى : والله إن بيعة عثمان لفي حق علي وعنتي وأعناقكم ، ولو أردنا قتالاً ما كنا لنبدأ بأحدٍ قبل قتلة عثمان . فخرجوا من عنده ، فلحقا بعلي عليه السلام ، فأخبراه الخبر .

وأما رواية أبي مخنف ؛ فإنه قال : إن هاشم بن عتبة لما قدم الكوفة ، دعا أبا موسى السائب بن مالك الأشعري ، فاستشاره ، فقال : اتبع ما كتب به إليك . فإني ذلك ، وحبس الكتاب ، وبعث إلى هاشم يتوعدده ويخوفه . قال السائب : فأتيت هاشماً فآخبرته برأي أبي موسى ، فكتب إلى علي عليه السلام :

لعبد الله على أمير المؤمنين من هاشم بن عتبة . أما بعد ؛ يا أمير المؤمنين ؛ فإني قدمت بكتابك على أمرئ مشاق بعيد الوؤد ، ظاهر الغل والشنآن ، تهددني بالسجن ، وخوفني بالقتل ، وقد كتبت إليك هذا الكتاب مع الحل بن خليفة ، أخي طيئ ، وهو من شيعةك وأنصارك ، وعنده علم ما قبلنا ، فاسأله عما بدا لك ، واكتب إلى رأيك والسلام . قال : فلما قدم الحل بكتاب هاشم على علي عليه السلام سلم عليه ، ثم قال : الحمد لله الذي أدي الحق إلى أهله ، ووضعه موضعه ؛ فذكر ذلك قوم قد والله كرهوا نبوة محمد صلى الله عليه وآله ، ثم بارزوه وجاهدوه ، فرد الله عليهم كيدهم في نحورهم ، وجعل دائرة السوء عليهم . والله يا أمير المؤمنين لنجاهدتهم معك في كل موطن ؛ حفظاً لرسول الله صلى الله عليه وآله في أهل بيته ، إذ صاروا أعداء لهم بعده .

فرحبت به علي عليه السلام ، وقال له حبر ، ثم أجبه إلى جوابه ، وقرأ كتاب هاشم ،
وسأله عن الناس وعن أبي موسى ، فقال : والله يا أمير المؤمنين ، ما أثنى به ولا آمنه على
خلافك ، إن وحد من يساعده على ذلك . فقال علي عليه السلام : والله ما كان عندي
بمؤمن ولا بامسح ، ولقد أردت غرله فتدنى لأشتر ، فدأبني أن أقره ، وذكر أن أهل
الكوفة به راضون وأقرره

وروى أبو مخنف ، عن : وحدث علي عليه السلام من الرتبة بعد وصول الخلف من
حدة ، (أحس طي) ، عند الله بن عباس ومحمد بن أبي بكر إلى أبي موسى : وكتب معهما .
من عند الله على أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس ، أما بعد فإن الخائف ، يا عباس
أثر أبيه ، فوالله إني كنت لأرى أن تُمدك من هذا الأمر الذي لم يجعلك الله له أهلاً ،
ولا جعل لك فيه نصيباً ، سببك من رد أمرى ولا تراء (٢) علي ، وقد بعثت إليك ابن
عباس وابن أبي بكر الخائفا والمتمرد وهما ، واعتزل عسا مدهوما مدحوراً . فإن فعلت
وإلا فإني قد أمرتهما أن يمانداك على سواء ، إن الله لا يهدي كيد الخائفين . فإذا
ظهر عليك قطامك إزناً برئاً ، والسلام ، على من شكر المعصية ، ووفى بالبيعة ، وعمل
رحاء العادة

قال أبو مخنف : فتأبط ابن عباس و ابن أبي بكر عن علي عليه السلام ، ولم يدبر
ما صنعوا ، رحل عن الرتبة إلى ذي قار فبرها ، فتأبط ابن دا قار ، بعث إلى الكوفة الحسن
الله عليه السلام ، وعمار بن ياسر ورشد بن صوحان ، وقيس بن سعد بن شادة ، ومعهم
كتاب إلى أهل الكوفة . فأقبلوا حتى كانوا بالقادسية ، فلقاهم الناس ، فلما دخلوا
الكوفة قرءوا كتاب علي ، وهو :

من عند الله على أمير المؤمنين ، إلى من بالكوفة من المسلمين .

أما بعد ؛ فإني خرجت محرري هذا ، وإنا مطلوباء ، وإما باعيا ، وإما مبيعاً
على ، فأشد الله رجلاً بلمعه كتابي هذا إلا مرفئاً ، فإن كنت مطلوباً أعاني ، وإن كنت
طالماً استعثنى . والسلام .

قال : أبو محمد : حدثني موسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبيه ، قال : أقبلنا
مع الحسن وعمار بن ياسر من ذي قار . حتى نزلنا القادسية ، فرحل الحسن وعمار ، وزلنا
معهما ، فاحتجبت عماراً بحمايل سيفه ، ثم حمل سأل الناس عن أهل الكوفة وعن حاكم ،
ثم سمعته يقول : ما تركت في نفسي حرة أهلاً من آل أسكون بشا عثم من قديد ،
ثم أحرقاه بالنار .

قال : قلت : دخل الحسن وعمار الكوفة ، اعتمد عليهما الناس ، فقام حسن ، فاستمر
الناس ، بحمد الله وصلى على رسوله ، ثم قال **أيها الخليل** ، إنا حشنا ندعوكم إلى الله وإلى
كتابه وسنة رسوله ، وإلى أخيه من بعثه من سبي ، وأعقل من نذلول ، وأفضل من
مضنون ، وأوفى من مابون ، من لم يهتد إلى الله ، ولم يهتد إلى سنة ، ولم يهتد به الساعة ،
إلى من قرنه الله تعالى إلى ^(١) رسوله فرائس قرنة الدين وقرابة الرقيم ، إلى من سق الناس إلى
كل مأثرة ، إلى من كفى الله به رسوله والناس متجدلون ؛ ففرب منه وهم متفاعدون ، وصلى
معه وهم مشركون ، وقتل معه وهم مهيمون ، وصرر معه وهم محجيمون ، وصدقته وهم
يكذبون . إلى من لم ترد له رواية ولا تكافئه سافعة ، وهو به لكم التصر ، ويدعوكم إلى
الحق ، وينسركم المسير إليه ، لتوارروه وتمسروه على قوم سكتوا بيعة ، وقتلوا أهل
الصلاح من أصحابه ، ومثلوا أماله ، واسهبوا بيت ماله فاشحصوا إليه رحمكم الله ، فمروا
بالمعروف وأنهوا عن المنكر ، واحضروا بما يحصر به الصالحون ^(٢) .

قال أبو محمد : حدثني جابر بن يزيد ، عن حدثي تميم بن حذيم السحبي ، قال : قدم علينا

الحسن بن علي عليه السلام وعمر بن ياسر، يستمران الناس إلى علي عليه السلام، ومعهم ما
 كتبه، فصار عامن قراءه كتابه، فام الحسن وهو قتي حدث، والله إني لأرثي له من حداثة سنه
 وصعوبة مقامه - فرماه الناس أنصارهم وهم يقولون : اللهم سدد منطق ابن بنت نبينا ! فوضع
 يده على عمود يتسابق إليه، وكان عيلا من شكوى به، فقال : الحمد لله العرير الجبار، الواحد
 القهار، الكبير السعال، ﴿سواءكم من أسر لقول ومن سحر به ومن هو مستخبر
 بالليل وسار بالهار﴾. أخذته على حسن اعتلاء، وتظاهر السماء، وعلى ما أحسبها وكرها
 من شدة ورعائه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله،
 آمين عليهما وسوته، واحتضنه برأسه، ورثر عليه وحينه، واصطناه على جميع حناقه،
 وأرسله إلى الإبرس والحق، حين عيذت الأوثان وأطبع الشيطان، وخجده الرحمن، وصلى
 الله عليه وعلى آله وحراء أفضل ما جرى المسلمين. أما بعد فإني لأقول لكم ألا
 ما تعرفون، إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - أرشده الله أمره، وأمره حقه - مني
 إليكم يدعوكم إلى الصواب، وإلى العمل بكتابه، والجهاد في سبيل الله، وإن كان في
 عاجل ذلك ما تكرهون، فإن في آخيه ما تحبون إن شاء الله. وقد علمت أن علياً صلى مع
 رسول الله صلى الله عليه وآله وحده، وأنه يوم صدق به في عشرة من سنه، ثم شهد مع
 رسول الله صلى الله عليه وآله جميع مشاهدته. وكان من اجتهاده في مرصاة الله وطاعة رسوله
 وآثاره الحسنة في الإسلام ما قد بلغكم، ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله راصياً عنه،
 حتى غمضه بيده وغسله وحده، والملائكة أعوانه، والفصل اس عمة ينقل إليه الماء،
 ثم أدخله حمرته، وأوصاه بقضاء دينه وعيذته، وغير ذلك من أموره، كل ذلك من من
 الله عليه. ثم والله ما دعا إلى نفسه، ولقد تدنى الناس عنده تدانك الإبل الهيم عند ورودها،
 فبأبعوه طائعين، ثم سكث منهم ما كثون بلا حدث أحدثه، ولا خلاف أناه، حسداً
 له ونعيًا عليه. فطعكم عباد الله بتقوى الله وطاعته، والجد والصبر والاستعانة بالله،

والخوف إلى مددكم إليه أمير المؤمنين ، عَصَمَ اللَّهُ وَيَدَّكُمْ عَمَّا عَصَمَ بِهِ أَوْلِيَاءَهُ وَأَهْلَ طَاعَتِهِ ، وَالْهَمَّاءُ يَتَأَكَّمُ تَقْوَاهُ ، وَأَعَانَاوِيَّاتُكُمْ عَلَى جِهَادِ عَدَائِهِ . وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ .
ثُمَّ مَضَى إِلَى الرَّحْصَةِ فَهَيَّأَ مِرْزَا لِأَيِّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ .

قال جابر : فقلت لنعيم : كيف أطلق هذا العلام ما قد قصصته من كلامه ؟ فقال : ولما سقط غيٌّ من قوله أكثر ، ولقد حفظت بعض ما سمعت .

قال : ولما رل على عبيد السلام ذا قدير ، كتبت عشة إلى حفصة بنت عمر . أمّا بعد ، وبني أحبك أن علماً قد رل داعياً ، وأقام بها مرغوباً حاشاً ما نعه من عُدَسَا وَحَاشَاتِنَا ، فهو بمنزلة الأشقر : إن تقدم عُقَيْرٌ ، وإن تأخر نُجُورٌ ، فدعت حفصة حواري لها يتعسّن ويصر من باللهوف ، فأمرتهن أن يقسن على عُدَسَيْنِ : ما أخبر ما الخبر ، على في السفر ، كاهرس الأشقر ، إن تقدم سُيُورٌ ، وإن تأخر نُجُورٌ .

وحملت بنت الطعناء يدحن على حفصة ، ويعتد من لسمع ذلك الماء .

فبع أمّ كلثوم بنت علي عليه السلام ، فندست حلايبها ، ودعت عبيهن في سورة متكررات ، ثم أسفرت عن وجهها ، فمأ عرفت حفصة حجت ، واسترحمت ، فقالت أم كلثوم : لئن تظاهرتما عليه منذ اليوم ، لقد تظاهرتما على أخيه من قبل ، فأرسل الله فيكما ما أرسل !

فقلت حفصة : كفى رحمت الله ، وأمرت بكتاب هرق ، واستغفرت الله .

قال أبو محمد : روى هذا حرير بن يزيد ، عن الحكم ، ورواه الحسن بن دينار ، عن الحسن البصري .

وذكر الواقدي مثل ذلك ، وذكر المدائني أيضاً مثله ، قال : فقال سهل بن حنيف في ذلك هذه الأشعار :

عَدَرْنَا الرِّحَالَ بِحَرْبِ الرِّجَالِ فَا لَسَاءَ وَمَا لِلثَّغَابِ !
 أَمَا حَسْبُ مَا أَتَيْنَا بِهِ ؟ لَكَ الْخَيْرُ مِنْ هُنَّكَ ذَلِكَ الْخِجَابِ
 وَمَحْرَجُهَا الْيَوْمَ مِنْ بَيْنِهِمَا يَعْرِفُهَا الذَّنْبُ مَتَى الْكِلاَبِ
 إِلَى أَنْ أَتَانَا كِتَابُ الْمَلِكِ مَشُومٌ ، فَيَقْنَحُ دَاكِ الْكِتَابِ !

قال : فحدثنا الكلبي ، عن أبي صالح أن عياضاً عليه السلام : لما رل داقار في قلعه من
 عسكره ، صعد الزبير منبر البصرة ، فقال : ألا أتب فارس أسيرهم إلى علي ، فأبىته
 بيانا ، وأصغعه صباحا ، قبل أن يأتيه المدد . ثم بعثه أحداً ، فدخل واحداً ، وقال : هذه والله
 الفتنة التي كنّا نحدث بها . فقال له بعض مواليه : رحمتك الله يا أبا عبد الله ! تسبها فتنة
 ثم تقابل فيها ! فقال : ويحك ! والله ! إن تسبهم ثم لا نصبر . فاسترجع المولى ثم خرج في
 الليل فاراً إلى علي عليه السلام ، فحبره بعض : اللهم عليك به !



قال أبو مخنف : ولما فرغ الحسن من علي عليه السلام من خطبته ، قام بعده عمار ،
 حميد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله ، ثم قال : أيها الناس ، أحو بينكم وابن عمه
 يستنفركم لنصر دين الله ، وقد بلاك الله بحق دينكم ، وحرمة أمكم ، لحق دينكم أوجب ،
 وحرمة أعظم . أيها الناس ، عليكم بإمام لا يؤذّب ، وفقه لا يعظم ، وصاحب بأس لا يتكبل ،
 وذو سابقة في الإسلام ليست لأحد ، وإنسكم لو قد حصرتموه بين لكم أمركم
 إن شاء الله .

قال : فما سمع أبو موسى حطبة الحسن وعمار ، قام فصعد المنبر ، وقال : الحمد لله
 الذي أكرمنا بمحمد ، فجمعنا بعد العرق ، وحملنا إخواناً متعاضدين بعد العداوة ، وحرم
 علينا دماءنا وأموالنا ، قال الله سبحانه : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾ ^(١) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَحَرَّاهُ حَرِّمُ حَالِدًا فِيهَا ﴾ ^(١) . فاتقوا الله عباد الله ، وضعوا أسلحتكم ، وكفوا عن قتل إخوانكم .

أما سد يأهل الكوفة ، إن تطيعوا الله باديًا ، وتطيعوني ثانيا ، تكونوا حرثومة من جرائيم العرب ، يأوي إليكم المصطر ، ويمن فيكم الخائف . إن عليا إنما يستنفركم لحصاد أمتكم عائشة وطلحة والزبير حوارى رسول الله ومن معهم من المسلمين ، وأما أعلم بهذه العتق أنها إذا أقبلت شئت ، وإذا أدبرت أسفرت ، إني أخاف عليكم أن يلتقى عازان منكم فيقتلوا ثم يتركوا كالأحلاس المنفة سجوة من الأرض ، ثم يبقى رخرحة ^(٢) من الناس ، لا يأمرؤن المعروف ، ولا يهون عن مكر . إنها قد جاءكم فتنة كافرة لا يدري من أين توفى ! تترك الخليم حيران ! كأنى أسمع رسول الله صلى الله عليه وآله بالأمس يذكر العتق ، فيقول : « أنت فيها بأمر خير منك فاعدا ، وأنت فيها حالاً خير منك قائماً ، وأنت فيها قائماً خير منك ساعياً » . فنفوا سوءكم وانصباوا ^(٣) وقصموا رماحكم ، سهاكم ، وقطعوا أوتاركم ، وحسوا قرين ترتق فتقها ، وترأت صدعها ، فإن فعلت فلا نفسها ما فعلت ، وإن أنت فعلت أفسدتها ما جئت ، سمها في أدينها . استصحبوني ولا تستمشوني ، وأطيعوني ولا تعصوني ، يسبى لكم رشدكم ، ويصلى هذه الفتنة من حناها .

فقام إليه عمار بن ياسر ، فقال : أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ذلك ! قال : نعم هذه يدي عما قلت ، فقال : إن كنت صادقاً فأعنا عما عفاك بذلك وحدك ، واتحد عليك الحجة ، فالزم بينك ولا تدخلن في الفتنة ، أما إنى أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وآله أمر علياً بقتال الناكثين ، وسمى له فيهم من سبى ، وأمره بقتال القاسطين ، وإن شئت لأقيم لك سهوداً يشهدون أن رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) سورة النساء ٩٣ (٢) الرحرجه : الفتنة ، وأصله في الماء .

(٣) أنصل السهم : أزال عنه النصل .

أَتَمَّ نَهَاكَ وَحَدَّثَكَ ، وَحَدَّثَكَ مِنْ السَّخُولِ فِي الْفَتْنَةِ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَعْطَى يَدَكَ عَلَى مَا سَمِعْتَ ، فَقَدْ إِلَيْهِ يَدُهُ ، فَقَالَ لَهُ عَمَّارٌ : غِبْ اللَّهُ مَنْ عَالَمُهُ وَجَاهِدُهُ ! ثُمَّ جَذَمَهُ فَبَرَلَ عَنْ الْمَنْبَرِ .

وَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ فِي " التَّارِيخِ " قَالَ : لَمَّا أَتَى عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ الْحَرُّ وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ بِأَمْرِ عَائِشَةَ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ ، وَتَتَمُّ قَدْ تَوَجَّهُوا نَحْوَ الْعِرَاقِ ، خَرَجَ يُبَادِرُ^(١) ، وَهُوَ يَرْجُو أَنْ يَدْرِكَهُمْ وَيَرْدِّعَهُمْ ، فَمَتَا ، فَتَنَّهُمْ إِلَى الرَّبْذَةِ أَتَاهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَدْ أَمْعَنُوا ، فَأَقَامَ بِالرَّبْذَةِ أَيَّامًا ، وَأَمَّا عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يَرِيدُونَ النَّصْرَةَ ، فَسُرَّ بِذَلِكَ ، وَقَالَ : إِنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ أَشَدُّ لِي حُبًّا ، وَفِيهِمْ رُؤَسَاءُ الْعَرَبِ وَأَعْلَامُهُمْ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ : إِنِّي قَدْ احْتَرَسْتُكُمْ عَلَى الْأُمُصَارِ ، وَإِنِّي بِالْأَثَرِ^(٢) .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : كَتَبَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الرَّبْذَةِ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي قَدْ اخْتَرْتُكُمْ ، وَآثَرْتُ الْبُرُوقَ بَيْنَ أَطْهَرِكُمْ ، لَمَّا أَعْرَفَ مِنْ مَوَدَّتِكُمْ وَحُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، فَمَنْ جَاءَنِي وَبَصُرَنِي فَقَدْ أَحَابَ الْخَلْقَ ، وَفَعَلِي الَّذِي عَلَيْهِ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : فَبَوَّلَ مَنْ بَعَثَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الرَّبْذَةِ إِلَى الْكُوفَةِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، فَجَاءَ أَهْلَ الْكُوفَةِ إِلَى أَبِي مُوسَى ، وَهُوَ الْأَمِيرُ عَلَيْهِمْ لِيَسْتَشِيرُوهُ^(٣) فِي الْخُرُوجِ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ لَهُمْ : أَمَّا سَبِيلُ الْآخِرَةِ فَإِنْ تَفَعَّلُوا وَأَمَّا سَبِيلُ الدُّنْيَا فَإِنْ تَخَرَّجُوا .

وَمَلَعَ الْحَمْدَيْنِ قَوْلُ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ، فَتَنِيَهُ وَأَعْلَطَاهُ ، فَأَعْلَظَ لَهَا ، وَقَالَ :

لا يحل لك القتال مع علي حتى لا يبقى أحد من قبة عثمان إلا قتل حيث كان .
وقالت أخت علي بن عدى ، من بني عبد لغزى بن عبد شمس ، وكان أخواها علي
ابن عدى من شيعة علي عليه السلام ، وفي جملة عسكره :

لَا مَ فَاغِيرَ عَلِيَّ تَحَلَّهْ وَلَا تَارِكْ فِي بَيْرِ تَحَلَّهْ

• أَلَا عَلِيٌّ بَنُ عَدِيٍّ لَيْسَ لَهُ ^(١) •

قال أبو جعفر : ثم أجمع علي عليه السلام عن مسير من الرعدة إلى البصرة ، فقام إليه
رطاعة بن رافع ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أية شيء تريد ؟ وأين تذهب بنا ؟ قال :
أما الذي تريد وسوى في صلاح ؛ إن قبلوا منا وأسلموا إليه ، قال : فإن لم يقبلوا ، قال :
مدعوهم ومنعهم من الحق ما أرجو أن يرصوا ^(٢) ، قال فإن لم يرصوا ، قال : مدعوهم
ما تركونا : قال : فإن لم يتركونا ، قال : نمنع منهم ، قال : فمن إذا .
وقام المحتاج بن عريئة الأنصاري ، فقال : والله يا أمير المؤمنين لأرصيتك بالفعل ،
كما أرضيتني منذ اليوم بالقول . ثم قال :

دَرَاكِهَا دَرَاكِهَا قَبْلَ الْعَوْتِ وَامْرُؤٌ بَنَّا وَاسْمُ يَبَا حَوَّ الصَّوْتِ

• لَا وَاللَّهِ مَسَىٰ إِنْ خَفَتِ التَّوْتُ •

والله لتنصرن الله عز وجل كما سمانا أصارا .

قال أبو جعفر رحمه الله : وسار علي عليه السلام نحو البصرة ، ورايته مع ابنه محمد
ابن الحنفية ، وعلى يمينته عبد الله بن عباس ، وعلى يسارته هجر بن أبي سبرة ، وعلي
عليه السلام في القلب علي ناقة حمراء ، بقود فرساً كميثاً ^(٣) . فتلقاه يعقيد غلام من

(١) تاريخ الطبري ١ : ٣١٣٩ ، مع تصرف واحتمار .

(٢) الطبري : د ومنعهم الحق ومنعهم .

(٣) الكميث من الخيل . الذي حائط حزنه قنوه ؛ أي سواد غير حلس .

بنو سعد بن ثعلبة ، يدعى مُرَّة ، فقال : مَنْ هؤلاء ؟ قيل : هذا أمير المؤمنين ، فقال :
 سفرَةٌ قانية ، فيها دماء من نفوس قانية . فسمعها على عليه السلام فدعاه ، فقال : ما اسمك ؟
 قال : مُرَّة ، قال : أمر الله عيشك ! أكاهن ساثر اليوم ؟ قال : بل عائف ، فخلني صبيته . ويزل بفئيد
 فأتته أسدٌ وطبي ، فحرصوا عليه أنفسهم ، فقال : الزموا قراركم ، ففى المهاجرين كفاية .
 وقدم رجلٌ من الكوفة قديماً ، فأتى علياً عليه السلام ، فقال له : من الرجل ؟
 قال : عامر بن مطرف ، قال : الليثي ؟ قال : الشيباني ، قال : أحرزني عما وراءك ؟ قال :
 إن أردت الصلح فأبو موسى صاحبك ، وإن أردت القتال فأبو موسى ليس لك نصاحب .
 فقال عليه السلام : ما أريد إلا الصلح إلا أن يُرد علياً^(١)

قال أبو حمزة : وقدم عليه عثمان بن حبيب ، وقد تنف طلعه والزبير شعر رأسه
 ولحيته وحاجتيه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، عشتني إذا لحيته ، وحنثك أمر د ، فقال : أصمت
 حبراً وأجراً . ثم قال : أيها الناس ، إن طلحة والزبير إسماني ، ثم كثناني بيعتي ، وأنا
 على الناس ، ومن العجب أقيادهم لأبي بكر وعمر وحلافهما علي ، والله إنهما ليعلمان
 أني لست بدوسهما^(٢) . اللهم فاحلل ما عقدنا ، ولا تبرم ما أحكما في أنفسها ، وأرهما المساة
 فيما قد عملا^(٣) .

قال أبو حمزة . وعاد محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر إلى علي عليه السلام ، فلقياه
 وقد انتهى إلى دى قار ، فأخبراه الخبر ، فقال علي عليه السلام لعبد الله بن العباس :
 اذهب أمت إلى الكوفة ، فادعُ أبا موسى إلى الطاعة ، وحدِّره من العصيان والخلاف ،
 واستنفر الناس . فذهب عبد الله بن عباس حتى قدم الكوفة ، فلقى أبا موسى ، واجتمع
 الرؤساء من أهل الكوفة فقام أبو موسى فخطبهم ، وقال : إن أصحاب رسول الله صلى الله
 عليه وسلم محبوبوه في مواطن كثيرة ، فهم أعلم بالله ممن لم يصحبوه ، وإن لكم علي حقاً ،

(١) تاريخ الطبري ١ : ٣١٤١ - ٣١٤٣ (٢) الطبري : « بدون رجل » .

(٣) تاريخ الطبري ١ : ٣١٤٣ ، ٣١٤٤ .

وأما مؤذيه إليكم ، أمر ألا تتحفوا بسلطان الله ، وألا تحذروا [على الله] وأن تأخذوا كل من قدم عليكم من أهل المدينة في هذا الأمر ، فتردوه إلى المدينة ، حتى تحتجع الأمة على إمام ترصي به ؛ إنها فتنة صماء ، النائم فيها خير من اليقظان ، واليقظان خير من القاعد ، والقاعد خير من القائم ، والقائم خير من الراكب ، فكونوا حُرثومة من حراثيم العرب ، أعمدوا سيوفكم ، وأصلوا أسنكم ، واقصعوا أوتار قسيكم ، حتى يلتئم هذا الأمر ، وتنجلي هذه الفتنة .

قال أبو جعفر رحمه الله : فرجع ابن عباس إلى عترة عليه السلام ، فأخبره ، فدعا الحسن^(١) الله عليه السلام وعمار بن ياسر ، وأرسلهما إلى الكوفة ، فمعا قدماها كان أول من اتاها مسروق بن الأجدع ، فسلم عليهما ، وأقبل على عترة ، فقال : يا أماه اليقظان ، علام قتلتم أمير المؤمنين ؟ قال : على شتم أعراسنا ، وضرب أبنائنا ، فوالله ما عاقبتم مثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لكان خيرا للعيرين . ثم خرج أبو موسى فلقى الحسن عليه السلام فقصه إياه ، وقال لعمار : يا أماه اليقظان ، أعدوت بيمن^(٢) عداء على أمير المؤمنين^(١) ، وأحلت نفسك مع الفجار ؟ قال : لم أفعل ، ولم تشؤني ؟ فقطع عليهما الحسن ، وقال لأبي موسى : يا أبا موسى ، لم تثبط الناس عنا ، فوالله ما أردنا إلا الإصلاح ، وما مثل أمير المؤمنين يحاف على شيء ، قال أبو موسى : صدقت ناني وأمي ! ولكن المشتار مؤتمن ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « ستكوف فتنة^(٣) » .. وذكر تمام الحديث . فعصب عمار وساء ذلك ، وقال : أيها الناس ، إنما قال رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك له خاصة ، وقام رجل من بني تميم فقال لعمار : اسكت أيها العبد أنت أمس مع الوعاء ، وتسافه أميرنا اليوم ! وثار ريد بن صوحان وطبقته ، « تنصروا لعمار ، وجعل أبو موسى يكف الناس ويردعهم عن الفتنة . ثم انطلق حتى صعد المنبر ، وأقبل ريد بن صوحان ومعه كتاب من عائشة إليه خاصة ، وكتاب منها إلى أهل الكوفة عامة ، تثبطهم عن نصرة

(١) البصري : « أعدوت بيمن عداء » (٢) خبة الحديث : « القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الراكب والمشي والمشي خير من الراكب » .

على ، وتأمروهم بلزوم الأرض ، وقال : أيها الناس ، اطروا إلى هذه ، أمرت أن تقرّ في بيتها ، وأمرنا نحن أن نقاتل ، حتى لا تكون فتنة ، فأمرتنا بما أمرت به ، وركبت ما أمرنا به ، فقام إليه شبيب بن ربيعة فقال له : وما أنت وذاك أيها العاهل الأحمق ! سرقت أمس تحمولا ، فطمعت الله ، ونست أم المؤمنين ! فقام زيد ، وشال يده المقطوعة وأوما بيده إلى أبي موسى وهو على المنبر ، وقال له : يا عبد الله بن قيس ، أترد الفرات عن أمواجه ! دغ عليك ما ليست تدري ، ثم قرأ : ﴿ أَلَمْ أَحْيِ النَّاسُ أَنْ يُتَزَكَّوْا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا ... ﴾ ^(١) الآيةين ، ثم نادى : سيروا إلى أمير المؤمنين وصراط سيد المرسلين ، واهيروا إليه أحمين . وقام الحسن بن علي عليه السلام ، فقال : أيها الناس ، أجيئوا دعوة إمامكم ، وسيروا إلى إخوانكم ، فإني هيرج هذا الأمر من ينصر إليه ، والله لأن يليه أولو النهى أمثل في العاحلة ، وحير في العاقبة فاحيئوا دعوتنا ، وأعيوننا على أمرنا : أصلحكم الله !

وقام عبد حير فقال : يا أبا موسى ، أحييني من هذين الرجلين ، ألم يبايعا عليا ! قال : بلى ، قال : أفأحدث علي حدثا يحل به نفس ييمته . قال : لا أدري ، قال : لا أدري ولا أنت ! إذا كنت لا تدري فنحن تاركوك حتى تدري . أحييني . هل تعلم أحدا خارحا عن هذه العرق الأربع : علي بن أبي طالب الكوفة ، وطليحة والريير بالبصرة ، ومعاوية بالشام ، وفرقة رابعة بالحجاز قعود لا يحبيهم قومه ، ولا يقاتلهم عدو ! فقال أبو موسى : أولئك خير الناس ، قال عبد خير : اسكت يا أبا موسى ، فقد علمت عليك عشك ^(٢) .

قال أبو جعفر : وأنت الأخبار عليا عليه السلام باختلاف الناس بالكوفة ، فقال للأشتر : أنت شفعت في أبي موسى أن أفرّه على الكوفة ، فإذهب فأصلح ما أفسدت ،

(١) سورة المكبوت ١ - ٣ (٢) تاريخ حمري ١ : ٣١٤٦ - ٣١٤٢ مع تصرف واحتصار .

فقام الأشر، فشخص نحو الكوفة، فاقبل حتى دحنتها والناس في المسجد الأعظم، فجعل لا يمر بقبيلة إلا دعاهم، وقال: اتبعوني إلى القصر، حتى وصل القصر، فافتحه وأبو موسى يومئذ يحطّب الناس على المبر، ويتطعمهم، وعامر يخاصمه، والحسن عليه السلام يقول: اعزل عملنا وتنفّ عن منبرنا، لا أم لك!

قال أبو جعفر: فروى أبو مريم النقي، قال: والله إني لبي المسجد يومئذ إذ دخل عابسا غلامان أي موسى يشتدون ويبادرون^(١) أن موسى: أيها الأمير، هذا الأشر قد جاء، فدخل القصر، فصر ما وأخرجنا، فنزل أبو موسى من المنبر، وجاء حتى دخل القصر، فصاح به الأشر: أخرج من قصر، لا أم لك، أخرج الله منك! هو الله إنك لمن المافظين قديماً. قال: أحلني هذه المشية، قال: قد أسخطك، ولا تبيت في القصر [الليلة]^(٢)، ودخل الناس ينتهبون متاع أبي موسى، فمهم الأشر، وقال: إني قد أخرجته وعزلته عنكم، فكف الناس حينئذ عنه^(٣).

قال أبو جعفر: فروى الشعبي، عن أبي الطفيل، قال: قال علي عليه السلام: يأتيكم من الكوفة اثنا عشر ألف رجل ورجل واحد، هو الله لقدت على نعمة^(٤) دى قذر، فأحصيتهم واحدا واحدا، فما رادوا رجلاً، ولا نقصوا رجلاً^(٥).

[فصل في نسب عائشة وأخبارها]

ويجب أن يذكر في هذا الموضع طرفاً من نسب عائشة وأخبارها، وما يقوله أصحابنا المتكلمون فيها، جرياً على عادتنا في ذكر مثل ذلك كلما مررنا بذكر أحد من الصحابة.

(١) العنري: « يبادون » . (٢) من الطبري (٣) تاريخ الطبري ١ : ٣١٥٣ ، ٣١٥٤

(٤) في الأصول : « بلغة » ، والصواب ما أنشأه من الطبري والنسبة المكان المشرف على ماحوله

من الأرض . (٥) تاريخ الطبري ١ : ٣١٧٣ ، ٣١٧٤ .

أما نسبها ، فإنها ابنة أبي بكر ، وقد ذكرنا نسبه فيما تقدم ، وأُمها أم رومان ابنة عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أدينة بن شبيب بن دُهَمان بن الحارث بن تميم بن مالك بن كنانة . تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة قبل الهجرة بسنتين - وقيل بثلاث - وهي بنت ست سنين - وقيل بنت سبع سنين - وبنى عليها بالمدينة وهي بنت تسع ، لم يحتلموا في ذلك .

وكانت تذكر لحبيب بن مطعم ، وتسمى له ، وورد في الأخبار الصحيحة أن رسول الله صلى الله عليه وآله أرى عائشة في المنام في سرقفة حرير ، متوفى خديجة رضى الله عنها ، فقال : إن يكن هذا من عند الله يُنجيه ؛ فتزوجها بعد موت خديجة بثلاث سنين ، وتزوجها في شوال ، وأعرس بها بالمدينة في شوال ، على رأس ثمانية عشر شهرا من مهاجرة إلى المدينة^(١) .

وقال ابن عبد البر في كتاب " الاستيعاب " : كانت عائشة تحت أن تدخل الدار من أهلها وأختها في شوال على أرواحهن ، ونقول . هل كان في شأنه أحطى عنده متى وقد نكحتني وبنى علي في شوال^(١) !

قلت : قرئ هذا الكلام على بعض الناس ، فقال : كيف رأت الدار بيدها وبين أحمائها وأهل بيت زوجها !

وروى أبو عمر بن عبد البر ، في الكتاب المذكور : أن رسول الله صلى الله عليه وآله توفى عنها وهي بنت ثمان عشرة سنة ، فكانت معها تسع سنين ، ولم يمكح بكراً غيرها ، واستأذنت رسول الله صلى الله عليه وآله في الكُمية ، فقال لها : اكتني بابنك عبد الله بن الزبير - يعني ابن أختها - فكانت كبيتها أم عبد الله ، وكانت فقيهة عالمة بالعرائض والشعر والطب^(١) .

وروى أن النبي صلى الله عليه وآله ، قال : « فصل عائشة على النساء كفصل الثريد على الطعام » ، وأصحابنا يحملون لفظة النساء في هذا الخبر على روحاته ، لأن فاطمة عليها السلام صدم أفصل منها ، لقوله صلى الله عليه وآله : « إنها سيّدة نساء العالمين » .

وقد رُفِت بصوان بن المعطل الثقي في سنة ست ، مصرف رسول الله صلى الله عليه وآله من عراه بنى المصطلق - وكانت معه - فقال فيها أهل الإفك ما قالوا ، وورل القرآن ببراءتها .

وقوم من الشيعة زعموا أن الآيات التي في سورة النور لم تنزل فيها ، وإنما أُنزلت في حادثة القبطية ، وما قدمت به مع الأسود القبطي . وحدهم لإيراد ذلك في عائشة حجة لما يعلم ضرورة من الإحبار المتواترة ، ثم كان من أمرها وأمر حفصة وما جرى لهما مع رسول الله صلى الله عليه وآله في الأمر الذي أسره على إحداها ما قد نطق الكتاب العزيز به . واعتزل رسول الله صلى الله عليه وآله نساء كلهن ، واعتزلهن معهن ثم صالحهن ، وطلق حفصة ثم راحها ؛ وحرت بين عائشة وفاطمة ببلاعات ، وحديث يؤعر الصدور ، فتواء بين عائشة وبين عتي عليه السلام نوع صعبة ، وانضم إلى ذلك إشارته على رسول الله صلى الله عليه وآله في قصة الإفك حرب الحاربة وتقريرها ، وقوله : « يا نساء كثير » .

ثم جرى حديث صلاه أبي بكر بالناس ، فزعم الشيعة أن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يأمر بذلك ، وأنه إنما صلى بالناس عن أمر عائشة ابنته ، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله خرج متحاملًا وهو مثقل ، فبعثه عن الخراب . ودعم معظم المحدثين أن ذلك كان عن أمر رسول الله صلى الله عليه وآله . وقوله ثم احشوا ، فهم من قال : نحماء وصلى هو بالناس ، ومهم من قال : بل أنتم بأبي بكر كسائر الناس ، ومنهم

من قال : كان الناس يصلّون صلاة أى بكر ، وأبو بكر يصلّ بصلاة رسول الله صلى عليه وآله .

ثم كان منها فى أمر عثمان ، ونضرب الناس عليه ، ما قد ذكرناه فى مواضعه ، ثم تلا ذلك يوم الجمل .

واختلف المتكلمون فى حادها وحسن من حصر واقعة الجمل ، فقالت الإمامية : كغفر أصحاب الجمل كلهم ؛ الرؤساء والأنبياء . وقال قوم من الحشوية والعمامة : اجتهدوا فلا إثم عليهم ، ولا نكح محظيهم ولا خطأ على عيه السلام وأصحابه .

وقال قوم من هؤلاء : بل قول : أصحاب الجمل أخطئوا ، ولكنه حجة معور ، وكخطأ المجتهد فى بعض مسائل الفروع عند من قال بالأشبه ؛ وإلى هذا القول يذهب أكثر الأشعرية .

وقال أصحاب المعتزلة : كل أهل الجمل هلكون إلا من ثبتت توبته منهم ، قالوا : وعائشة ممن ثبتت توبتها ، وكذلك طلحة والزبير ، أما عائشة فإنها اعترفت لعلى عليه السلام يوم الجمل بالخطأ ، وسألته العمرة ، وقد توارت الرواية عنها بإظهار الندم ، وأنها كانت تقول : ليتني كان لى من رسول الله صلى الله عليه وآله بنون عشرة ، كلهم مثل عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام - وشككتهم - ولم يكن يوم الجمل ! وأنها كانت تقول : ليتني ميت قبل يوم الجمل ، وأنها كانت إذا ذكرت ذلك اليوم تنكى حتى تبل حمارها . وأما الزبير فرجع عن الحرب معترفاً بالخطأ لما أذكره على عليه السلام ما أذكره . وأما طلحة فإنه مر به - وهو صريع - فارس ، فقال له : قف ، فوقف ، قال : من أى الفريقين أنت ؟ قال : من أصحاب أمير المؤمنين ، قال : أقعدنى ، فاقطعه ، فقال : امدد يدك بأبىك لأمير المؤمنين ، فبايعه .

وقال شيخنا : ليس لقائل أن يقول : ما يروى من أحبار الأحاد بتوبتهم لا يعارض ما علم قطعاً من معصيتهم . قالوا : لأن التوبة إنما يحكم بها لمكلف على غالب الظن في جميع المواضع ، لا على القطع ، ألا ترى أنا نحوز أن يكون من أظهر التوبة متافقاً وكاذباً ، فبان أن المرجح في قبولها في كل موضع إنما هو إلى الظن ، فبجاء أن يعارض ما علم من معصيتهم بما يظن من توبتهم .

(٢)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إليهم بعد فتح البصرة :

وَجَزَاكُمْ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرٍ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ أَحْسَنَ مَا يَجْزِي الْعَامِلِينَ
يُطَاعَتِهِ ، وَالشَّاكِرِينَ لِنِعْمَتِهِ ، فَقَدْ تَمِيزْتُمْ وَأَطَقْتُمْ ، وَدُعِيتُمْ فَأَجَنْتُمْ .

الشرح :

موضع قوله : « من أهل مصر » نصب على التمييز ، ويجوز أن يكون حالا .

فإن قلت : كيف يكون تمييزاً وتقديره . وجراكم الله متمدين أحسن ما يجزي المطيع ؛
والتمييز لا يكون إلا جامداً ، وهذا مشتق !

قلت : إنهم أجازوا كون التمييز مشتقاً في محو قولهم : « ما أنت جارة » ، وقولهم :
« يا سيداً ما أنت من سيد » .

وما ، يجوز أن تكون مصدرية ، أي أحسن جزاء العاملين ، ويجوز أن تكون بمعنى
الذي ، ويكون قد حذف العائد إلى الموصول ، وتقديره أحسن الذي يجزي العاملين .

الأصل :

ومنه كتاب له هبة السلام شرح به الحارث قاضيه .

وروي أن شريح بن الحارث قاضي أمير المؤمنين عليه السلام اشترى على عهده داراً بشماين ديناراً ؛ فسمعه ذلك ، فاستدعى شريحاً ، وقال له : سمعي أنك انتعت داراً بشماين ديناراً ، وكنت لها كتاباً ، وأشهدت فيه شهوداً . فقال له شريح : قد كان ذلك يا أمير المؤمنين ، قال : فطر إياه فطر المصبر ، ثم قال له :

يا شريح ، أما إنه سيأتيك من لا ينطرق كتابك ، ولا يثلك عن سنك ، حتى يجرحك منها شاحصاً ، ويأتيك إلى قنك خالصاً فانظر يا شريح لا تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك ، أو فقدت لنفس من غير حلالك ؛ فإذا أنت قد حيرت دار الدنيا ودار الآخرة .

أما إنك لو كنت أتيتني عند شريئت ما اشتريت ، لكنت لك كتاباً على هذه السجعة ، فلم ترعبي في شراء هذه الدار بالدرهم^(١) فما فوق ، والسجعة هذه : « هذا ما اشترى عند دليل ، من منى فقد رجع للرمل . اشترى منه داراً من دار العرور ، من جيب الدين ، وخطة الهيكين . وتجمع هذه الدار حدود أربعة : الحد الأول ينتهي إلى دواعي الآفات ، والحد الثاني ينتهي إلى دواعي المصيبات ؛ والحد الثالث ينتهي إلى الهوى المردي ، والحد الرابع ينتهي إلى الشيطان المعوي . وفيه يشرع باب هذه الدار . اشترى هذا المعتز بالآمل ، من هذا

الزُّقَجِ بِالْأَجَلِ هَذِهِ الدَّارَ بِالْخُرُوجِ مِنْ عِرِّ الْقَاعَةِ ، وَالْخُورِ فِي ذُلِّ الطَّلَبِ
وَالصَّرَاعَةِ ؛ فَمَا أَذْرَكَ هَذَا الْمُشْتَرَى فِيهِ اشْتَرَى مِنْهُ مِنْ دَرَكٍ . فَعَلَى مُسَدِّلِ أَجْسَامِ
الْمُلُوكِ ، وَسَالِبِ مَوَاسِي الْحَايَةِ ، وَمُرِيلِ مُلْكِ الْمَرَاغَةِ ، مِثْلَ كِسْرَى وَقَيْصَرَ ، وَتَمَعٍ
وَحَبِيرَ ، وَمَنْ تَمَعَ الْمَالَ عَلَى الْمَالِ وَكَثَرَ ، وَمَنْ تَنَى وَشَيْدَ ، وَرَحَرَفَ وَتَحَدَّ ،
وَأَذَحَرَ وَاعْتَقَدَ ، وَنَظَرَ بِرَّعْمِهِ لِلْوَلَدِ - إِشْحَاصُهُمْ جَمِيعًا إِلَى مَوَاصِي الْأَرْضِ وَالْحِسَابِ ،
الْمَوَاصِي وَالْعِقَابِ وَمَوَاصِي إِذَا وَقَعَ الْأَمْرُ بِفَعْلِ الْقَصَاءِ ، ﴿ وَحَسِرَ هَٰلِكَ الْمُسْطَوُونَ ﴾ .
شَبَدَ عَلَى ذَلِكَ الْعَقْلُ إِذَا حَرَجَ مَنْ أَسْرَ الْهَوَى ، وَسَلِمَ مِنْ عِلَاقِ الدُّنْيَا .

الشَّرِيحُ :

[سبب شريح وذكر بعض أخباره]

هو شَرِيحُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ الْمُتَمَعِ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ حَنْمٍ بْنِ ثَوْرٍ بْنِ عَفِيرٍ^(١) بْنِ عَدَى
ابْنِ الْحَارِثِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ أَدَدِ الْكَلْبِيِّ ؛ وَقِيلَ لَهُ حَلِيفُ لِكِنْدَةَ مِنْ بَنِي الرَّاشِ .
وَقَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ : لَيْسَ اسْمُ أَبِيهِ الْحَارِثُ ، وَإِنَّمَا هُوَ شَرِيحُ بْنُ مَعَاوِيَةَ
ابْنِ ثَوْرٍ .

وَقَالَ قَوْمٌ : هُوَ شَرِيحُ بْنُ هَانِي .

وَقَالَ قَوْمٌ : هُوَ شَرِيحُ بْنُ شَرَّاحِيلَ . وَلِصَحِيحٍ أَنَّهُ شَرِيحُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَيَكْنَى
أَبَا أُمَيَّةَ . اسْتَعْمَلَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى الْقَصَاءِ ، كُوفَةً ، فَلَمْ يَزَلْ قَاضِيًا سِتِّينَ سَنَةً ، لَمْ يَتَعَطَّلْ
فِيهَا إِلَّا ثَلَاثَ سِنِينَ فِي فِتْنَةِ ابْنِ الزَّيَّيرِ ؛ مَنَعَ فِيهَا مِنَ الْقَصَاءِ ، ثُمَّ اسْتَعَى الْحَاجَّ مِنْ

(١) ب : « عفر » ، والصواب ما أنبأه من الاستيعاب .

العمل فأعفاه ، فلم منزله إلى أن مات ، وعمره عراً طويلاً ، قيل : إنه عاش مائة سنة وثمانيًا وستين ، وقيل مائة سنة ، وتوفي سنة سبع وثمانين .

وكان خفيف الروح ، مراحاً ، فقدم إليه رجلان فأقرأ أحدهما بما ادعى به خصمه ، وهو لا يعلم قصصه عليه ، فقال لشريح : من شهد عندك بهذا ؟ قال : ابن أخت خالك . وقيل : إنه حادثة امرأته تسكى وتنظّم على خصمها ، فثارقت لها حتى قال له إنسان كانت محبسته . ألا تنظر أيها القاضي بن بكائها ! فقال : إن إخوانه يوسف جاءوا أباهم عشاء يكون .

وأقرأ على عليه السلام شريحاً على العشاء ، مع محاميه له في مسائل كثيرة من الفقه مدكورة في كتب الفقهاء .

واستأذنه شريح وغيره من قصّة عثمان في القضاء أوّل ما وقعت العرقّة ، فقال : اقصوا كما كنتم تَقصُّون حتى تكون للناس حجة ، أو أموت كما مات أمياني وسقط على عليه السلام مرتة عليه فطرده عن الكوفة ولم يمر له عن انقضاء ، وأمره بالمقام سابقاً . وكانت قرية قريبة من الكوفة أكذرها كرها لليهود . فأقام بها مدّة ، حتى رضى عنه وأعادته إلى الكوفة .

وقال أبو عمر بن عبد البر في كتاب " الاستيعاب " : أدرك شريح الجاهليّة ، ولا يعدّ من الصحابة ، بل من التابعين ، وكان شاعراً محسناً ، وكان سباطاً لاشعر في وجهه ^(١) .



قوله عليه السلام : « وَحِطَّةُ الْهَانِكِينَ » تكسر الحاء ، وهي الأرض التي يحتطبها الإنسان ،

(١) الاستيعاب ٥٩٠ : وذكر أنه توفي سنة سبع وثمانين وهو بن مائة سنة ؛ وولي القضاء ستين سنة من زمن عمر إلى زمن عبد الملك بن مروان .

أى يُنمِل عليها علامة بالخط ليعبرها ؛ ومنه خطط الكوفة والبصرة .

وذكر حرف الباء ، أى ذهب جدرانه ، برّخرف ، وهو الذهب .

ونجد : فرش المنزل بالوسائد ، والتخذ : ندى يعالج الفرش والوسائد ويخيطهما ، والتنجيد : التزيين بذلك ، ويحوز أن يريد بقوله : « نجد » رفع وعلا ، من التخذ ، وهو المرتفع من الأرض .

واعتقد : جعل لنفسه عقدة كالصيعة أو الذخيرة من المال الصامت .

« وإشخاصهم » مرفوع بالابتداء وحبره اخبار المحرور المقدم ، وهو قوله : « فصلى مبلبل أجسام الملوك » ، وموضع الاستحسان من هذا الفصل - وإن كان كله حسناً - أمران : أحدهما : أنه عليه السلام نظر إلى نظر مفسد إسكارا لاتباعه داراً ثمانين ديناراً ، وهذا يدل على ربه شديد في الدنيا ولما سكر للقليل منها ، ومنه هذا المشتري إلى الأسراف ، وخوف من أن يكون ابتاعها بمال حرام .

الثاني : أنه أملى عليه كتاباً رهنياً وعطياً ، مماثل لكتب الشروط التي تكتب في ابتياع الأملاك . فإنهم يكتبون : « هذا ما اشترى فلان من فلان ، اشترى منه داراً من شارع كذا وحطة كذا ، ويجمع هذه الدار حدود أربعة ، فخدمها ينتهي إلى دار فلان ، وحدث آخر ينتهي إلى ملك فلان ، وحدث آخر ينتهي إلى ما كان يعرف بفلان ، وهو الآن معروف بفلان ، وحدث آخر ينتهي إلى كذا . ومنه شروع باب هذه الدار ، وطريقها : « اشترى هذا المشتري المذكور من البائع المذكور جميع الدار المذكورة بثمن مائة كذا وكذا ديناراً ، وأودعها ؛ فإذا أدرك المشتري المذكور من درك فرجوع به على من يوجب الشرع الرجوع به عليه » . ثم تكتب الشهود في آخر الكتاب . شهد فلان ابن فلان بذلك ، وشهد فلان ابن فلان به أيضاً ؛ وهذا يدل على أن الشروط المكتوبة الآن قد كانت

في زمن الصحابة تكتب مثلها أو نحوها ؛ إلا أن مسمعا عن أحد منهم أنه قتل صيفة الشرط
الفقهية إلى معنى آخر كما قد نظم هو عليه السلام ، ولا عرو فا زال سباقاً إلى
المجانب والفرائب !

فإن قلت : لم جعل الشيطان للنوى في الحد الرابع ؟

قلت : ليقول : وفيه بشرع باب هذه الدار ، لأنه إذا كان الحد إليه ينتهي كان
أسهل لدخوله إليها ودخول أتباعه وأوليائه من أهل الشيطنة والصلال .

(٤)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض أمراء جيشه :

قَالَ عَادُوا إِلَى حِلِّ الطَّاعَةِ ، قَدَارَ نَدَى حُجْبٍ ، وَإِنْ تَوَاقَّتِ الْأُمُورُ بِالْقَوْمِ
إِلَى الشَّقَاقِ وَالْعِصْيَانِ فَأَمِّدْ بِمَنْ أَطَاعَكَ إِلَى مَنْ عَصَاكَ ، وَاسْتَعِنْ بِمَنْ أُنْقَادَ مَعَكَ ،
تَعَمَّرْ تَقَاعَسَ عَنْكَ ؛ فَإِنَّ الْمُسْكَارَةَ مَمِيبُهُ حَيْرٌ مَنْ مَشْهَدُهُ ، وَقُعُودُهُ أَغْنَى
مِنْ هُوصِهِ .

الشرح :

أَمِّدْ : أى أنهر . وتَقَاعَسَ ، أى أبطأ وتأخر .

وَالْمُسْكَارَةُ : الذى يخرج إلى الجهاد من غير تيقن و بصيرة ، وإنما يخرج كارهًا مرتابًا ،
ومثل قوله عليه السلام : « فَإِنَّ الْمُسْكَارَةَ مَمِيبُهُ حَيْرٌ مَنْ مَشْهَدُهُ ، وَقُعُودُهُ أَغْنَى مِنْ
هُوصِهِ » قوله تعالى : ﴿ تَوَخَّجُوا فِيكُمْ مَارَادُكُمْ إِلَّا خَبَالًا ﴾^(١) .

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى الأشعث بن قيس ، وهو عامل أذربيجان :
 وَإِنْ تَحَلَّكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ ، وَاسْكِنُهُ فِي عُمْقِكَ أَمَانَةً ، وَأَنْتَ مُسْتَرْحَى لِمَنْ
 فَوْقَكَ ، لَيْسَ لَكَ أَنْ تَعْتَنِيَ فِي رَعِيَّتِهِ ، وَلَا تُحْدِثَ إِلَّا مَوْثِقَةً ، وَفِي يَدَيْكَ مَالٌ مِنْ
 مَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَنْتَ مِنْ حُزَانِهِ حَتَّى تُسَلِّمَهُ إِلَيَّ ، وَلَعَلِّي أَلَا أُكُونُ شَرًّا
 وَلَا نِكَ لَكَ . وَالسَّلَامُ .

الشرح :

قد ذكرنا سبب أشعث بن قيس ^١ فيما تقدم .
 وأذربيجان : اسم أعجمي غير معروف ، الألف مقصورة ، والذال ساكنة . قال
 حميد :

وأذربيجان احتيال ، بعد ما كانت ممرس عبرة وسكال ^(١)

وقال الشماخ :

تَدَكَّرْتُهَا وَهَمًّا وَقَدْ حَالَ دَوَسُهَا فَرَمَى أَذْرَبِيحَانَ الْمَالِحُ وَالْجَلَالُ
 والنسبة إليه أذري : يكون الذال ، هكذا القياس ، ولكن المروي عن أبي بكر
 في الكلام الذي قاله عند موته : « وَلَتَأْتِنِ السُّومُ عَلَى الصُّوفِ الْأَذْرِي » معنع الذال .
 والطعمة نهم العطاء المهمة : للأكلة ، ويقال : ولان خبيث الطعمة ، أي ردي الكسب .
 والطعمة بالكسر لهيئة التطعم ، يقول : إن عمك لم يدوعه الشرع ، والوالى من قبلي إياه ؟

ولا جعله لك أكلاً؛ ولكه أمانة في يديك وعقك لمسلمين ، وفوقك سلطان أنت له رعية
فليس لك أن تفتات في الرعية الذين تحت يدك ، يقال : افتات فلان على فلان ، إذا فعل
غير إذنه ماسبيله أن يستأذنه فيه ، وأصله من الفتوت وهو التثق ، كأنه سقه إلى ذلك الأمر .
وقوله : « ولا تخاطروا إلا بوثيقة » ، أى لا تقدم على أمر تخوف فيما يتعنى بالمال
الذى تقولاه إلا بعد أن تتوثق لمعك ، يقال : أخذ فلان بالوثيقة في أمره ، أى احتاط .
ثم قال له : « ولعلى لا أكون شرّاً ولا تيك » ، وهو كلام بطيب به نفسه ويسكن به
جأشه ، لأن في أول الكلام إيمانه ، إذ كانت العاطفة تدل على أنه لم يره أميناً على المال ،
فاستدرك ذلك بالكلمة الأخيرة ، أى ربما تحمد خلافتي وولايتي عليك ، وتصادف منى
إحساناً إليك ، أى عسى ألا يكون شكرك لعمان ومن قبله أكثر من شكرك لى ،
وهذا من باب وعدك الحق ، وتسميه العرب أميث

وأول هذا الكتاب

« من عند الله على أمير المؤمنين إلى الأشعث بن قيس . أما بعد ، فبالحق
وهبات كانت منك ، كنت المقدم في هذا الأمر قبل الناس ، ولعلّ أمراً كان يحمل بعضه
بعضاً إن اتقيت الله عز وجل ، وقد كان من بيعة الناس إيتاى ما قد طلت ، وكان من أمر
طلحة والزبير ما قد بلمك ، فخرجت إليهما ، فأبليت في الدعاء ، وأحسنت في البقية ،
وإن صلتك ليس لك بطعمة ... » ، إلى آخر الكلام ، وهذا الكتاب كتبه إلى الأشعث
ابن قيس ، بعد انقضاء الجمل .

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية :

إِنَّهُ يَا بَيْعِي الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَمَّا تَسْكُرُ وَعُشْمَانُ عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ ،
فَلَمْ يَسْكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ ، وَلَا لِلْعَدِيبِ أَنْ يَرُدَّ ، وَإِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارِ ، فَإِنْ احْتَمَمُوا عَلَى رَحْلِ وَسَمَوْهُ إِمَامًا كَانَ ذَلِكَ فِيهِ رِضًا ، فَإِنْ حَرَجَ عَنْ
أَمْرِهِمْ حَارِجٌ يَطْمِنُ أَوْ يَدْعُو رَدُّهُ إِلَى مَا حَرَجَ مِنْهُ ، فَإِنْ أَتَى قَاتِلُوهُ عَلَى اتِّسَاعِهِ
غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَوَلَاهُ اللَّهُ مَا نَوَى .

وَلَعَمْرِي يَا مُعَاوِيَةُ ، لَنْ تَطْرُقَ بِفَيْلِكَ دُونَ هَوَاكَ ، لَتَحْدِثُنِي أَمْرًا أَسِي
مِنْ دَمِ عُثْمَانَ ، وَلَسَتَلَمَسُنَّ أُنَى كُنْتُ فِي عُرْلَةٍ عَنْهُ ، إِلَّا أَنْ تَتَحَنَّنَ ؛ فَتَحَسَّ
مَا بَدَأَ لَكَ وَالسَّلَامُ .

الْبَيْزَج :

قد تقدم ذكر هذا الكلام في أثناء اختصاص مراسلة أمير المؤمنين عليه السلام
معاوية بحريز بن عبد الله البجلي ، وقد ذكره أرباب السيرة كلهم ، وأورده شيوخنا
التكلمون في كتبهم احتجاجا على صحة الاختيار ، وكونه طريقا إلى الإمامة ،
وأول الكتاب :

« أَمَا نَعُدُّ ، فَإِنْ بَيْعَتِي بِالْمَدِينَةِ لَزِمَتْكَ وَأَسْتَبَالُ الشَّامِ ، لِأَنَّهُ يَا بَيْعِي الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا... » ،
إلى آخر الفصل .

والمشهور المروى : « فإن خرج من أمرهم خارجٌ نطقن أو رغبة » ، أى رغبة عن ذلك الإمام الذى وقع الاختيار له .

والمروى بعد قوله : « ولأه الله بعدما تولى » : « وأصلاه جهنم وساءت مصيرا . وإن طلعة والرؤير بابعان ثم نقصا بيعتى ، فكان قصصهما كرتنهما ، فهاهنتهما على ذلك حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون . فادخل فيما دخل فيه المسلمون ، فإن أحبب الأمور إلى فيك العافية ، إلا أن تمرض للبلاء ، فإن تمرضت له قاتلتك ، واستعنت بالله عليك ، وقد أكرت في قتلة عثمان ، فادخل فيما دخل الناس فيه ، ثم حاكم القوم إلى أحلك وإياهم على كتاب الله ، فأتاك تلك التي تريدنا فخذعة الصبي عن اللس ، ولمعري يامعاوية إن طرت بعقتك . » إلى آخر الكلام .

وبعد : « واعلم أنك من العلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة ، ولا تعترض بهم الشورى ، وقد أرسلت إليك حريرا بن عبد الله الأبحلى ، وهو من أهل الإيمان والمهجرة ، فابع ولا قوة إلا بالله » .

واعلم أن هذا الفصل دالٌّ بصرىحه على كون الاختيار طريقا إلى الإمامة كما يذكره أصحابنا المتكلمون ، لأنه احتج على معاوية ببيعة أهل الحل والعقد له ، ولم يراع في ذلك إجماع المسلمين كلهم ، وقيامه على بيعة أهل الحل والعقد لأئى بكر ، فإنه ما روى فيها إجماع المسلمين ، لأن سعد بن عباد لم يبايع ، ولا أحد من أهل بيته وولده ، ولأن عليا وبى هاشم ومن انصوى إليهم لم يبايعوا في مبدأ الأمر ، وامتنعوا ؛ ولم يقوّف المسلمون في نصحيح إمامة أبى بكر وتنفيذ أحكامه على بيعتهم ، وهذا دليل على صحة الاختيار وكونه طريقا إلى الإمامة ، وأنه لا يقدح في إمامته عليه السلام امتناع معاوية من البيعة وأهل الشام ؛ فأما الإمامية فتحصل هذا الكتاب منه عليه السلام على التيقية ، وتقول : إنه ما كان يمكنه

أن يصرح معاوية في مكتوبه بباطل الحال ، ويقول له : أنا منصوب على من رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومعهود إلى الدين أن أكون خليفة فيهم بلا فصل ، فيكون في ذلك صعن على الأئمة المتقدمين ، ويسد حجة مع الذين يابسون من أهل المدينة ؛ وهذا القول من الإمامية دعوى لو صدقتها دليل لوحظ أن يقال بها ، ويصار إليها ؛ ولكن لا دليل لهم على ما يذهبون إليه من الأصول التي تسوقهم إلى تحل هذا الكلام على الفقيه .

فما قوله عليه السلام : « وقد أكرهت في فتنة عثمان ، فادخل فيما دخل فيه المسلمون ، ثم حاكم القوم إلى أحلك وإيأهم على كسب الله » ، فيجب أن يذكر في شرحه ما يقول المتكلمون في هذه الواقعة .

قال أصحابنا معتزلة رحمهم الله . هذا كلامه على كرمه ، لأن أولياء الدم يحب أن يبايعوا الإمام ويدخلوا تحت طاعته ؛ ثم يرموا خصومهم إليه ، فإن حكم بالحق استديمت إمامته ، وإن حاد عن الحق انقضت خلافته ، وأولياء عثمان الذين هم سوء لم يبايعوا عينا عليه السلام ، ولا دخلوا تحت طاعته ثم ، وكذلك معاوية ابن عم عثمان لم يبايع ولا أطاع ؛ فطالبتهم له بأن يفتن لهم من قى عثمان قبل بيعتهم بإياه وطاعتهم له ظلم منهم وعدوان .

« إن قت : هب أن انفصا من فتنة عثمان موقوف على ما ذكره عليه السلام ؛ أما كان يحب عليه لامن طريق انفصا أن يهوى عن المنكر ! وأنتم تذهبون إلى أن تنهى عن المنكر واجب على من هو سوقة ، فكيف على الإمام الأعظم !

قت : هذا غير وارد ها هنا ، لأن النهى عن المنكر إنما يجب قبل وقوع المنكر ، لكيلا يقع . فإذا وقع المنكر ، فنهى يهوى يكون عنه ، وقد نهى على عليه السلام أهل مصر وغيرهم عن قتل عثمان قبل قتله سرا ، ونابذهم بيده ولسانه وبأولاده فلم ينز

شيئاً ، وتعام الأمر حتى قُتل ؛ ولا يجب بعد القتل إلا القصاص ، فإذا امتنع أولياء
الدم من طاعة الإمام لم يجب عليه أن يقتص من القتلين ، لأن القصاص حقهم ، وقد
سقط بسعيهم على الإمام وحروصهم عن طاعته . وقد قسا نحن فيما تقدم : إن القصاص
إنما يجب على مَنْ باشر القتل ؛ والدين باشروا قتل عثمان فقتلوا يوم قتل عثمان في دار عثمان ،
والذين كان معاوية بطالهم بدم عثمان لم باشروا القتل ، وإنما كثروا السواد وحصروا
عثمان في الدار ، وأحلبوا عليه وشتمود وتوغدوه ، ومهم من تور عليه داره ولم يزل
إليه ، ومهم من نزل حصر محصر قسده ولم يشرك فيه ، وكل هؤلاء لا يجب عليهم
القصاص في الشرع .

[حريير بن عبد الله البخلي عبد معاوية]

وقد ذكرنا فيما تقدم شرح حال حريير بن عبد الله البخلي في إرسال علي عليه السلام
إياه إلى معاوية مستقضى . وذكر الرُّبْرِيس بكّار في "اللوحيات" أن عليا عليه السلام
لما بعث جريرا إلى معاوية ، خرج وهو لا يرى أحداً قد سبقه إليه ، قال . فقدمت علي
معاوية فوجدته يحطّب الناس وهم حوله يهكون حول قيص عثمان وهو معلق على رُوح
مخضوب بالدم ؛ وعليه أصابع زوجته مائة بنت الفرافصة مقطوعة ، فدفعت إليه كتاب
علي عليه السلام ، وكان معي في الطريق رجلٌ يسير سبّري ، ويقم بمقامي ، فمثل بين
يديه في تلك الحال وأشدّه :

إن بني عمك عبد المطلب هم قتلوا شيخكم خير كذب
* وأمت أولى الناس بالوثب فينب *

وقد ذكرنا تمام هذه الأبيات فيما تقدم .

قال ثم دفع إليه كتابا من الوليد بن عُبَسة بن أبي مُعَيْط ؛ وهو أخو عثمان لأنه ،
كتبه مع هذا الرجل من الكوفة سرا أوله :

• مُعَاوِيَ بْنَ لُؤْلُؤٍ قَدْ حُبَّ غَارِبُهُ •

الآيات التي ذكرنا فيما تقدم .

قال : فقال لي معاوية : أقم فإن الناس قد فُروا بعد قتل عثمان حتى يَكُونُوا .
فأُتت أُرْسَةُ أَشْهَر ، ثم جاءه كتاب آخر من الوليد بن عُبَسة ، أوله :

أَلَا أَيْلُغُ مُعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ بَيِّنَتْ مِنْ أَحْيَى ثَقَفٍ مُدِيمٌ ^(١)
قَطَعْتَ الذَّهْرَ كَالثَّدِيمِ الْمَيِّ نَهْدَرِي دَمِشْقَ وَلَا تَرِيمٌ ^(٢)
وَأَنْتَ وَالْكِتَابُ إِلَى عَلِيٍّ كَذَابِيسَةٍ وَقَدْ حَبِمَ الْأَدِيمُ ^(٣)
فَلَوْ كُنْتَ الْقَتِيلَ وَكَانَ حَيًّا لَشَقَرْتُ لَأَلْفٍ وَلَا سَتُومٌ ^(٤)

قال : فما جاءه هذا الكتاب وصل بين طُومَارَيْنِ ^(٥) أبيصين ، ثم طواها

وكتب عمواسهما .

(١) يلم - من وقع منه ما يلام عليه

(٢) اسدم في الأصل - الذي يرمع عن حذنه ، وجدل بينه وبين الآفة ؛ والبيت في المساء ١٥ - ١٧٦

(٣) يقول - أب تسمى في إصلاح أمر قد تم فساد كالمرأة التي تدبغ الأديم الخلم التي وقعت فيه الخلة (وهي دودة) فليسته وأمسدته فلا ينفع به - وقد وردت لأربعة في المساء (حلم) ، وذكر بعدها :

لَكَ لَوْثَلَاتٌ أَفْجَمَتْ عَيْنَهُمْ فَحَيْرُ الطَّلِي لِي الثَّرَّةُ لَعَشُومُ
فَقَوُّمُكَ بِالْمَدِينَةِ قَدْ تَرَدُّوا فَهُمْ صَرْعَى كَأَنَّهُمُ الْهَشِيمُ

(٤) رواية هذا البيت في المساء -

فَلَوْ كُنْتَ الْمُصَاتَ وَكَانَ حَيًّا تَحَرَّدَ ، لَا أَلْفُ وَلَا سَتُومُ

(٥) الطومار : الصبغة .

« من مساوية من أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب » .

ودفعهما إلى ، لا أعلم ما فيها ، ولا طمئنها إلا جواباً ، ونستمعى رحلاً من بني عتس
لا أدري مامعه ، فخرجنا حتى قدمنا إلى الكوفة ، واجتمع الناس في المسجد ، لا يشككون
أمرها بيعة أهل الشام ؛ فلما فتح علي عليه السلام الكتاب لم يجد شيئاً ، وقام العتسي ، ففس :
من هاهنا من أحياء قيس ، وأحص من قيس عطفار ، وأحص من عطفار عتس ، إلى
أحب بالله لقد تركت تحت قيس عتس أكثر من حمير ألف شيخ حاصبي لحاعم
بدموع أعينهم ، متعافدين متحالعين ، نيفس قتلته في البر والبحر ، وإني أحلف بالله
ليقتحمها عليكم إن أبي سفيان ما كثر من أربعين ألفاً من حصن الحسيل ، فما طمكم
بعد بما فيها من العحول ثم دفع إلى علي عليه السلام كتاباً من مساوية فنتحه
فوجد فيه :

أناي أمر في نفسي عمة وفيه اجتداع الأنوف أصيل
مصاب أمير المؤمنين وهذه تكاد لها صم الحال ترول
وقد ذكرنا هذا الشعر فيما تقدم .

(٧)

لأفضل :

ومن كتاب منه عليه السلام إليه أيضا :

أَمَّا تَعْلَمُ فَقَدْ أَتَيْتَنِي مَوْعِظَةٌ مُوَصَّلَةٌ ، وَرِسَالَةٌ مُخَبِّرَةٌ ، تَمَقَّتْهَا بِصَلَاتِكَ ، وَأَمَصَّيْتُهَا
بِسُوءِ رَأْيِكَ . وَكِتَابٌ أَمْرِي لَيْسَ لَهُ نَصْرٌ يَهْدِيهِ ، وَلَا قَائِدٌ يُرْشِدُهُ ، قَدْ دَعَا
الْهَوَى فَاخَانَهُ ، وَقَادَهُ الصَّلَالُ فَاسْتَعَى ، فَهَجَرَ لَأَعْلَى ، وَصَلَ حَاطَى

الشنخ :

مَوْعِظَةٌ مُوَصَّلَةٌ ، أَيْ مَحْمُوعَةُ الْأَلْفَافِ مِنْ هَامِثٍ وَهَامِثَا ، وَدَلَّكَ عَيْبٌ فِي الْكِتَابَةِ
وَالْحَطَايَةِ ، وَإِنَّمَا الْكَاتِبُ مَنْ يَرْتَحِلُ فَيَقُولُ قَوْلًا فَصَلًا ، أَوْ يَرَوِي فَيَأْتِي بِالْبَدِيعِ الْمُسْتَحْسَنِ
وَهُوَ فِي الْحَالَتَيْنِ كِلَاهُمَا يُنْفِقُ مِنْ كَيْسِهِ ، وَلَا يَسْتَعِيرُ كَلَامَ غَيْرِهِ .

وَالرَّسَالَةُ الْمُخَبِّرَةُ : الْمُرِيَّةُ الْأَلْفَافِ ؛ كَأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ قَدْ كَانَ يَطْهَرُ عَلَيْهَا
أَثَرُ التَّكَلُّفِ وَالنَّصْعِ .

والتنميق : التريين أيضا .

وَهَجَرَ الرَّحْلَ بِأَيِّ هَذَى ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي أَحَدِ التَّفْسِيرِينَ : ﴿ إِنْ قَوْمِي اتَّخَذُوا
هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ ^(١) .

وَاللَّاعِظُ : ذُو اللَّعْظِ ، وَهُوَ الصَّوْتُ وَالْحَلَّةُ .

وخط البعير فهو حائط ، إذا مشى صلاً فخط بيده كل ما يلتصق ، لا يتوق شيئاً .

وهذا الكتاب كتبه علي عليه السلام جواباً عن كتاب كتبه معاوية إليه في أثناء حرب صفين بل في أواخرها ، وكان كتاب معاوية :

« من عند الله معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب عليه السلام ، أما بعد ، فإن الله تعالى يقول في محكم كتابه : ﴿ وَتَقْدُ أُوْحِيْ اِلَيْكَ وَ اِلَى الَّذِيْنَ مِنْ قَدْلِكَ لَنْ اَشْرَكَتَ سَيَحْطَلْ عَمَلُكَ وَ لَتَكُوْنَنَّ مِنْ اَخْيَرِ سِرِّ ﴾ ^(١) ، وبني أهدرك الله أن تحبط عملك وسابقتك شق عصا هذه الأمة ومريق جماعتها ، فأتق الله وادكر موقف القيامة ، وأقلع عما أسرفت فيه من الخوض في كومة المسلمين ، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « لو تمبلاً أهلُ صُفْدٍ وَعَدَبٍ على قتل رجل واحد من المسلمين لأكتمهم الله على مناحرم في الدار » ، فكيف يكون حال من قتل أعلام المسلمين وسادات المهاجرين ، لله ما طمحت راحة حريرة من أهل لقرآن ، ودى العماة والإيمان ، من شيخ كبير ، وشاب عرير ، كلهم بالله تعالى مؤمن ، وله محص ، ورسوله مقرر عارف ! فإن كنت أما حسن إنما تحارب على الإنزلة والخلافة ، فمعمري لو صحت خلافتك لكنت قريباً من أن تعذر في حرب المسلمين ، ولكنك ما صحت لك ؛ أتى نصحتها وأهل الشام لم يدخلوا فيها ، ولم يرتصوا بها ! وحف الله وسطوته ، واتفق رأسه ، وسكاله ، وأغيد سيعك عن الناس ، فقد والله أكتمهم الحرب ، فلم يبق منهم إلا كالنم في قراره العدير والله المستعان .»

فكتب علي عليه السلام إليه جواباً عن كتابه :

من عبد الله صلى الله عليه وسلم أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان : « أما بعد فقد أتتني منك موعظةٌ موصلةٌ ، ورسالةٌ محببةٌ ، نمتها بصلائك ، وأصبتها بسوء رأيك ، وكتاب امرئ ليس له نصيرٌ يهديه ، ولا قائد يرشده ، دعاه الهوى فأحابه ، وقاده الصلال فأتته ، فبهجر لا غطاءً ، وصل حابطاً ، فأما أمرُك لي بالنقوى فارجو أن أكون من أهلها ، وأستعيد الله من أن أكون من الذين إذا أمرُوا بها أحدثهم المرة بالإنهم . وأما تحذيرُك يدي أن يحبط عملي وسابقتي في الإسلام ، فلتعمرى لو كنت الباعى عليك ، لكان لك أن تحذرنى ذلك ، ولكنى وجدت الله تعالى يقول : ﴿ فَقَاتِلُوا الَّذِينَ تَشْعُونَ حَتَّى تَبْلُغُوا إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾ ^(١) ، فطرنا إلى العنتين ، أما العنة السعية فوجدناها العنة التي أتت فيها ، لأن بيعتى بالمدينة لرمثك وأت بالشام ، كما لرمثك بيعة عثمان بالمدينة وأت أمير لعمر على الشام ، وكالرمث يريد أخاك بيعة عمر وهو أمير لأبي بكر على الشام . وأما شق عصا هذه الأمة ، فذا أحق أن أهالك عنه . فأما محويعك لي من قتل أهل اليمن ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله أمرنى بقتلهم وقتلهم ، وقال لأصحابه : « إِنْ هِمْ مَنْ يَقَابِلُ عَلَى دَوْلِ الْقُرْآنِ كَمَا قَاتَتْ عَلَى تَرْبِهِ » ، وأشار إلى وأولى من اتبع أمره .

وأما قولك : إن بيعتى لم تصح لأن أهل الشام لم يدخلوا فيها وكيف وإياها هي بيعة واحدة ، تلزم الحاصر والغائب ، لا يُتَنَّى فيها لغيره ، ولا يستأنف فيها الحيار ، الخارج منها طاعنٌ ، والمروى فيها مذاهن . فارتع على طبعك ، وارتع مير بالغيك ، واترك ما لا حدوى له عليك ، فليس لك عمدى إلا السيف ، حتى سى إلى أمر الله صاعراً ، وتدحل في البيعة رانما . والسلام .

الأصل :

ومن هذا الكتاب :

لَا أُمَّةَ نِيْمَةٌ وَاحِدَةٌ لَا يُشَى فِيهَا نَصْرٌ ، وَلَا يُسْتَأْنَفُ فِيهَا الْخِيَارُ ، أَلْخَارِجُ مِنْهَا طَاعِنٌ ، وَالْمَرْوِيُّ فِيهَا مُدَاهِنٌ .

الشرح :

لا يشى فيها الطر ، أى لا يعاود ولا يرجع ثانية ولا يستأنف فيها الخيار . ليس بعد عقدها خيار لمن عقدها ولا لميرم ، لأنها تلزم غير الصادقين كما يلزم العاقدين ، فيسقط الخيار فيها ، الخارج منها طاعن على الأمة ، لأنهم أحصوا على أن الاختار طريق الإمامة .
والمروى فيها مداهن ، أى الذى يرتضى ويبطل عن الطاعة ويهتكر ، وأصله
هن الروية ، والمداهن : المفاق .

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام الى حرير بن عبد الله البجلي لما أرسله الى معاوية :

أَمَّا نَعْدُ ، فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَاجْعَلْ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْفَصْلِ ، وَحَدَّهُ بِالْأَمْرِ الْجَزْمِ ،
ثُمَّ حَيْزُهُ بَيْنَ حَرْبٍ مُحَلِّيَةٍ ، أَوْ سِلْمٍ مُخْرِجَةٍ ، فَإِنْ اخْتَارَ الْحَرْبَ فَأَبْدِ إِلَيْهِ ،
وَإِنْ اخْتَارَ السَّلْمَ فَقَدْ تَيَمَّمْتَهُ . وَالسَّلَامُ

الشرح :

قد تقدم ذكر نسب حرير بن عبد الله البجلي .

وقوله عليه السلام : « فاجعل معاوية على الفصل » ، أى لا تتركه مثلكتنا مترددا ،
يَطْعِمُكَ تَارَةً وَيُؤْبِسُكَ أُخْرَى ، بل احمله على أمر قِصَلٍ ، إما البيعة ، أو أن
يَأْذَنَ بِالْحَرْبِ .

وكذلك قوله : « وحده بالأمر الجرم » ، أى الأمر المقطوع به ، لا تكن ممن يُقَدِّمُ
رِخْلًا وَيُؤَخِّرُ أُخْرَى ، وأصل الجرم القطع .

وحرب مُحَلِّيَةٍ : تُجَلِّيُ الْمُقْهُورِينَ فِيهَا عَنْ دِيَارِهِمْ ، أى تُخْرِجُهُمْ .
وسِلْمٍ مُخْرِجَةٍ ، أى مُضَاعَةٍ ؛ وَإِنَّمَا جَعَلَهَا مُحَرِّجَةً لِأَنَّ مُعَاوِيَةَ امْتَنَعَ أَوَّلًا مِنَ التَّبِيعَةِ ؛
فَإِذَا دَخَلَ فِي السَّلْمِ فَإِنَّمَا يَدْخُلُ فِيهَا بِالْبَيْعَةِ ، وَإِذَا بَايَعَ بَعْدَ الِامْتِنَاعِ ؛ فَقَدْ دَخَلَ تَحْتَ
الْهَيْئَةِ وَرَضِيَ بِالضَّمِّ ؛ وَذَلِكَ هُوَ الْخُرُجُ .

قوله « فَاذِئِدْ إِلَيْهِ » من قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَبَذَ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ﴾^(١) وأصله العهد والمدة وعقد الحلف يكون بين الرجلين أو بين القبيلتين ، ثم يبدونها في ذلك فينتقلان إلى الحرب فيبذل أحدهما إلى الآخر عهده ، كأنه كتاب مكتوب يسهما قد نبذه أحدهما يوم الحرب وأبطله ، فاستعير ذلك للمجاهرة بالمداوة والمكاشفة ، ونسخ شريعة السلام السابقة بالحرب المعاقبة لها .

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية :

فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا ، وَاحْتِيَاحَ أَصْنَا ، وَهَمُّوا بِثَ الْهُومِ ، وَفَعَلُوا بِمَا الْأَفَاعِيلُ ،
وَمَسَّوْنَا الْمَذْبَ ، وَأَحْسَرُوا الْخُوفَ ، وَصَطَرُونَا إِلَى جَلِيٍّ وَغَيْرِ ، وَأَوْقَدُوا لَنَا
بَارَ الْحَرْبِ .

فَعَرَّمَ اللَّهُ لَنَا عَلَى الذَّبِّ عَنْ حَوَازِيهِ ، وَالرَّهْمِي مِنْ وَرَاهِ حَوَازِيهِ ، مُؤَمِّسًا بِنَعِي
بِذَلِكَ الْأَحَرِّ ، وَكَاهِرُنَا يُحَامِي عَنِ الْأَصْلِي ، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ خِلَافًا مِمَّا نَحْنُ فِيهِ
بِحِلْفِ بَعَثَهُ ، أَوْ عَشِيرَةٍ نَقُومُ دُونَهُ ، هُوَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي بِمَكَانٍ أَمِنٍ .

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِذَا أَحْرَجَ النَّاسُ ، وَأَخْجَمَ النَّاسُ ، قَدَّمَ
أَهْلَ بَيْتِهِ فَوْقَ يَهُمِ أَصْحَابَهُ حَرَّ السُّيُوفِ وَالْأَسِيَّةِ ، فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَ
بَذْرِ ، وَقُتِلَ حَمْرَةُ يَوْمَ أَحُدٍ ، وَقُتِلَ جَعْفَرُ يَوْمَ مُوَاتَّةَ ، وَأَرَادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ دَكَّرْتُ
أَسْمَهُ مِثْلَ أَلَدِي أَرَادُوا مِنْ الشَّهَادَةِ ، وَلَكِنْ آجَلْتُهُمْ عَجَلْتُ ، وَمَسِيقَتُهُ أُحْرَتْ .

فَيَا صَحْبًا لِلدَّهْرِ ! إِذَا مِيرَتْ يُفَرِّقُ بِي مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِي ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ كَسَابَةً فِي
الَّتِي لَا يُدَلِّي أَحَدٌ بِمِثْلِهَا ، إِلَّا أَنْ يَدْعِيَ مُدْعٍ مَالًا أَعْرِفُهُ ، وَلَا أَظُنُّ اللَّهَ يَعْرِفُهُ .
وَأَتْلُوهُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ .

وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ مِنْ دَفْعِ قَتْلَةِ عُثْمَانَ إِيَّاكَ ، فَإِنِّي نَظَرْتُ فِي هَذَا الْأَمْرِ ، فَلَمْ
أَرَهُ يَسْعُنِي دَفْعُهُمْ إِلَيْكَ وَلَا إِلَى غَيْرِكَ ، وَلَعَسَى لَيْتَ لَمْ تَنْزِعْ عَنْ غَيْكَ وَشِقَاقِكَ ،
لَعَسَى قَتْلَهُمْ عَنْ قَلِيلٍ يَطْلُبُونَكَ ، لَا يُكْثِمُونَكَ طَلِبَتُهُمْ فِي بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ ، وَلَا جَلِيٍّ

وَلَا سَهْلَ ، إِلَّا أَنَّهُ طَلَبَ بِدُوكَ وَجَدَانَهُ ، وَرَوَّزَ لَا يَسْرُكَ لِقِيَانَهُ .
وَالسَّلَامُ لِأَهْلِهِ .

البَرْخُ :

قوله عليه السلام : « فَأَرَادَ قَوْمُنَا » ، يعنى قربنا .
والاحتياج : الاستئصال ، ومنه الخنعة وهى السَّمة ، أو الفتنة التى تجتاح المال
أو الأنفس .

قوله : « وَمَعُونَا الْعَدَبَ » ، أى الجيش العذب . لا أنهم مسموم الماء العذب ، على
أنه قد نقل أنهم مسموا أيام الحصار فى شِيبِ نى هاشم من الماء العذب .
وسذكر ذلك .

قوله : « وَأَحْلَسُونَا الْخَوْفَ » ، أى أرمونا . والجنس : كساء رقيق يكون تحت
بردعة البعير .

وأحلاس البيوت : ما يسط تحت حُرَّ الثياب ، وفى الحديث : « كُنْ جَنَسَ يَبْتَكِ » ،
أى لا تعاط الساس واعتزل عنهم ، فما كان الجنس ملارماً ظهر السير ، وأحلاس البيوت
ملازمة لها ، قال : « وَأَحْلَسُونَا الْخَوْفَ » ! أى جعلوه لنا كالجنس الملازم .

قوله : « وَاصْطَرُونَا إِلَى جَبَلٍ وَعَرٍ » ، مثل صرته عليه السلام لحشونة مقامهم
وشطاف منزلهم ، أى كانت حالنا فيه كحال من اضطر إلى ركوب جبل وعرة ، ويمحور
أن يكون حقيقة لا مثلاً ، لأن الشئ الذى يحصرهم فيه مضيق بين جبلين .

قوله : « فَرَزَمَ اللَّهُ لَنَا » ، أى قضى الله لنا ، ووقفنا لذلك ، وجعلنا عارمين عليه .
والحوزة : الناحية ، وحوزة الملك : بيئته .

وحومة الماء والرمل : معطمة .

والرمي عنها : المناصلة والحمامة ، ويروى : « والرمي من وراء حرمة » ، والصبر في « حورته » و « حومته » راجع إلى النبي صلى الله عليه وآله ، وقد سبق ذكره ، وهو قوله : « بينا » ، ويروى « والرمتيا » .

وقال الراوندي : « وهما ما الموم » ، أي هؤا رول المم ما ، لخداف المصاف وأقام المصاف إليه مقامه . وليس ما قاله نعيد بل « الموم » منصوب هاها على المصدر ، أي هوما ما هوما كثيرة ، وهوما ما أي أرادوا مهت ، كقوله تعالى : « وهم بها »^(١) ، على نفس أحوالها ، وإما أدخل لام التعريف في الموم ، أي هؤا نسا تلك الموم التي ندرهوها ، فأنى باللام ليسكون أعظم وأكبر في الصدور من تكبرها ، أي تلك الموم معروفة مشهورة بين الناس لشكر عزم المشركين في أوقات كثيرة مختلفة على الإيقاع .

وقوله : « وهولوا بها الأفاعيل » ، يقال لمن تروا آثارا مسكرة . هولوا ما الأفاعيل ، وقال أن يقال ذلك في غير الضرر والأذى ، ومنه قول أمية بن حنبل لعبد الرحمن بن عوف وهو يدكر حمرة من عند المطلب يوم بدر : « ذلك الذي فعل ما الأفاعيل » . قوله : « يخامى عن الأصل » ، أي يدفع عن محمد ويدت عنه حية ومحاطة على الدسب .

قوله : « جلولما نحن فيه » ، أي حال . ولحنف : العهد .

واحمر البأس ، كلمة مستعاره ، أي اشتدت الحرب حتى احمرت الأرض من الدم ، فجعل البأس هو الأحمر محارا ، كقولهم : الموت لأحمر .

(١) سورة يوسف ٢٤

قوله : « وأحجم الناس » ، أى كتموا عن الحرب وجئوا عن الإقدام ، يقال : حجبت فلانا عن كذا أحجمه بالضم ، فأحجم هو ، وهذه اللفظة من الموارد ، كقولهم : « كبتته فأكبت » .

ويوم مؤنة بالهمز ، ومؤنة : أرض معروفة .

وقوله : « وأراد من لو شئت لذكرت اسمه » ، يعنى به نفسه .

قوله : « بد صرت يقرن بى من لم يشع تقدمى » إشارة إلى معاوية فى الطاهر ، وإلى من تقدم عليه من الخلفاء والباطن ، وتدل على قوله : « اتى لا يدلى أحد مثلبا » ، فأطلق القول إطلاقاً عاماً متوقفاً لكل الناس أجمعين .

ثم قال : « إلا أن يدعى مدعى مالا أعرفه » ، ولا أعلم الله يعرفه ، أى كل من ادعى خلاف ما ذكرته فهو كاذب ، لأنه لو كان صادقا لكان على عليه السلام يعرفه لا محالة ، فإذا قال عن نفسه : إن كل دعوى تحلف ماد كرت فإنى لا أعرف صدقها ، فمناه أسها باطلة .

وقوله : « ولا أعلم الله يعرفه » ، « مص هاها بمعنى العلم » ، كقوله تعالى : ﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا ﴾ ^(١) ، وأخرج هذه الكلمة مخرج قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَتَدْعُونِ اللَّهَ يَمَّا لَا يَنْفَعُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ ^(٢) ، وليس المراد سلب العلم بل العلم بالسلب ، كذلك ليس مراده عليه السلام سلب الظن الذى هو معنى العلم ، بل ظن السلب ، أى علم السلب ، أى وعلم أن الله سبحانه يعرف انتفاءه ، وكل ما يعلم الله انتفاءه فليس بثابت .

وقال الراوندى : قوله عليه السلام : « ولا أعلم الله يعرفه » ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَسَلَوْكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ ﴾ ^(٣) .

والله يعلم كل شيء قبل وجوده ، وإعسا معناه : حتى نعلم جهادهم موجودا ، وليست هذه الكلمة من الآية سبيل لتبطل مثالا لها ، ولكن الراوي قد يتكلم بكل ما يحظر له من غير أن يميز ما يقول .

وتقول : أدنى فلان بحجته ، أى احتج بها ، وفلان مُذِلّ رَحِمه ، أى مَتَّ بها . وأدنى بماله إلى الحاكم : دفعه إليه ليحمله وسيلة إلى قضاء حاجته منه ، فأما الشععة فلا يقال فيها : « أدليت » ، ولكن « دلوت بعلان » أى استشفعت به ، وقال عمر لما استقى بالعماس رحمه الله : الليم إنا نتقرب إليك ثم ستيك وقفية آباءه ، وكثير رحاله ، دلونا به إليك مستشفعين ^(١) .

قوله عليه السلام : « لم أره يسئ » ، أى لم أر أنه يحلّ لي دفعهم إليك . والصير في « أرء » ضمير الشأن والفعلة ، و « أرء » من الرأى كمن الرؤية ، كقولك : لم أرَ الرأى الفلانى .

وبرع فلان من كذا ، أى طارقه وتركه ، يبرع ما كسر ، والمعنى : المهمل والصلال . والشقاق : الخلاف .

والوحدان : مصدر وحدت كذا ، أى أصبته . والزور : الزائر .

واللقيان : مصدر لقيت ، تقول : لقيته لقاء ولقياء .

ثم قال : « والسلام لأهله » لم يستعجر في الدين أن يقول له : « والسلام عليك » لأنه عنده فاسق لا يجوز إكرامه ، فقال : « والسلام لأهله » ، أى على أهله .

ويجب أن تتكلم في هذا الفصل في مواضع :

مها ذكر ما جاء في السيرة من إجلاب قرش على رسول الله صلى الله عليه وآله وبني هاشم وحضرم في الشعب .

(١) الفائق ٢ - ٣٦٦ . لغة تنائه : تلوم . وكرر قوله أقدم في السب .

ومنها: الكلام في المؤمنين والكافرين من بني هاشم الذين كانوا في الشعب محصورين معه صلى الله عليه وآله من هم .

ومنها: شرح قصة بدر .

ومنها: شرح غزاة أحد .

ومنها: شرح غزاة مؤتة .

[إجلاب قريش على بني هاشم وحصرهم في الشعب]

وأما الكلام في الفصل الأول فذكر منه ما ذكره محمد بن إسحاق بن يسار في كتاب "السيرة" و"التعاري" ، فإنه كتاب معتقد عند أصحاب الحديث والمؤرخين ، ومصنفه شيخ الناس كلهم .

قال محمد بن إسحاق رحمه الله : لم يسبق عليا عليه السلام إلى الإيمان بالله ورسالة محمد صلى الله عليه وآله أحد من الناس ، اللهم إلا أن تكون حديجة روحه رسول الله صلى الله عليه وآله . قال . وقد كان صلى الله عليه وآله يخرج ومعه علي مستحبهين من الناس ، فيصليان الصلوات في بعض شعاب مكة ، فإذا أمسيا رجعا فمكثا بسلك ما شاء الله أن يمكثا ، لا ثالث لهما ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصليان ، فقال لمحمد صلى الله عليه وآله: يابن أخي ، ما هذا الذي تفعله ؟ فقال : « أي عم هذا دين الله ودين ملائكته ورسوله ، ودين أيننا إبراهيم - أو كما قال عليه السلام - بعثني الله به رسولا إلى العباد ، وأنت أي عم أحق من بدلت له الصيحة ، ودعوته إلى الهدى ، وأحق من أحببني إليه ، وأعاني عليه » . أو كما قال فقال أبو طالب : إني لا أستطيع يابن أخي أن أفارق

مدینہ و دین آہانی وما كانوا علیہ ، ولكن والله لا یخلص^(۱) إیک شیء تکرهه ما بقیت .
فرعوا^(۲) أنه قال لعلی - أیئ سی - ، ما هذا الذي تصنع ؟ قل : یا أئنه ، آمدتُ بالله ورسوله
وصدقته فیا جاء به ، وصليتُ إلیه ، واتعت قول سیه . فرعوا أنه قال له : أما إینه لا
یدعوك - أولن یدعوك - إلا إلی حبر ، فالزمه .

قال ابن إسحاق : ثم أسلم رید بن حارثة موتی رسول الله صلی الله علیه وآله ، فكان
أول من أسلم ، وصلى معه بعد علی بن أبی طالب علیه السلام .

ثم أسلم أبو نکر من أبی قحافة ، فكان ثالثهما ، ثم أسلم عثمان بن عفان ، وطلحة ،
والزبیر ، وعبد الرحمن ، وسعد بن أبی وقاص ، وصدر الثمیه ؛ فهم الثمیه الذين سَفَعُوا النَّاسَ
إلی الإسلام بمكة ، ثم أسلم بعد هؤلاء الثمیه أبو عبیدة بن الجراح وأبو سلمة بن عبد الأسد
وأرقم بن أبی أرقم ، ثم انتشر الإسلام بمكة ، وفشا ذكره ، ونحدث الناس به ، وأمر الله
رسوله أن یصدع بما أمر به ، فكانت مدته إخماء رسول الله صلی الله علیه وآله به
وشانه إلی أن أمر بإظهار الدين ثلاث سنین فبما سعى^(۳) .

قال محمد بن إسحاق . ولم تنك قریش نکر أمره حیث دخل الإسکار ، حتی
ذكر آلتهم وعائها ، فاعظموا ذلك وأكروه ، وأجمعوا علی عداوته وحلافه ، وحذب علیه
عمه أبو طالب فسمعه ، وقام دونه حتی مضى مطهرٌ لأمر الله لا یرده عنه شیء . قال . قلت
رأت قریش محامدة أبی طالب عنه وقيامه دونه ، وامتناعه من أن یسلمه ، مشی إلیه رجالٌ
من أشرف قریش ! منهم عذرة بن ربیعة ، وشيبة أخوه ، وأبو سبیان بن حرب ،
وأبو البختری بن هشام ، والأسود بن المطلب ، وأولید بن النبیرة ، وأبو جهل عمرو بن هشام ،

(۱) لا یخلص إیک شیء ؛ أی لا یوصل إیک . قال . حبست إلیه ، أی وصلت إلیه

(۲) سيرة ابن هشام ۱ : ۲۰۵

(۳) ابن هشام : « ودكروا »

والعاص بن وائل ، ونبیه وسمه انا الحجاج ؛ وأمثالهم من رؤساء قریش . فقالوا : یا أبا طالب ، إن ابن أخیک قد سب آلهتنا ، وعاب دینا ، وسمه أحلامنا ، وضلل آراءنا ؛ فإما أن تسکمه عنا ، وإما أن تحنّی بیسا وبیسه . فذر لهم أبو طالب قولاً رقیقاً ، وردّهم ردّاً جلیلاً ، فانصرفوا عنه ، ومضى رسول الله صلى الله علیه وآله على ما هو علیه ، بظهر دین الله ، ويدعو إلیه ، ثم شرّق^(١) الأمر بیسه وبیسهم ، تباعداً وتضاعفاً^(٢) ، حتى أکثرت قریش ذکر رسول الله صلى الله علیه وآله یسها ، وتداوموا علیه ، وحصّ بعضهم بعضاً علیه ، فمشوا إلى أبي طالب مرة ثانية ، فقالوا : یا أبا طالب ، إن لك سناً وشرکاً ومردة فینا ، وإنا قد استهیناک من ابن أخیک فلم تنه عنه ، وإنا والله لا نصبر على شتم آبائنا ، ونسفیسه أحلامنا ، وعیب آلهتنا ، فإما أن تسکمه عنا أو سارله وإیناک^(٣) حتى یهلك أحدُ العربین . ثم انصرفوا ، فطمع على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ، ولم تطب نفسه بإلام ابن أخیه لم وحدلانه ، فمضت إلیه فقال : یا بنی أخی ، إن قومک قد جاءونی ، فقالوا لی کذا وکذا — للذى قالوا — فأتى على وعلى بیسک ، ولا تحملى من الأمر مالا أظیفه . قال : فظن رسول الله صلى الله علیه وآله أنه قد بدا لعمه فيه بداء ، وأنه خادله ومسیبه ، وأنه قد صنف عن نصرته وإقیام دونه ، فقال : یا عمّ ، والله لو وضعوا لشمس فی یمینی والقمر فی شمالی على أن أنزک هذا لأمر ما رکتته حتى یظهر الله أو أهلك . ثم استعبر بها کيماً وقام ، فلما ولی ناداه أبو طالب : أقبل یا بنی أخی ، فذقل راجعاً ، فقال له : اذهب یا بنی أخی فقل ما أحببت ، فوالله لا أسمت لشیء أبداً^(٤) .

(١) ابن هشام : « ثم شری الأمر به وبیسهم » ، قال أبو جر : معناه « کثر وترید » ، وأصله من الرق ، يقال : شری الرق : إذا کثر لمانه .

(٢) التضاعف : للمعادة . (٣) تنازله وإیناک : أى عارکها .

(٤) سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٦ - ٢٧٨

قال ابن إسحاق: وقال أبو طالب يذكر ما أحمت عليه قریش من حرّبه لما قام بنصر
محمد صلى الله عليه وآله :

والله لن يَصِيُوا إِيَّكَ مُحَمَّدٌ حتى أَوَدَّ في القُرَاب دِفْناً^(١)
فامدُّ لأمرِكَ ما عليك عِاقَةٌ وشرِّ وقرِّ بذاك منه عِيوناً
ودعوتِي ورعمت أُنْتُك ما مَحَى ولقد صدقت وكنت قل أَمناً
وعرصت ديفاً قد علت مائة من خير أديان البرية ديفاً
لولا الملامة أو حذارى مُتَّة لوحدتي سمحاً بذاك مبيداً

قال محمد بن إسحاق: ثم إن قریش حين عرفت أن أبا طالب فدأى جدلاً
رسول الله صلى الله عليه وآله وإسلامه إليهم ورأوا إجماعه على معارفتهم وعداوتهم ، مشوا
إليه أعمار من الوليد بن المغيرة المخزومي - وكان أحسن نبي قریش - فقالوا له: يا أبا طالب ،
هذا عمار من الوليد ، أسهى^(٢) فتى في قريش وأحبه رعدة إليك^(٣) ، فدعوه ولداً فهو
لك ، وأسلم ما هدا من أحيك الذي قد حاتم ديتك ودين آبائك ، وقرى جماعة قومك
لنقتله ، فإتاه هو رجل رجس . فقال أبو طالب : والله ما أنصموني^(٤) ! تعطوني أبتكم
أعدوه لكم ، وأعطيتكم أني تقنونه اهدا والله ما لا يكون أبداً . فقال له المطيم بن عدي بن
موهل - وكان له صديق مصاريح - والله يا أبا طالب ما رأيت نبيداً أن يقل من قومك شيئاً ! لعمرى
قد جهدوا في التحصن بما نكرو وأرادك لا أنصمهم ! فقال أبو طالب : والله ما أنصموني
ولا أنصمتي ! وإكثك قد أحمت على جدلاي ومطاهرة^(٥) تقوم على ! فاصع
ما بدا لك^(٦) !

(٢) ابن هشام : « أسهى فتى » أي أشده وأقو .

(١) ديوانه ١٧٦ ، ١٧٧

(٣) ابن هشام : « غده فلك غله ونصره » .

(٤) ابن هشام : « والله لنس ما نسوموني »

(٥) مطاهرة القوم ، يريد إعادتهم . (٦) سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٥

قال : فعند ذلك تنابذ القوم وصارت الأحقاد ، ونادى بعضهم بعضاً ، وتدامروا بينهم على من في القبائل من المسلمين الذين اتبعوا محمداً صلى الله عليه وآله . فوثت كل قبيلة على من فيها منهم ، بعد توهمهم وافتنهم عن دينهم ، ومع الله رسوله معهم بعه أي طالب ، وقام في بني هاشم وبني عبد المطلب حين رأى قريشاً تصنع ما تصنع ، فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله صلى الله عليه وآله ، والقيام دونه ، فاجتمعوا إليه ، وقاموا معه ، وأجابوه إلى ما دعاهم إليه من الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وآله إلا ما كان من أي لخب ، فإنه لم يجتمع معهم على ذلك ، فكان أبو طالب يرمل إليه الأشعار ، ويناشده النصر ، منها القطعة التي أولها :

حديث عن أبي لهب أنما وكأمة على دأكم رجال

ومنها القطعة التي أولها :

أظننت عسى قد حدثت وعالني منك العوائل بعد شب الكبير

ومنها القطعة التي أولها :

تستعرض الأفوام توسعهم عذراً وما إن قلت من عذر

قال محمد بن إسحاق : فلم يؤثر عن أي لخب خير قط إلا ما يروى أن أبا سدة بن عبد الأسد المخزومي : لما وثب عليه قومه ليعذبوه ويفتنوه عن الإسلام هرب منهم ، فاستجار بأبي طالب ، وأم أي طالب محرومية ، وهي أم عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وآله فأجاره ، فشئ إليه رجال من بني محروم ، وقالوا له : يا أبا طالب ، هلك منعت منا ابن أخيك محمداً ، فمالك ولصاحبنا تمنعه منا ! قل : إنه استجار بي وهو ابن أختي ، وإن أئلم أئمت ابن أختي لم أئمت ابن أختي ؛ فارتفعت أصواتهم وأصواته ، فقام أبو لخب ولم ينصر أبا طالب قبلها ولا بعدها ، فقال : يا معشر قريش ، والله لقد أكرهتم على هذا

الشيخ ، لا تراءون تنوثبون عليه في حوار من بين قومه ! أما والله لتنتهن عنهُ أو لنقومن معه فيما قام فيه حتى يسلح ما أراد فقالوا : بن مصرف عما نكره يا أبا عُثْبة : فقاموا فانصرفوا ، وكان وياً لم ومصيبا على رسول الله صلى الله عليه وآله وأنى طالب ، فأنقوه وخافوا أن تحمله الحجة على الإسلام ، فطمع فيه أبو طالب حيث سمعه قال ما قال ، وأمل أن يقوم معه في هجرة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال بحرصه على ذلك .

وإب امرأ أبو عُثْبَةَ عَثْبُهُ أَبِي مَعْرِلٍ مِنْ أَنْ يُسَامَ الْمُظَالِمَ^(١)
ولا تغمان الدهر ما عثت خطبة نَسَبَ بِهِ سَائِلَاتُ هَمَطِ الْمَوَاسِمِ^(٢)
أقول له وأين منه يصيحني أبا عُثْبَةَ نَسَبَ سَوَادُ فَاثِمِ
وول سبيل المعرغ غسبك منهم لَمْ يَحْتَقِ عَلَى الْمُحْزِرِ لَارِمَا
وحارب فإن الحرب نصف ولن ترى حَارِبَ لَحْرٍ يَمْطِي أَحْسَبَ حَقِي يُسَالِمَا
كذتم وبيت الله بترى محمداً وَلَمْ يَسْلُكُوا يَوْمًا مِنَ الشَّيْبِ قَانَا
وقال يحاطب أنا لخب أيباً :

تَحْتُ حَلِيمٍ يَانِ شَيْبَةُ عَارِبٍ وَأَحْلَامُ أَفْوَامٍ لَدَيْكَ سِعَافٍ^(٣)
يقولون شامع من أراد محمداً نَظْمٌ وَقَمٌ فِي أَسْرِهِ بِحِلَافٍ
أصاميرُ إما حاسد ذو حيانة وَإِمَامٌ قَرِيبٌ عِلْكَ عَيْرِ مَصَافٍ
ولا تركن الدهر منه دِمَامَةٌ وَأَنْتَ أَمْرٌ لَا مِنْ خَيْرٍ عَدْمَانِ
ولا تتركه ما حيت لمعجم وَكُنْ رَحْلاً ذَا حِمْدٍ وَعِصَافٍ
يدودُ العدا عن درود هاشمية بِالْأَفْهَمِ فِي النَّاسِ حَبِيرُ الْإِفِ
فإن له قرابي لديك قريمة وَلَيْسَ بَدَى حِلْفٍ وَلَا بِمُصَافٍ
ولسكنه من هاشم دى صميمها إِي أَحْمِرٍ فَوْقَ الْمُحْزِرِ طَوَافٍ

وزاحم جميع الناس عنه وكن له وبرا على الأعداء غير محاف
وإن غصت منه قريش فقل لها بى عما ما قومكم بضفاف
وما بالكم تشون منه ظلامه وما بال أحقادهاك حواف
فما قومنا بالقوم يحشون ظمنا وما نحن فيما ساءم بمحاف
ولكننا أهل الحنطة والنهى وعمر يطعنا الشاعر وافر

قال محمد بن إسحاق : فلما طال الملاء على المسلمين والفتنة والمداب ، وارتد كثير عن الدين باللسان لا بالقلب ، كانوا إذا عدّ يوم يقولون : شهد أن هذا الله ، وأن الآلات والعزى هي الآلهة ، فإذا حلوا عنهم عادوا إلى الإسلام ، فحسوم وأوثقهم بالقيد ، وجعلهم في حرّ الشمس على الصخر والصفا ، وتمدّت لهم الشقاء عليهم ولم يصبوا إلى محمد صلى الله عليه وآله لقيام أبي طالب دونه ، فجمعت قريش على أن يكتبوا بينهم وبين بني هاشم مبيعة يتماقدون فيها ألا يبا كعومهم ولا يبيعومهم ، ولا يحالومهم ، فكسبوا وعلقوها في جوف السكمة تذكيراً على أنفسهم ! وكان كانها منصور بن عكرمة بن هشام بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي . فلم فعلوا ذلك انحازت هاشم والمطلب ، فدخلوا كلهم مع أبي طالب في الشعب ، فاحتضنوا إليه ، وخرج معهم أبو طالب إلى قريش فطأها على قومه .

قال محمد بن إسحاق : فصاق الأمر بين هاشم وعدمو القوت ، ألا ما كان يحمل إليهم سرّاً وحفية ؛ وهو شىء قليل لا يُمسك أرمافهم ، وأخافتهم قريش ؛ فلم يكن يظهر منهم أحدٌ ، ولا يدخل إليهم أحدٌ ، وذلك أشدّ مالنّى رسولُ الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته بمكة .

قال محمد بن إسحاق : فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً حتى جهدوا ألا يصل إليهم

شيء إلا القليل سرّاً ثم يريد صلّتهم من قريش ؛ وقد كان أبو جهل من هشام لني حَكِيم
ابن حرام بن خويلد بن أسد بن عبد المُرّي ، معه علام يحمل قمحاً يريد به عمته خديجة
بنت خويلد - وهي عند رسول الله محاصرة في الشعب - فتمنق به ، وقال : أتحمّل الطعام إلى
بني هاشم ! والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أضعحك بمكة ! فلما أبا البحتري العاص
ابن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد المُرّي ، فقال : مالك وله ! قال : إنه يعمل الطعام
إلى بني هاشم ، فقال أبو البحتري : يا هذا ، إن طعاما كان لعمته عنده نشت إليه فيه ؛ أفتسعه
أن يأتيها طعامها ! حلّ سبيل الرجل ، فأتى أبو جهل حتى نال كلّ منهما من صاحبه ،
فأخذ له أبو البحتري ثلثي تمرٍ فصر به به فشخّه ووطئه وطأ شديداً ، فاصرف وهو بكره
أن يعلم رسول الله صلى الله عليه وآله وبمو هاشم بذلك ، فبشتموا ، فلما أراد الله تعالى من
إبطال الصّحيفة ، والفرج عن بني هاشم من الضيق والأذى الذي كانوا فيه ، قام هشام بن
عمرو بن الحارث بن حبيب بن نصر بن مالك بن حشل بن عامر بن لؤي في ذلك
أحسن قيام . وذلك أن أبا عمرو بن الحارث كان أبا لصفة بن هاشم بن عبد مناف بن
قصي من أمه ، فكان هشام بن عمرو يحسب لذلك وصلاً لبني هاشم ؛ وكان ذا شرف
في قومه بني عامر بن لؤي ، فكان يأتي نابعير ليلاً وقد أوفّره طعاماً ، وسو هاشم
ونو المطلب في الشعب ، حتى إذا أقبل به فمّ شعب فضع بحمّاه من رأسه ، ثم يصر به
على جنبه ، فيدخل الشعب عليهم ثم يأتي به مرة أخرى ، وقد أوقد تمراً ، فيضع به
مثل ذلك .

ثم إنه مشى إلى رهير بن أبي ثمّة بن مبرة الجرومي ، فقال : يا رهير ، أوصيت أن
تأكل الطعام وتشرب الشراب وتلبس ثياب ، وتسكح النساء ؛ وأحوالك حيث قد
علمت لا يتساعون ولا يتنازع منهم ، ولا سكحون ولا يسكح إليهم ، ولا يواصون
ولا يرادون ! أما إني أحلف لو كان أحواك أبو الحكم بن هشام ودعوتك إلى مثل ما دعاك

إليه منهم ما أجبك أبدأ . قال : وبمكث هشام ! فمادأ أصنع ! إنما أنا رجل واحد ، والله لو كان معي رجل آخر لقت في فـص هذه الصحيفة القاطعة . قال : قد وجدت رجلاً ، قال : من هو ؟ قال : أنا ، قال رهير . احصا ثلثا ، فذهب إلى المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف ، فقال له : يا مطعم ، أرسيت أن يهلك بطنان من عبد مناف جوعاً وحدهاً وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه ! أما والله لن أمكنسوه من هذا لنجدن قريشاً إلى مساء تكم في غيره سريرة . قال : وبمكث مادأ أصنع ! إنما أنا رجل واحد ، قال : قد وجدت ثانياً ، قال : من هو ؟ قال : أنا ، قال : اسمي ناك ، قال : قد وجدت ، قال : من هو ؟ قال : رهير بن أمية ، قال أنا ، قال : اسمي راس ، فذهب إلى أبي البختري بن هشام ، فقال له : نحو ما قال للمطعم ، قال : وهل من أحد سعين على هذا ؟ قال : نعم وكرهم ، قال : فاسمها حامسا ، فمضى إلى ربيعة بن الأسود بن مطرب بن أمية بن عبد العزى فكلّمه ، فقال : وهل يمين على ذلك من أحد ؟ قال : نعم ، ثم سمي له القوم ، فأتعدوا حطّم الخجّون ليلاً بأعلى مكة ، وأحسوا أمرهم ، ونفذوا على القيام في الصحيفه حتى ينقصوها . وقال رهير : أنا أبدوكم وأكون أولكم يتكلم ، فلما أصبحوا عدوا إلى أديتهم ، وعدا رهيرا بن أبي أمية عليه حلة له . فطاف بالبيت سبعا ، ثم أقبل على الناس ، فقال : يا أهل مكة ، أأكل الطعام ، وشرب الشراب ، ولبس الثياب و نو هاشم هذكي ! والله لا أقعد حتى تشقّ هذه الصحيفة القاطعة الصالحة ! وكان أبو جهل في ناحية المسجد ، فقال : كذبت والله لا تشقّ ! فقال زمعة بن الأسود لأبي جهل : والله أنت أكذب ، ما رعبنا والله بها حين كُتبت . فقال أبو البختري معه : صدق والله زمعة ، لا رضى بها ولا نقرّ عما كتب فيها ! فقال المطعم بن عدى : صدقوا والله ، وكذب من قال غير ذلك ؛ يبرأ إلى الله منها ومنما كتب فيها . وقال هشام بن عمرو من قولهم ، فقال أبو جهل : هذا أمر قصي بليل ، وقام مطعم بن عدى إلى الصحيفة فخطها وشقها ، فوجد الأربعة قد أكلتها ، إلا

ما كان من «باسمك اللهم» قالوا: وأما كانتا منصور بن عكرمة فثقلت يده فيما يذكرون.
ولما مرزقت الصحيفة خرج أبو هاشم من حيدر الشعب

قال محمد بن إسحاق: فلم ير أبو طالب ثلث صارا مستمرًا على نصر رسول الله صلى الله عليه وآله وحايته والقيام بونه، حتى مات في أوّل السنة الحادية العشرة من مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله فطعمت فيه قبرين حيثد، وبالت منه، فخرج عن مكة خائفاً يطلب أحياء العرب، بعرض عليهم هته، فلم يرل كذلك حتى دخل مكة في حوار المطعم بن عدى؛ ثم كان من أمره مع المخرج ما كان ليلة العفة.

قال: ومن شعر أبي طالب الذي يذكر فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وقيامه دونه:

أرقت وقد نصوت النجوم	وكم كنت ولا تسألك المصوم ^(١)
لأطام عشيرته طلبوا بغيره	وعت عفوهم لم وحسبه
هم انتهكوا المحارم من أحبهم	وكل قاتلهم دس ديسه
وراموا حطاسة حوراً وطعاً	ونص القول ذو جف ميم
لتخرج هاشماً تكون مها	ملاقع نظر مكة فالحطيم
فملاً قوما لا تركبونا	مظمة لها حطت حسيم
فيندم بعضكم وبذل بعض	وليس بمصح أدا طوم
أرادوا قتل أحد راعيه	ولس بقتله ميم رعيم
ودون محمد ما مدى	هم الميرين والعصو الصميم

ومن ذلك قوله:

وقالوا لأحمد أمت امرؤ
حرف الحديث، صعب الشئ

وإن كان أحدٌ قد جاءهمُ
عبثاً ومن حَجَّ من رَاكِبٍ
تَنَالُوا أَحَدًا أو تَصْطَلُوا
وتَنَافَسُوا بينَ أَيْتَانِكُمُ
ثَرَاهُنَّ من بين صَافِي الثَّيْبِ
عليه صَادِدٌ من هَاشِمٍ
بصدقٍ ولم يَأْتِيهِمُ بِالْكَذِبِ
وكعبة مصكّة ذات الحُصْبِ
طُفَّة الرَّمَايحِ وَحَدُّ الْقُصْبِ
مُحْدُورَ الْعَوَالِي وَحَيْلًا شُرْبُ
فَصِيرَ الْحَرَامِ طَوِيلَ اللَّيْلِ
مُ الْأَحْمُورِ مَعَ الْمُتَحَبِّ

وردی عند الله بن مسعود ، قال : ما فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله من قتلى بدر ، وأمر بطرحهم في القليب ، حينئذ أتى من شعر أبي طالب يينا فلا يحصره ، فقال له أبو بكر : لعنه قوله يا رسول الله :

وَأَمْرُ اللَّهِ إِنْ حَبَّبَ بَعْدُ ، تَنْتَسِبُ أَمْيَافًا بِالْأَمَائِلِ (١)
وَسِرَّ طَعْمِهِ بِالْبَيْتِ ، وَقَالَ : إِي لَعْنُ اللَّهِ ، فَقَدْ انْتَهَتْ .
ومن شعر أبي طالب قوله :

أَلَا أُنَبِّئُ عَنِّي لَوْيًّا رِسَةً
بِي نَعْمًا الْأَذْنَبُ فِيمَا يَحْصُمُهُمْ
أَطَاهَرْتُمْ قَوْمًا عَلَيْهِمَا سَفَاهَةٌ
يَقُولُونَ لَوْ أَنَا قَتَلْنَا مُحَمَّدًا
كَدَنِهِمْ وَرَبَّ الْهَدْيِ تَدْمِي مَحُورَهُ
تَنَالُوهُ ، أَوْ تَصْطَلُوا دُونَ نَبِيِّهِ
مَهْلًا وَلَمَّا نَتَجِ الْحَرْبُ بِكُورِهَا
بِحَقٍّ وَمَا نَعِيَ رِسَالَهُ مُرْسِلِ (٢)
وَإِحْوَانًا مِنْ عَدِي شَمْسٍ وَنَوَاحِلِ
وَأَمْرًا غَوِيًّا مِنْ غَوَاةٍ وَجَهْلِي
أَقْرَبَتْ نَوَاصِي هَاشِمٍ بِالتَّدْلِيلِ
عَمَكَةً ، وَالْبَيْتِ الْعَتِيقِ الْمُقْبَلِ
صَوَارِمَ تَغْرِي كُلَّ عُصْوٍ وَمَفْصِلِ
بِحِمْلٍ تَمَامٍ ، أَوْ بِأَحْرَ مُفْجِلِ

وتلقوا ربيع الأبطحين محمداً على ربوة في رأس عتقاء عيطلي
وتأوى إليه هاشم ، إن هاشما عرايين كعب آخر بعد أول
فإن كنتم ترجون قتل محمداً فرؤوا بما حتمت نقل يدبلي
إنا سحبي به بكر طيرت ودي مبيعة هذا المراكيل هيكلي
وكل رديني ظلام كموه وعصب كإيمان العمامة بمفصل

قلت : كان صديقا علي من يحيى الطريق رحمه الله ، يقول : لولا حادثة السوء
وسرهما لما كان مثل أبي طالب وهو شيخ قريش ورئيسها ودر شرفها يمدح ابن أخيه
محمداً ، وهو شاب قد ربي في حجره وهو بنيمه ومكموه ، وحار محرمي أولاده مثل قوله .
وتلقوا ربيع الأبطحين محمداً على ربوة في رأس عتقاء عيطلي
وتأوى إليه هاشم ، إن هاشما عرايين كعب آخر بعد أول
ومثل قوله :

وأبيض يستنق العمام بوجهه ينال النمامي عصمة الأراميل
يطيف به الهلاك من آل هاشم مهم عنده في نعمة وفواصل

فإن هذا الأسلوب من الشعر لا يمدح به التابع والدنابي من الناس ، وإنما هو من
مدح الملوك والعطاء ، فإذا نصورت أنه شعر أبي طالب ، ذلك الشيخ المجل العظيم في محمد
صلى الله عليه وآله ، وهو شاب مستجير به ، معتمد لطفه من قريش ، قد رتاد في حجره
علما ، وعلى عاتقه طعلا ، وبين يديه شاة ، يأكل من راده ، ويأوى إلى داره ، عمت
موضع خاصية البوة وسرها ، وأن أمره كان عطيا ، وأن الله تعالى أوقع في القلوب
والأنس له منزلة رفيعة ومكانا حبيلا .

وقرأت في " أمالي أبي جعفر محمد بن حبيب " رحمه الله ، قال : كان أبو طالب إذا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله أحياناً يبكي ويقول : إذا رأيته ذكرت أخي ، وكان عبد الله أحباء لأبويه ، وكان شديد الحب والحنو عليه ، وكذلك كان عبد المطلب شديد الحب له ، وكان أبو طالب كثيراً ما يحاف على رسول الله صلى الله عليه وآله الهيات إذا عرف مصعبه ، فكان يقيمه ليلاً من مسامه ، ويصحح ابنه عما مكانه ، فقال له علي* ليلة : يا أبت ، إني مقتول ، فقال له :

اصبرن يا بني فالصبر أحمى	كل حتى مصبره يشموب ^(١)
قدّر الله والسلام شديد	لعداء الحب وإن الحبيب
ليعداه الأعرى ذى الحب الثما	فب والسابع والكريم المحب
إن تصبلك المون فالتمل تبرى	فصيت منها ، وغبر مصيب
كل حتى وإن تمسلى بعمر	أحبب من مذاقها بنصيب
فأجاب علي عليه السلام ، فقال له :	

أنا مرن بالصبر في نصر أحمد	ووالله ما قلت الذي قلت حارعا ^(٢)
ولكني أحببت أن ترى نصرتي	وتسلم أني لم أرل لك طائعا
سأسعى لوجه الله في نصر أحمد	بني الهدى المحمود طغلا ويافعا

[القول في المؤمنين والكافرين من بني هاشم]

الفصل الثاني : في تفسير قوله عليه السلام « مؤمننا يعني بذلك الآخر ، وكافرا نإحامي عن الأصل ، ومن أسلم من قريش خير مما نحن فيه لحلف يمينه ، أو عشرة تقوم دونه ،

(١) ديوانه ٤١ ، وشعوب : للبية .

(٢) ديوان أبي طالب ٤١

فهم من القتل مكان آمن » ، فنقول : إن بني هاشم لما حُصروا في الشعب بعد أن مكثوا رسول الله صلى الله عليه وآله من قريش ، كانوا صنفين : مسلمين وكفاراً ، فكان على عليه السلام وحمزة بن عبد المطلب مسلمين .

واختلف في حمزة بن أبي طالب : هل حُصر في الشعب معهم أم لا ؟ قيل : حُصر في الشعب معهم ، وقيل : بل كان قد هاجر إلى الحبشة ، ولم يشهد حصار الشعب ، وهذا هو القول الأصح . وكان من المسلمين المحصورين في الشعب مع بني هاشم عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ؛ وهو وإن لم يكن من بني هاشم إلا أنه يجرى محرامهم ، لأن بني المطلب وبني هاشم كانوا بدأ واحداً ، لم ينفروا في جاهلية ولا إسلام .

وكان العباس رحمه الله في حصار الشعب معهم إلا أنه كان على دين قومه ، وكذلك عقيل بن أبي طالب ، وطالب بن أبي طالب ، وبنو عبد المطلب من الحارث بن عبد المطلب ، ابن الحارث بن عبد المطلب ، واهل الحارث بن نوفل من الحارث بن عبد المطلب - وكان شديداً على رسول الله صلى الله عليه وآله ، يُسمعه ويتهجوه بالأشعار ، إلا أنه كان لا يرصى قتله ، ولا يقار قريشاً في دمه ؛ محافظة على النسب - وكان سيد المحصورين في الشعب ورئيسهم وشيخهم أبو طالب بن عبد المطلب ، وهو الكافل والمحمي .

[اختلاف الرأي في إيمان أبي طالب]

واختلف الناس في إيمان أبي طالب^(١) ، فالت الإمامية وأكثر الرعية : ما مات إلا مسلماً .

(١) ب : « به » ، وما أثبتته من !

وقال بعض شيوخنا المعتزلة بذلك ، منهم الشيخ أبو القاسم البلخي وأبو حمزة الإسكافي وغيرهما .

وقال أكثر الناس من أهل الحديث والعامة من شيوخنا النصريين وغيرهم : مات على دين قومه ، ويروون في ذلك حديثا مشهورا ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال له بعد موته : قل يا عم كلمة أشهد لك بها عدا عند الله تعالى ، فقال : لولا أن تقول العرب : إن أبا طالب جرع عند الموت لأقررت بها عيتك .
وروى أنه قال : أنا على دين الأشياخ .

وقيل إنه قال : أنا على دين عبد المطلب . وقيل غير ذلك .

وروى كثير من المحدثين أن قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ نَحْسِهِمَا تَمَيَّنَ لَهُمُ اللَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ۝ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَصَدَّقَ تَمَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرُّأ مِنْهُ ۚ ۞ ﴾ (١) الآية ، أرسل في أبي طالب ، لأن رسول الله استغفر له بدمونه .
وروي أن قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ۚ ﴾ (٢) رلت في أبي طالب .

وروي أن عليا عليه السلام جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بعد موت أبي طالب ، فقال له : إن عمك الصالح قد قصي ، فما الذي تأمرني فيه ؟

واحتجوا بأنه لم يقتل أحدا عنه أنه رآه يصلي ، والصلاة هي المعرفة بين المسلم والكافر ، وأن عليا وجعفر لم يأخذا من تركته شيئا ، ورووا عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « إن الله قد وعدني بتخفيف عذابه لِمَا صَنَعَ فِي حَقِّي ، وإني في صحن من نار » .

وروي عنه أيضا أنه قيل له : لو استغفرت لأبيك وأمتك ! فقال : « لو استغفرت لهما لاستغفرت لأبي طالب ؛ فإنه صبح إلى ما لم يصع ، وإن عبد الله وآمنه وأما طالب جرات من جهنم » .

فأما الذين زعموا أنه كان مسلماً، فقد رَوَوْا خلاف ذلك، وأسندوا حبراً إلى أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال لي جبرائيل: إن الله مشفقك في ستة: بطن حنتك؛ أمة بت وهب، وصُنب أزلت؛ عبد الله بن عبد المطلب، وحجر كملك؛ أبي طالب، وبيت آواك؛ عبد المطلب، وأخ كان لك في الجاهلية - قيل: يا رسول الله، وما كان فعله؟ قال: كان سخياً يطعم الطعام، ويمجد بالتوال - وثدي أَرْضعتك؛ حليلة بنت أبي ذؤيب.

قلت: سألت النقيب أبا جعفر يحيى بن أبي ريد عن هذا الخبر، وقد قرأته عليه: هل كان لرسول الله صلى الله عليه وآله أح من أبيه أو من أمه أو منها في الجاهلية؟ قال: لا، إنما يمي أحاله في المودة والصحة، قلت له: فمن هو؟ قال: لا أدري.

قالوا: وقد نقل الناس كافة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: نقلنا من الأصحاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية، فوجب بهذا أن يكون آتاه كلهم منزهين عن الشرك، لأنهم لو كانوا عتده أصنام لما كانوا طاهرين.

قالوا: وأما ما ذكر في القرآن من إبراهيم وأبيه آزر، وكونه كان صالحاً مشركاً، فلا يقدح في مذهبنا، لأن آزر كان عم إبراهيم؛ فأما أبوه قنوخ بن ناسور، وسمى المم آيا، كما قال: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ﴾^(١)، ثم عدا فيهم إسماعيل وليس من آبائه، ولكنه عمه.

قلت: وهذا الاحتجاج عدى صيف، لأن المراد من قوله: «نقلنا من الأصحاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية» تنزيه آبائه وأمهاته عن السفاح لا غير؛ هذا مقتضى

سياقة الكلام ، لأن العرب كل بعيبٍ نعصها بعضا باحتلاط المياه واشتباها الأساس
وسكاح الشبهة .

وقولهم : لو كانوا عتدة أصنام ما كانوا طاهرين ! يقال لهم : لم قلتم : إياهم لو كانوا
عتدة أصنام لما كانوا طاهري الأصلاب ! فيه لا مضاف بين طهارة الأصلاب وعبادة
الصنم ، ألا ترى أنه لو أراد ما دعوه ، ما ذكر الأصلاب والأرحام ، بل جعل عوصما
العقائد . واعتداهم عن إبراهيم وأبيه قدح في قولهم في أي طالب ، لأنه لا يمكن أنما محمد
صلى الله عليه وآله ، بل كان عمه ، وهذا حذر عديم أن يكون العم - وهو آرد - مشركا كما قد
اقترحوه في تأويلهم ، لا يمكن لهم حجة من حد الوحي على إسلام أي طالب

واحتجوا في إسلام الآباء بما روى عن جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال : يبعث
الله عند المظت يوم القيامة وعليه سبها والأسياء وبها الملوك

وروى أن العباس بن عبد المطلب قال رسول الله صلى الله عليه وآله بالمدينة يا رسول
الله ، ما ترحول أي طالب ؟ فقال : أرحوله كل حذر من الله عز وجل

وروى أن رجلا من رحل الشيعة ، وهو أنان بن محمود كتب إلى علي بن موسى
الرضا عليه السلام . خُفيت فداك ! إني قد شككت في إسلام أي طالب فكتب إليه :
(وَمَنْ شَاقَّقَ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ هُدًى وَنَفَعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ^(١) . يَا آلَةَ ،
وبعدها إنك إن لم تقرر بإيمان أي طالب كان مصيرك إلى النار .

وقد روى عن علي بن محمد الباقر عليه السلام أنه سئل عما يقوله الناس : إن أنا طالب
في شخص من نار ؟ فقال : لو وضع إيمان أي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في
الكفة الأخرى لرحح إيمانه . ثم قال : ثم نعموا أن أمير المؤمنين عليا عليه السلام كان
يأمر أن يحج عن عبد الله وأبيه^(٢) وأي طاس في حياته ، ثم أوصى في وصيته بالحج عنهم !
وروى أن أبا بكر جاء نبي فحافة في النبي صلى الله عليه وآله عام الفتح يقوده ،

وهو شيخ كبير أعمى ، فقال رسول الله : « لا تركت الشيخ حتى تأتيه ! » فقال : أردتُ
 يا رسول الله أن يحرقه الله ! أما والذي مثلك بالحق لأنا كنت أشدَّ فرحاً بإسلام عمك أبي طالب
 متى بإسلام أبي ، ألنس بذلك قرّة عينك ، فقد : صدقت .

وروى أن علي بن الحسين عليه السلام سئل عن هذا ، فقال : واعلموا ! إن الله تعالى
 ينهى رسوله أن يقرّ مصة على كاح كافر ، وقد كانت فاطمة بنت أسد من اتبعت إلى
 الإسلام ، ولم تزل تحت أبي طالب حتى مات

ويروي قوم من الرضاة أن أبا طالب أسد المحدثون عنه حديثاً ينتهي إلى أبي
 رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال : سمعتُ أبا طالب يقول بحكمة . حدثني
 محمد بن أبي أنس ربه عنه مصة رزح ، وأن يسدّه وحده لا يسد معه غيره ، ومحمد عدي
 الصادق الأمين .

وقال قوم : إن قول النبي صلى الله عليه وآله . « أنا وكافلُ اليتيم كهاتين في الجنة »
 إنما عني به أبا طالب .

وقالت الإمامة : إن ما يرويه العامة من أن عينا عليه السلام وجهه لم يأحدا من
 تركه أبي طالب شيئاً حديث موضوع ، ومذهب أهل البيت بخلاف ذلك ، فإن المسلم
 عديم يرث الكافر ، ولا يرث الكافر المسلم ، ولو كان أعلى درجة منه
 في النسب .

قلوا : وقوله صلى الله عليه وآله . « لا نورث ابن أهل متنين » ، قول موجه ، لأن
 التوارث تعاض ، ولا تفاعل عندما في ميراثهما ، فقط يستدعي انطوائين ، كالتصاريح لا يكون
 إلا من اثنين ، قالوا : وحُبُّ رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي طالب معلوم مشهور ، ولو

كَانَ كَافِرًا مَا جَارَ لَهُ حَتَّى لَقَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ... ﴾ ^(١) الآية .

قالوا : وقد اشتهر واستفاض الحديث وهو قوله صلى الله عليه وآله لعقيل : « أَمَا أَحَبُّكَ حَبِيبٍ : حَبِيبًا لَكَ ، وَحَبِيبًا لِحَبِيبِ أَبِي طَالِبٍ فَزَيَّرَهُ كَانَ يُحِبُّكَ » .

قالوا : وخطبة التسكاح مشهورة ، حطها أبو طالب عند يسكاح محمد صلى الله عليه وآله خديجة ، وهي قوله : « الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل ، وجعل لنا بلدا حراما ويثنا محجوجا ، وحطنا الحسكاه على الناس . ثم إن محمد بن عبد الله أخى من لا يوارى به فتى من قریش إلا رجع عليه رؤا وفصلا ، وحرما وعقلا ، ورأيا ونسلا ، وإن كان فى انسال قلنا فإيما المسال طر رائل ، وعارية مسترحمة ، وله فى خديجة مدت حويله رعية ، ولها فيه مثل ذلك ، وما أحسن من الصدأق فعلى ، وله والله بعد بيا شائع وحطب جليل » .

قالوا : أفترأى يعلم ساء التثنع وحطه الحليل ، ثم يعاديه ويكذب به ، وهو من أولى الألباب ، هذا غير سائح فى العقول !

قالوا : وقد روى عن أنى عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « إن أصحاب الكهف أسرو الإيمان ، وأطهروا الكفر فآثم الله أحرم مرتين ، وإن أبا طالب أسر الإيمان ، وأظهر الشرك ، فآثم الله أجره مرتين . »

وفى الحديث المشهور : إن حبرائيل صبه السلام قال له ليلة مات أبو طالب : اخرج منها فقد مات ناصرك .

قالوا : وأما حديث الصحاح من النار ، فإنما يرويه الناس كلهم عن رجل واحد ، وهو المغيرة بن شعبه ، ونصه لبي هاشم وهلى الحصوص لعلى عليه السلام مشهور معلوم ، وقصته وفسقه غير خاف .

وقالوا: وقد روى بأسانيد كثيرة بعضها عن العباس بن عبد المطلب ، وبعضها عن أبي بكر بن أبي قحافة، أن أبا طالب مات حتى قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله . والخبر مشهور أن أبا طالب عند الموت قال كلاماً جليلاً ، فأنصحنى إليه أخوه العباس ، ثم رفع رأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : يا بن أحمى ، والله لقد ظلمنا عمك ، ولكم صف عن أن يبلغك صوته .

وروى عن علي عليه السلام أنه قال : مات أبو طالب حتى أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله من نفسه الرضا .

قالوا: وأشعار أبي طالب تدل على أنه كان مسلماً ، ولا فرق بين الكلام المطوم والمنثور إذا تصبنا إقراراً بالإسلام ، ألا ترى أن يهودياً لو توسط حماة من المسلمين ، وأشد شعراً قد ارتحله ونظمه يتصمّن الإقرار بسوء محمد صلى الله عليه وآله ، لكنا نحكم بإسلامه كما لو قال : أشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله ! فمن تلك الأشعار قوله^(١) :

يُرْجُونَ مَا حَطَّ دُونَ ثِيْلِهَا	يُضْرَبُ وَطْمَنٌ بِالْوَشِيحِ الْمَقْوَمِ
يَرْجُونَ أَنْ نَحْيَى بِقَتْلِ مُحَمَّدٍ	وَلَمْ تَحْتَضِ مَعْرُ الْمَوَالِي مِنَ الدِّمِ
كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ حَتَّى تُلْقُوا ^(٢)	تَجَاهَمَ تُلْقَى بِالْخَطْبِ وَرَمَرَمِ
وَتُقَطَّعَ أَرْحَامٌ وَتَنْسَى حَلِيلَةٌ	حَلِيلًا ، وَيُضَى مُحَرَّمٌ بَعْدَ مُحَرَّمِ
عَلَى مَا مَضَى مِنْ مَقْتِكُمْ وَعُقُوقِكُمْ	وَعُشْيَاكُمْ فِي أَمْرِكُمْ كُلِّ مَا تَهْمُ
وَعَظَمَ بَيٍّ جَاءَ يَدْعُو إِلَى الْهَدَى	وَأَمْرَ آتِي مِنْ عَدُوِّ الرِّشْقِ قِيمِ

(١) دوائه ١٥٢ - ١٥٤ ؛ من لمبيدة أوما :

أَلَا مَنْ لِيَهُمْ آخِرَ اللَّيْلِ مُنْهِمِ طَوَائِي وَأُخْرَى الْعِجْمِ لَمَّا تَعْتَمِ

(٢) الديوان : « تعرفوا » .

فَلَا نَحْسِبُوا مُلِيهِ فِشْلُهُ إِذَا كَانَ فِي قَوْمٍ فَلَيْسَ عَسْلُهُ

ومن شعر أبي طالب في أمر الصبيفة التي كتبتا قريش في فطيمة بنى هاشم :

أَلَا أَلْبَعَا عَنِّي عَلَى ذَاتِ مَبْهَمَا لَوْيَا وَخُصًّا مِنْ لَوْيِ بَنِي كَمَرٍ ^(١)
 أَلَمْ نَعْلَمْ أَنَّ وَجْدَنَا مَحْدَا رَسُولًا كَوْسَى حُطٍّ فِي أَوَّلِ الْكَتَبِ
 وَأَنْ عَلِيًّا فِي الْعَادِ مَحْتَا وَلَا حَتِيفَ فِيمَنْ خَصَّهُ اللَّهُ بِالْحَبِ ^(٢)
 وَأَنْ الَّذِي رَقَشْتُمْ فِي كِتَابِكُمْ يَكُونُ لَكُمْ يَوْمًا كِرَاعِيَّةُ السَّفِ ^(٣)
 أَفَبِقُوا أَمَقُوا قَبْلَ أَنْ تُحْفَرَ الرُّبَى وَبَصَحَ مَنْ لَمْ يَحْنِ ذُبَا كَذَى دَمِ
 وَلَا تَنْبَعُوا أَمْرَ الْعَسَاوَةِ ^(٤) أَوَامِرَنَا بِعَسَدِ الْمَوَدَّةِ وَالْقَرَبِ
 وَتَسْتَحِلُّوا حَرَمًا عَوَانًا وَرَنْسَا أَمَرَ عَلَى مَنْ ذَاقَهُ حَبُّ الْحَرْبِ
 فَلَسَا وَيَتَرِ اللَّهُ نُسْلِمَ أَحْمَسَا ^(٥) لِعِرَآءٍ مِنْ عَضِّ الزَّمَانِ وَلَا كَرِ
 وَأَمَّا تَبِنَ مِنَّا وَمَكْمُ سَوَالِفَ وَأَبْدٍ أُتِرَتْ بِالْمَهْنَةِ الشُّهْبِ ^(٦)
 بِمَعْرَكٍ صَيَّقَ تَرَى قِصَصَ الْقَنَا بِهِ وَالصَّاعِ الْعُرْخَ نَعِيفَ كَالشُّرْبِ ^(٧)
 كَأَنَّ مَحَالِ الْحِيَلِ فِي حَحَرَاتِهِ وَعَمَّةِ الْأَطَالِ مَعْرَكَةِ الْحَرْبِ
 أَلَيْسَ أَبُونَا هَاشِمٌ شَدَّ أَرْزَهُ وَأَوْصَى بَنِيهِ بِالطَّلَانِ وَالْعَرْبِ
 وَلَسْنَا نَعْلُ الْحَرْبَ حَتَّى تَمْلُكَا وَلَا نَشْتَكِي مِمَّا يَنْوِبُ مِنَ الشُّكْبِ ^(٨)

(١) ديوان : ٢٠ - ٢٤

(٢) الرهاء : صوت الإبل - وابت : ولد الناقة .

(٣) أترت : قطعت . والمهنة : الجوب .

(٤) قصد القنا : قطع الرماح المتكسرة

(٥) الشكب والشكة : الصية .

ولكننا أهل الحفاظ والنهي إذا طار أرواح السكّاة من الرّعب

ومن ذلك قوله :

فلا تُسفيها أحلامكم في محمّد
نميت أن تقتلوه وإتعا
وإنكم والله لا تقتلونه
رغمنا نأنا مسعود محمّدا
من القوم مفصّل أين على العدا
أمين حيث في العباد مسوم
يرى الناس برهانا عليه وهيه
بني أماء الوحي من عذر

ولا تُنصوا أمر العواة الأشيم^(١)
أمانيسكم هذي كأحلام فائهم
ولما تروا قطف اللّحي والجاحم^(٢)
ولما نقادف دونه وزاحم
نمكن في الفرعين من آل هاشم
محام ربّ قاهر في الحسوانم
وإن جاهل في قومه مثل عالم
ومن قال لا يفرع بها سنّ يادم

ومن ذلك قوله - وقد عصب لعنان بن مطعون (المحبي) ، حين عدّته فريش

وبالت منه .

أمين تذكّر دهر عبر مأمون
أم من تذكّر أقوام ذوى عه
ألا ترون - أدلّ الله جمعكم
ونمع الصّيم من بيني مضامتنا
ومرهمات كأنّ الملح حاطها
حق مرّ رجال لا حلوم لها

أصحت مكتبا نيكى كعزوين^(٣)
يمشون بالظلم من يدعو إلى الدّين
أنا عصنا لعنان بن مطعون
بكلّ مطرد في الكفّ مسنون
بشيء هب الدّاء من هام الحامين
بصد الصّعوبة بالإسماح واللين

(١) ديوانه ١٥٥ - ١٥٨ ، من قصيدة مصمما .

لنّ أرتع أقوين بين القوايم

(٢) الديوان . « لئلا سم » .

فقد تذكّاه الرّاح التّوائم

(٣) ديوانه ١٧٣ .

أو تؤمنوا بكتاب مُرْكٍ نَحْبٍ قَلَى بَعِي كَوْتَى أَوْ كَدَى النُّونِ ^(١)
 قالوا : وقد جاء في الخبر أن أبا جهل بن هشام جاء مرة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ساجد ويده حتر يريد أن يرصّح به رأسه، فلفق الحجر بكفه فلم يستطع ما أراد، فقال أبو طالب في ذلك من جهة أبيات :

أَفِيقُوا مِنِّي نَحْمًا وَاتَّهَوُ عَنْ الْعَمَى مِنْ بَعْصِ دَا الْمَطْوِ ^(٢)
 وَإِلَّا فَإِنِّي إِذَا خَافَ بَوَائِقَ فِي دَارِكُمْ تَلْتَقِي ^(٣)
 كَمَا دَاقَ مَنْ كَانَ مِنْ قَبِيكُم ثَمُودَ وَعَادَ وَمَادَا بَقِيَ
 وَمَهَا :

وَأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ فِي أَمْرِكُمْ عَجَابَ فِي الْحَصْرِ الْمَصْقِ
 كَفَّ الَّذِي قَامَ مِنْ حِينِهِ إِلَى الصَّابِرِ الصَّادِقِ الْمُتَّقِ
 فَانْتَبَهَ اللَّهُ فِي كَفِّهِ عَلَى رَنْعَةِ الْحَاثِ الْأَحْمَقِ
 قالوا : وقد اشتهر عن عبد الله المأمون رحمه الله أنه كان يقول : أسلم أبو طالب والله بقوله :

بَصُرْتُ الرَّسُولَ رَسُولَ الْمَلِكِ بَصِيرَ تَلَالَا كَلِمَ الْهَرُوقِ ^(١)
 أَذُبُ وَأُحِي رَسُولَ الْإِلَهِ حَابَةَ حَامٍ عَيْبِهِ شَعِيقِ
 وَمَا إِنْ أَدَبُ لَأَعْدَانِهِ دَبَبَ الْيَكَارِ حَذَارِ الْعَيْقِ ^(٢)
 وَلَكِنْ أَرِيرُ لَهْمُ سَامِيَا كَمَا رَارَ لَيْثٌ يَعْجِلُ مَصِيقِ

(١) مدح في الديوان .

يَأْتِي بِأَمْرِ جَلِيٍّ عَيْرِ ذِي عَوَجٍ كَمَا تَبَيَّنَ فِي آيَاتِ يَاسِينَ
 (٢) ديوانه ٩٤ (٣) مدح في الديوان :

تَكُونُ لَعِيرِكُمْ عَمْرَةً وَرَبُّ الْمَعَارِبِ وَالشَّرِيقِ

(٤) ديوانه ٩٨

(٥) الفقيه : الفصل المكرم على أمه .

قالوا : وقد جاء في السيرة ، وذكره أكثر المؤرخين ، أن عمرو بن العاص لما خرج إلى بلاد الحبشة ليكيد جعفر بن أبي طالب وأصحابه عند انجاشي ، قال :

تقول ابنتي أين ابن الرحيل وما البين متى يستنكر
فقلت دعيني فإني امرؤ أريد النجاشي في جعفر
لأكويه عنده كنية أقيم بها نحوه الأصغر
ولن أشي عن بني هاشم عما سخط في الغيب والحصر
وعن عائب اللات في قوله ونولا رصا اللات لم تظفر
وإني لأشئ قريش له وإن كان كالذهب الأحمر

قالوا : فكان عمرو يسمى الثاني ابن الثاني ، لأن أمه كان إدا مرة عليه رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة يقول له : والله إني لأشؤك ، وفيه أنزل : ﴿ إِنْ شَاءَ لَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾^(١) . قالوا . فكتب أبو طالب إلى النجاشي شعرا يحرضه فيه على إكرام جعفر وأصحابه والإعراض عما يقول عمرو فيه وفيهم ، من حمته :

ألا ليت شعري كيف في الناس جعفر وعمر وأعداء النبي الأكارب^(٢)
وهل نال إحسان النجاشي حفرا وأصحابه ، أم عاق عن ذلك شاعرا
في أبيات كثيرة .

قالوا : وروى عن علي عليه السلام أنه قال : قال لي أبي : يا بني الزم ابن عمك ، فإنك تسلم به من كل بأس عاجل وآجل ، ثم قال لي :
إن الوثيقة في لروم محمد فاشدد بصحبته على أيديكما

ومن شعره المناسب لهذا المعنى قوله :

إن عليا وحفصا تقى عند ملء الزمان والثوب^(١)
لا تحذلا واصر ابن عمك أحي لأمتي من بينهم وأنى
والله لا أحدل البى ولا يحذله من بى ذو حسب

قالوا : وقد جاءت الرواية أن أبا صاب لمّا مات جاء على عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأدبه بموته ، فتوخم عطيا وحرر شديدا ، ثم قال له : امض فتولّ عنه ، فإذا رفعتك على سريرك فأعصى ، فعص فاعتصره رسول الله صلى الله عليه وآله وهو محمول على رهوس الرجال ، فقال : وصنّك رحم ياعم ، وحرّيت حيرا ! فلقد زيّنت وكفّلت صغيرا ، ونصرت وآردت كبيرا ! ثم نسه إلى سفرته ، فوقف عنده ، فقال : أما والله لأستعمرن لك ، ولأشعن فيك شعاعة بمحب لها الثقلان .

قالوا : والمسلم لا يجوز أن يتولّى عمل الكافر ، ولا يجوز للشيء أن يرقّ لكافر ، ولا أن يدعو له بحبر ، ولا أن يمده بالاستعمار والشعاعة ، وإيما تولّى على عليه السلام عنه ، لأن طالبا وعقيلًا لم يكونا سلما بعد ، وكان حصر بالحشة ، ولم تسكن صلاة الجنائز شرعت بعد ، ولا صلى رسول الله صلى الله عليه وآله على حديجة ، وإيما كان تشيع ورقة ودعاء .

قالوا : ومن شعر أى طالب يحاطب أحاه حمزة ، وكان يكنى أبا يعلى :

فصير أبا يعلى على دين أحمد وكن مظهرا للدين وهنت صابرا
وحط من أنى بالحق من عهد ربه بصدق وعزم لا تكن تحرّ كافرا
فقد سرّنى إذ قلت إنك مؤمن فكى لرسول الله فى الله ناصرا

وبادِ قريشاً بالذي قد أتت به هـ
حجازاً وقل ما كان أحد ساحرا

قالوا : ومن شعره المشهور :

أنت النبي محمد قرم أعز مسود^(١)

لمسودين أكارم طابوا وطاب المولد

هم الأرومة أصلها عمرو الحصم الأوحده^(٢)

هشم الربيعة في الحما وعيش مكة أنكد^(٣)

غرت بذلك سنة فيها الخيرة ثرد^(٤)

ولما السقاية للحميج بها يلمات العسد^(٥)

والأرمان وما حوت عرفانها والمجد

أى تصام ولم أمسك وألشعاع العرند^(٦)

ونطاح مكة لا يرى به يجمع أسود

وبنو أيبك كأنهم أحد العرب توقد

ولقد عهدتكَ صادقاً في القول لا تنزید

ما رالت تفتق بالصوا ب وأنت طفل أسرد

قالوا : ومن شعره المشهور أيضاً قوله يحاطب محمدا ، ويسكن حاشه ، وبأسره

بإظهار الدعوة :

لا يجمعنك من حق تقوم به أيدي تصول ولا سلق بأصوات^(٧)

(١) ديوانه ٧٠ - ٧٢

(٢) الحصم : الكثير اعطاء

(٣) الربيعة : طعم يميل من تمر وأقط وسمين .

(٤) الخيرة : الخير ، وفي الأساس : « تردت الخمر أثرده » وهو أن تحته ثم تله عرق .

(٥) العسد : الرطب في الأصل : الحبة ؛ وهو كناية عن الشعاعة

(٦) العرند : الرطب .

(٧) ديوانه ٥٠

فإن كفتك كفى إن بليت بهم ودون فمك ضفى في اللغات
ومن ذلك قوله ، ويقال لها لطالب ر أبي طالب :

إذا قيل من خير هذا الورى قبيلاً وأكرمهم أشره^(١) ؟
أما ف لبدر صاف أب وفصله هاشم العزة
لقد حل محمد بنى هاشم مكان النعائم والنعمة
وخير بنى هاشم أحمد رسول الإله على فتره
ومن ذلك قوله :

لقد أكرم الله النبي محمد فأكرم خلق الله في الناس أحمد^(٢)
وشق له من اسمه بيحسبه هو والعرش محمود وهذا محمد
وقوله أيضا ، وقد يروى لعل عليه السلام :

يا شاهد الله على قاشهد^(٣) أبى على حسن النبي أحمد

* من ضل في الدين فابى مهتد *

قالوا : فكل هذه الأشعار قد جاءت بحىء التواتر ، لأنه إن لم تكن آحادها متواترة ،
فمجموعها يدل على أمر واحد مشترك ؛ وهو تصديق محمد صلى الله عليه وآله ، ومجموعها
متواتر كما أن كل واحدة من قتلات على عليه السلام العرسا منقولة آحادا ، ومجموعها
متواتر ، يفيدنا العلم الصرورى شعايته ، وكذلك القول فيما روى من سخاء حاتم ،
وحلم الأحف ومعاوية ، ودكاء إياس وحلاعة أبى نواس ، وغير ذلك ، قالوا : واتركوا
هذا كله حابيا ، ما قولكم في القصيدة اللامية التى شهرتها كشيرة " قنابك " وإن
جاز الشك فيها أوى شيء من أبياتها ، حار الشك فى " قنابك " وفى بعض أبياتها ، ونحن
نذكر منها هاهنا قطعة وهى قوله :

أَعُوذُ بِرَبِّ الْبَيْتِ مِنْ كُلِّ طَاعِنٍ
وَمِنْ فَاجِرٍ بَعَثْنَا مَخِيضَةً
كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ يُنْزَى
وَتَصْرَعُ حَقِّي نَصْرَعُ دُونَهُ
وَحَتَّى تَرَى ذَا الرَّدْعِ يَرْكَبُ رَدْعَهُ
وَيَهْصُ قَوْمٌ فِي الْحَدِيدِ إِلَيْكُمْ
وَأَنَا وَبَيْتُ اللَّهِ مَنْ جَدَّ جَدًّا
يَكُلُّ فَتَى مِثْلَ الشَّهَابِ تَمِيدُ
وَمَا تَرَكَ قَوْمٍ لَا أُنَالِكَ سَيْدًا
وَأَيُّهُمْ يُنْتَقَى الْهَامُ بُوْحِيهِ
يَلُودُّهُ الْهَلَاكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
وَمِيرَانُ صِدْقٍ لَا يَحْسُ شَعْرَةً
أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ ابْنَنَا لَا مَكْدُبَ
أَعْمَرِي لَقَدْ كَلَّفْتُ وَحْدًا أَحَدِي
وَحُسَدَتُ بِنَفْسِي دُونَهُ لِحَيْتِهِ
فَلَا زَالَ لِلدُّنْيَا حَالًا لِأَهْلِهَا
وَأَيْدِي رَبِّ الْعِبَادِ بَصْرُهُ

عَبَا سُوهُ أَوِيلُوح يَبَاطِلُ^(١)
وَمَنْ مَلَحَقٌ فِي الدِّينِ مَالِمٌ مَحَاوِلُ
وَلَمَّا طَاعِنٌ دُونَهُ وَتَنَاصِلُ^(٢)
وَبَدَّهَلٍ عَنْ أَبْنَانَا وَالْحَلَالِلُ
مَنْ أَعْطَمَ فَعَلِ الْأَنْكَبُ لِلتَّحَامِلِ^(٣)
يَهْوِضُ الرُّوَايَا نَحْتِ دَاتِ الصَّلَاحِلِ^(٤)
لَتَلْتَسِنُ أَسْيَافُنَا بِالْأُمَائِلِ^(٥)
أَخِي تَهْمَةٌ عِنْدَ الْخَفِيطَةِ بَاسِلُ
مُحَوَّلُ الدِّمَارِ غَيْرِ يَكْسٍ مَوَاطِلِ^(٦)
يَحْمَلُ الْيَتَامَى عِصَّةً لِلْأَرَامِلِ^(٧)
فَهَمٌ عِنْدَهُ فِي بَعْضَةِ فَوَاصِلِ
وَوِزَانُ صِدْقٍ وَرَبِّهِ غَيْرُ عَائِلِ^(٨)
لَذَيْنَا، وَلَا يَبْعَا نَقُولُ الْأَبَاطِلُ
وَأَحْسَنُهُ حَبَّ الْحَبِيبِ الْمَوَاصِلُ
وَرَدَعْتُ عَنْهُ بِالذُّرَى وَالْكُوَاهِلُ
وَشَيْئًا لِمَنْ عَادَى وَزَيْنَ الْحَاوِلُ
وَأُظْهِرُ دِينًا حَقَّهُ عَمِيرُ بَاطِلُ

(١) ديوانه ١٠٠ - ١٣٤
(٢) تدرى ، أى طلب
(٣) يركب رده : يجرّ لوحه على دمه ، ولرّدع : قلع والأثر من اهدم .
(٤) الروايات : جمع راوية ؛ وهو سمير يستنى عليه . ودب لصلال : الزادة التى ينزل فيها الماء .
والصلال جمع صصلة ، وهى بقية الماء فى إلداوة .
(٥) الأمانيل : الأشراف
(٦) القديرون . غير دروب .
(٧) يحال اليتامى : عمادهم .
(٨) يحال : عال الميراث يقول ، إدا مال .

وورد في السيرة والمعارى أن عتمة بن ربيعة أو شيبه لما قطع رجل عبيدة بن الحارث بن المطيب يوم بدر أشبل^(١) عليه على وحمرة فاستفقداه منه وحطأ عتمة سيفهما حتى قتلاه ، واحتملا صاحبهما من المعركة إلى العريش ، فألقياه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإن مع ساقه يسيل ، فقال : يا رسول الله ، لو كان أبو طالب حياً لعلم أنه قد صدق في قوله :

كُذِّبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ مُحَلًى مُحَمَّدًا وَأَنَا نَظَائِرُ ذُوْنِهِ وَسَبِيلِ
وَبَصْرُهُ حَتَّى بَصَرَ عِ حَوْلَهُ وَبَدَّهْلَ عَنْ أَمَانَتِهِ وَالْحِلَالِ

فقالوا : يا رسول الله صلى الله عليه وآله اسمع مني ولأني طاب يومئذ ، وطلع عبيده مع النبي صلى الله عليه وآله إلى الصُّرَاءِ فمات فذهبي بها .

قالوا : وقد روي أن أعرابياً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في عام حُدَبٍ ، فقال : أبيتك يا رسول الله ولم يبق لنا صبي لا يرتضع ، ولا شارب^(٢) يخرنم أشده :

أُنِيْمَاكَ وَالْمُدْرَاءَ نَذَمْنِي بِسُوءِهَا وَقَدْ شَعَتِ أُمُّ الرَضِيعِ عَنِ الطُّغْلِ
وَأَلْقَى نَكْمِيهِ الْعَتَى لَا سِتْكَانَةَ مِنْ الْخَوْعِ حَتَّى مَا يُمَرُّ وَلَا يُحْمَلِ
وَلَا شَيْءٌ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ عَدَدَهُ سِوَى الْحَمِطِلِ الْعَامِيِّ وَالْإِلْمَرِ الْفَسَلِ
وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا إِلَيْكَ فِرَارُهَا وَأَبَى فِرَارِ النَّاسِ إِلَّا إِلَى الرَّسْلِ !

فقام النبي صلى الله عليه وآله إلى يحرّ رده ، حتى صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : « اللهم استقم علينا معيتنا ، صرنا هيينا ، مرنا سحنا سحالا ، عذقا طيقا قاطبا ، دائما درّا تحمي به الأرض ، وتثبت به الرزق ، وتدرّ به الصرع ، واجعله سفيا نافعا عاجلاً غير راث » ، فوالله ، ما ردّ رسول الله صلى الله عليه وآله يده إلى بحره حتى ألفت السماء

أروا قها ، وجاء الناس يضحون : العرق العرق يا رسول الله ! فقال : اللهم حوّاينا ولا علينا ،
فأجاب السحاب عن المدينة حتى استدار حوها كالإكليل .

فصحك رسول الله حتى بدت بواحدة ، ثم قال : قد درّ أبي طالب ! لو كان حيّاً
لقرنت عيبه . من يشد ما قوله ؟ فقام عليّ فقال : يا رسول الله ، لعلك أردت :
« وأيسر يُسقى الدمُ بوحه »

قال : أجل ، فأشده آياتاً من هذه القصيدة ، ورسول الله يستمع لأبي طالب على
المذبح ؛ ثم قام رجل من كفانة فأشده :

لَكَ الْحَمْدُ وَالْحَمْدُ مِمَّنْ شَكَرَ	شَقِينَا بِوَجْهِ النَّبِيِّ الْمَطْرُ
دَعَا اللَّهَ حَانَقَهُ دَعْوَةً	إِلَيْهِ ، وَأَشْجَحَ مِنْهُ الْبَصَرُ
هِيَ كَانَتْ إِلَّا كَمَا سَاعِدِ	أَوْ قَصَرَتْ حَتَّى رَأَتْهَا الدَّرَرُ
دِفَاقَ الْعَرَالِي وَحَمَّ الْبِدَايِ ^(١)	أَعْنَتْ بِهِ اللَّهُ عُنْيَا مُعْتَرِ
هَكَانَ كَمَا ظَلَمَ نَعْمَةً	أَبُو طَالِبٍ دُونَ رُوَادِ غُرُورِ
« يَسِّرَ اللَّهُ صَوْبَ الْعَامِرِ	هَذَا الْعِيَالِ وَذَاكَ الْخَبِرِ
فَمَنْ يَشْكُرُ اللَّهَ يَلْقَ الْمَزِيدَ	وَمَنْ يَكْفُرُ اللَّهَ يَلْقَ الْعِيبَ

فقال رسول الله : إن يكن شاعر أحسن فقد أحت .

قالوا : وإنا لم نطهر أبو طالب الإسلام وبجاءه به ، لأنه لو أظهره لم ينتهياً له من
أُصْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَا نَهَيْتُ لَهُ ، وكان كواحد من المسلمين الذين اتسموه ، نحو
أبي بكر وعبد الرحمن بن هوف ، وغيرهما ممن أسلم ، ولم يتمكن من نُصْرَتِهِ وَالْقِيَمِ دُونَهُ

(١) العرالي : جمع عرلاء ، وهي في الأصل : مصب الماء من القرية والبرادية ، وهال السحابة إذ انهمرت
بالطر . قد حلت عراليا ، وأرسلت عرالياً وأعاد العرالي يسقى بالماء .

حيثئذ، وإتّما تمكّن أبو طالب من الخدمة معه بالثبات في الظاهر على دين قريش وإن أبطن الإسلام؛ كما لو أن إسما كان سطين التشيع مثلا، وهو في بلد من بلاد الكرامية، وله في ذلك البلد وجهة وقدّم، وهو بظهر مذهب الكرامية، ويحفظ ناموسه بينهم بذلك، وكان في ذلك البلد نفر يسير من الشيعة لا يرالون يبالون بالأذى والصّرر من أهل ذلك البلد ورؤسائه، فبته مادام قادرا على إظهار مذهب أهل البلد، يكون أشدّ تمكّنا من المدافعة والحماية عن أولئك التمر، فلو أظهر ما يحور من التشيع، وكاشف أهل البلد بذلك، صار حكمه حكم واحد من أولئك التمر، وخلق من الأذى والصّرر ما يلحقهم، ولم يتمكن من الدفاع أحيانا عنهم كما كان أولا.

قلت: فإما أما عين الحال متسقة عدوى، والأحبار متعارضة؛ والله أعلم بحقيقة حاله كيف كانت^(١).

ويقف في صدرى رسالة النفس الزكية^(٢) إلى المنصور، وقوله فيها: «فأما ابن حبر الأحبار، وأما ابن شرّ الأشرار، وأما من سدد أهل الحق، وأما من سيد أهل النار». فإنّ هذه شهادة من علي أبي طالب بالكفر، وهو ابنه وغير منهم عليه، وعهد قريب من عهد النبي صلى الله عليه وآله، لم يطل الزمان فيكون الخبر مقتعلا.

وحالة الأسر أنه قد روى في إسلامه أحاديث كثيرة، وروى في موته على دين قومه أخبار كثيرة، فتعارض الخرح والتعديل، فكان كتهارض البيهتين عند الحاكم، وذلك يقتضى التوقف، فأما في أسره من المتوقفين.

(١) وصح الشيخ المفيد رسالة في بيان أبي طالب، طبع في مجموعة هاشم المحفوظات، العدد الثالث من المجموعة الأولى. طبع في النصف سنة ١٩٥٦.

(٢) هو محمد بن عبد الله بن الحسين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الملقب بالأرقط و«الهدى والنفس الزكية»، خرج على المنصور فأنزل في مكوه في سجن وخمس رحلا، فقص على أمير الدولة، وباعه أهلها فابتعد المنصور لقناله ولم يعهده عيسى بن موسى، فصار إليه، وانتهى الأمر بقتله سنة ١٢٥ هـ. (مقاتل الصابيين ٢٣٢).

فإنما الصلاة وكونه لم يُنقل عنه أنه صلى ، فيجوز أن يكون لأن الصلاة لم تكن بعد قد فرصت ، وإنما كانت فلا غير واجب ، فمن شاء صلى ، ومن شاء ترك ، ولم تفرض إلا بالمدينة ، ويمكن أن يقول أصحاب الحديث : إذا تعرض الجرح والتعديل كما قد أشرتم إليه ، فالترجيح عند أصحاب أصول الفقه لجانب الجرح ، لأن الجرح قد اطلع على زيادة لم يطلع عليها المعدل .

ولخصومهم أن يحسبوا عن هذا فنقول : إن هذا إنما يقال ويذكر في أصول الفقه في طعن مفصل في مقابلة تعديل محل ، مثاله أن يروى شعبةٌ مثلاً حديثاً عن رجل ، فهو روايته عنه قد وثقه ، ويكفي في توثيقه له أن يكون مستور الحال ، فظاهر العدالة . فطعن فيه الدارقطني مثلاً بأن يقول : كان مدلساً ، أو كان يرتكب الذنوب العلانية ، فيكون قد طعن طعناً منفصلاً في مقابلة تعديل محل ، وفيما نحن فيه ونصدده الروايات متعارضتان تفصيلاً لا إجمالاً ، لأن هؤلاء يروون أنه تكلم بكلمات الشهادة عند الموت ، وهؤلاء يروون أنه قال عند الموت : أما على دين الأشباح .

وبمثل هذا يحاب من يقول من لشعبة . روايتنا في إسلامه أرحح ، لأنها يروى حكماً إيجابياً وشهد على إثبات ، وخصوماً يشهدون على النفي ، ولا شهادة على النفي ، وذلك أن الشهادة في الجاسين معا ، إنما هي على إثبات ، وليس كذلك إثبات متصداً .

وصف بعض الطالبيين في هذا العصر كتماناً في إسلام أبي طالب ، وبعثه إلى ، وسألى أن يكتب عليه ^(١) بخطي بطما أو نثرأشهد فيه بصحة ذلك ، وبوثاق الأدلة عليه ، فتحررت أن أحكم بذلك حكماً قطعاً ، لما عدى من التوقف فيه ، ولم أستحز أن أقعد عن تعظيم أبي طالب ، فإني أعلم أنه لولاه قامت للإسلام دعة . وأعلم أن حقه واجب على كل مسلم في الدنيا إلى أن تقوم الساعة ، فكانت على ظاهر الخلد :

وَلَوْلَا أَبُو طَالِبٍ وَاسْتِغَاثَةُ
فَدَاكَ عَمَّةٌ آوَى وَحَامِي
لَمَا مَثَلَ الدِّينَ شَحْصًا قَامَا
وَهَذَا يَثْرَبُ حَسَّ الْحَامَا^(١)
تَكْفَلُ عِنْدُ مَنْ دَامِرٍ
وَأَوْدَى فَكَانَ عَلَى تَمَامَا
فَقُلْ فِي تَبْيِيرٍ مَعْنَى مَعْدَا
فَقَضَى مَا قَضَاءُ وَأَبْقَى كَيْفَمَا
فَلَهُ دَا فَاتِحًا لِلْهُدَى
وَلِلَّهِ ذَا الْمَعَالَى خِتَامَا
وَمَا صَرََّ مَحْدًا أَيْ طَالِبَ
حَبُولٍ أَمَّا أَوْ بَصِيرَةٍ تَمَامِي
كَمَا لَا بَصَرَ إِيَّاتِهِ الصَّاحِبِ^(٢)
مَنْ طَلَّ صَوَاهِرَ الْهَارِ الْعَلَامَا
هَوَيْتَهُ حَقًّا مِنَ التَّعْطِيمِ وَالْإِحْلَالِ ، وَلَمْ أَحْرَمْ دَامِرٍ عِنْدِي فِيهِ وَقَمَّةٌ .

[قصة قزوين بدر]

الفصل الثالث : في شرح القصة في عراة سر ، ونحو ذلك من كتاب " المعاري " .
لمحمد بن عمر الواقدي ، وقد ذكر ما عساه رده محمد بن إسحاق في كتاب " المعاري " ، وما
راده [أحمد بن]^(٣) يحيى بن حبيب البلاذري في " تاريخ الأشراف " .

قال الواقدي . بلغ^(١) رسول الله صلى الله عليه وآله أن عير قريش قد فصلت من مكة
تريد الشام ، وقد جمعت قريش فيها أموالها ، فذهب لها أصحابه ، وخرج بعرضها على رأس
سنة عشر شهراً من مهاجرة عليه السلام ، فخرج في خمسين ومائة . ويقال في مائتين .
فلم يلق العير ، وفاتته داهية إلى الشام . وهذه عراة دى انشيرة ، رجع منها إلى المدينة فلم
يلق حرباً ، فلما تحيى انصراف العير من الشام قافلة بدب أصحابها لها ، وبعث طلحة بن
عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قسلاً حروجه من المدينة بعشر ليال ،

(١) : « حسن » .

(٢) : إية الصبح : صوره ، وأصله في الشمس .

(٣) : معاري الواقدي ص ١١ وما بعدها .

(٣) من ١

يقعستان خير لغيره ، حتى يرآ على كشد^(١) الجحيم بالموضع المعروف بالنحار^(٢) ، وهو من وراء دى المروة على الساحل ، وفأحرهما وأرلهما ، فلم ير الا مقيمين في حياء وير حتى مرّت العير ، فرصهما على نشر من الأرض ، فطرا إلى القوم وإلى ما تحمل العير ، وحمل أهل العير يقولون لكشد : يا كشد ، هن رأيت أحدا من عيون محمد ؟ فيقول : أعود بالله ، وأنى لحمد عيون بالنحار ؟ فلما رحت العير ماتت حتى أصحنا ثم حرّحنا ، وخرج معهما كشد حثير ، حتى أوردتهما المروة ، وساحت العير فسرعت ، وسار بها أصحابها ليلاً ومهراً ، فوقفوا من الطلب ، وقدم طلحة وسعيد المدينة في يوم اتى رسول الله صلى الله عليه وآله قريشاً بدر ، فخرّحنا يمتريه رسول الله صلى الله عليه وآله ، فنقاه نهران - وتربل بين مثل والسالة على المحقة ، وكانت من عمره من أدبية الشاعر - وقديم كشد بعد ذلك على النبي صلى الله عليه وآله ، وقد أحبر طلحة وسعيد رسول الله صلى الله عليه وآله بما صمّع بهما ، فحماه وأكرمه ، وظل : ألا أقطع لك نفق ؟ قال : إي كبر . وقد بعد عمرى ، ولكن أقطعها لابن أخى ، فافطعها له^(٣) .

قالوا . وبذ رسول الله صلى الله عليه وآله مدّين ، وقال : هذه عير قريش ، فيها أموالهم : لعن الله أن بعثكموه ، فأسرع من أسرع ، حتى إن كان الرجل يساهم أياه في الخروج ، فكان ثم ساهم أياه سعد بن خيثمة ، فقال سعد لأبيه : إته لو كان غير الخفة آتيتك به ، إني لأرحو الشهادة في وجهي هذا ، فقال خيثمة : آتني وقرّ مع سائلك ، فأنى سعد ، فقال خيثمة : إته لا بد لأحدنا من أن يقيم ، فاستبها ، فخرج سهم سعد ، فقال بدر وأنط عن النبي صلى الله عليه وآله شرّ كثير من أصحابه ، وكرهوا خروجهم ، وكان في تلك كلام كثير ، واحتداف ، وصبغ تحلف من أهل النيات والمصائر ، لم يفتوا إته يكون قتال ، إثم هو الخروج للبيعة ، ولو ضلوا أنه يكون قتال لما تحتملوا ؛ منهم أسيّد

(١) الإصانة : كشد فالى نهملة وما أفتته من الأصول بواقي ما في معارى .

(٢) في معارى الو قدى : النحار من وراء دى المروة على الساحل .

(٣) خبر في الإصانة ٣ : ٣٧٧ .

ابن حَصِير ، فلما قَدِم رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال أُسَيْد : الحمد لله الذي سَرَك وأظهِرَكَ على عدوك ، والذي بعثك بالحق ما تَحَنَّنْتُ عَنْكَ رَغَةً بِنَفْسِي عَنْ نَفْسِكَ ، ولا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تَلَاقِي عَدُوًّا ، ولا ظَنَنْتُ إِلَّا أَنَّهُا أَعْيَرُ ! فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : صدقت .

قال . وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله ، حَتَّى أَتَاهِ إِلَى الْمَكَانِ الْمَعْرُوفِ بِالْبُقْعِ ^(١) وَهِيَ بِيُوتُ الثَّقِيَّاءِ ^(٢) ، وَهِيَ مُتَّصِلَةٌ بِبُيُوتِ الْمَدِينَةِ ، فَضَرَبَ عَسْكَرُهُ هَاكِ ، وَعَرَضَ الْمَقَاتِلَةَ ، فَمَرَّ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ ، وَأَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ، وَرَافِعَ بْنِ حَدِيجٍ ، وَالْبَرَاءَ بْنَ عَارِبٍ ، وَأُسَيْدَ بْنَ ظُهَيْرٍ ، وَزَيْدَ بْنَ أَرْقَمٍ ، وَزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ ، فَرَدَّهُمْ وَلَمْ يُخْزِهِمْ

قال الواقدي : حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَمَدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : رَأَيْتُ أَحْمَرَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ قَبْلَ أَنْ يَمْرُتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَوَارَى ، فَقُلْتُ : مَا لَكَ يَا أَحْمَرُ ؟ قَالَ : إِنِّي أَجِدُ أَنَّ بَرَاءِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ فَيَسْتَصْرِئُنِي ، فَيَرُدُّنِي ، وَأَنَا أَجِدُ الْخُرُوجَ ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَرُدَّقِي الشَّهَادَةَ . قَالَ : فَمُرِّضْ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَاسْتَصْرَعَهُ ، فَقَالَ : ارْجِعْ ، فَكَيْ [عَمِير] ^(٣) ، فَأَحَارَهُ . قَالَ : فَكَانَ سَمَدٌ يَقُولُ : كُنْتُ أَعْتَقِدُ لَهُ جَائِلًا سَيَعِي مِنْ صِغَرِهِ ، فَقَتِلَ سَدْرًا وَهُوَ ابْنُ سِتِّ عَشْرَةَ سَنَةً .

قال : فَلَمَّا نَزَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِيُوتُ الثَّقِيَّاءِ أَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَسْتَقُوا ^(٤) مِنْ بَثَرِهِمْ ، وَشَرِبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْهَا ، كَانَ أَوَّلَ مَنْ شَرِبَ وَصَلَّى عَنْدهَا ، وَدَعَا يَوْمَئِذٍ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ ، فَقَالَ :

(١) قال الواقدي : « البُقْعُ من الثَّقِيَّاءِ التي تنقب بؤبؤها بالمدينة »
(٢) في ياقوت . « عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يشق الماء لعدب من بيوت الثَّقِيَّاءِ ، وَو حَدَّثَ آخَرُ : كَانَ يَسْتَعْدِدُّ مَاءً لعدب من بيوت الثَّقِيَّاءِ ، وَالثَّقِيَّاءُ : قُرْبَةُ حَامِصَةَ مِنْ عَمَلِ الْفَرَحِ ، بَيْنَهُمَا مِمَّا يَلِي الْمَجْعَةَ تَبْعَةً عَشْرَ مِيلًا ... » وَقال ابن الفقيه : الثَّقِيَّاءُ مِنْ أَصْطَلِ أَوْدِيَةِ نَهْمَةَ .
(٣) من أوالواقدي .
(٤) ب : « يَسْتَقُوا » ، وَأَثْبِتَ مَا فِي أَوَالِ الْوَاقِدِيِّ .

اللهم إن إبراهيم عبدك وخليفك ونبئك ، دعاك لأهل مكة ، وإني محمد عبدك ونبئك ، أدعوك لأهل المدينة ، أن تبارك لهم في صديهم ومُدَّتهم ونصارهم ، اللهم حَبِّب إلينا المدينة ، واجعل ما بها من الوفاء بحم . اللهم إني حرمت ما بين لابتيها ، كما حرَّم إبراهيم خليلك مكة .

قال الواقدي : وخُفَّ على ميلين من الحجة .

وقدَّم رسول الله صلى الله عليه وآله أمامه عدى بن أبي الرعاء ، وسيس بن عمرو ، وجاء إليه عبد الله بن عمرو بن حزام ، فقال : يا رسول الله ، لقد سرَّني منزلُك هذا ، وعرضُك فيه أحمالك ، وتفاءلت به ، إن هذا منزلنا بى سلة ، حيث كان يسما وبين أهل حُسيكة ما كان .

قال الواقدي : هي حُسيكة ^(١) الدباب ، والدباب ^(٢) : حبل ناحية المدينة ، وكان بحُسيكة يهود ، وكان لهم بها منازل .

قال عبد الله بن عمرو بن حزام : فصرنا برسول الله هاهنا أحماسا ، فخرنا من كان يطبق السلاح ، ورددنا من صعر عن حمل السلاح ، ثم سرنا إلى يهود حُسيكة ، وهم أعزَّ يهود كانوا يومئذ ، فقتلناهم كيف شئنا ، فدلَّت لنا سائر ^(٣) يهود إلى اليوم ، وأنا أرحو يا رسول الله أن تلقى بحن وقربش ، فيقرَّ الله عيبتَ منهم .

قال الواقدي : وكان خلاد بن عمرو بن الخموح لما كان من النهار رجع إلى أهله بجرَّاء ، فقال له أبوه عمرو بن الخموح : ما ضلَّت إلا أسكم قد بَرَّتم ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله يعرض الناس بالمقيع ، فقال عمرو : نعم العال ! والله إني لأرحو أن تنموا وأن تطفروا بمشركي قريش ، إن هذا منزلنا يوم سرنا إلى حُسيكة . قال : فإن

(١) حسيكة ، صطحة بأقرب التصغير ، وقال : هو موضع بالمدينة في طرف دباب

(٢) صطحة بأقرب : « تكسر أوه وباء » ، وقال : حبل بالمدينة به « ذكر في الثغاري والأخبار .

(٣) ص : « اليهود » .

رسول الله صلى الله عليه وآله قد غيّر اسمه ، وسمّاه السّقيّا . قال : فكانت في غيبي أن اشتريها ، حتى اشتراها سعد بن أبي وقاص سكرين ، ويقال سبع أواق ، فذكر للنبي صلى الله عليه وآله أن سعدا اشتراها ، فقال : ربح البيع !

فان الوافدي : فراح رسول الله صلى الله عليه وآله من بيوت السّقيّا ، لاثنتي عشرة ليلة (١) مضت من رمضان ، وخرج المصون معه ثلاثمائة وخمسة ، وتختلف ثمانية ، صرط لم يساهمهم وأحورهم ، فكانت الإبل سبعين نعيراً ، وكانوا يتعاقبون الإبل : الاثنين ، والثلاثة ، والأربعة ، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى بن أبي طالب عليه السلام ومرثد بن أبي مرثد - ويقال ريد بن حارثة مكان مرثد - يتعاقبون نعيراً واحداً ، وكان حمزة بن عبد المطلب ، وريد بن حارثة ، وأبو كشة ، وأبى ، موالى النبي صلى الله عليه وآله على نعير ، وكان عبيدة بن الحارث والطفيل والحصين أسا الحارث ، ومسطح بن أثانة على نعير لمبيدة بن الحارث باصح (٢) انتاعه من أبي داود المارني ، وكان معاذ وعوف ومعوية بن وهب ومولاهم أبو الحمراء على نعير ، وكان أبي بن كعب وعمار بن جراح وحارثة بن النعمان على نعير ، وكان جراح ابن الصّمة وقُطَيْبة بن عامر بن حديدة وعبد الله بن عمرو بن حرام على نعير ، وكان عثمة ابن غزوان وطليب بن عخير على تحمل لعتبة بن عروان يقال له العنّس ، وكان مصعب ابن عمير وسويبط بن حرملة ومسعود بن زبيح على حمل لثعب ، وكان عمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود على نعير ، وكان عبد الله بن كعب وأبو داود المارني وسليط بن قيس على حمل لعبد الله بن كعب ، وكان عثمان بن عفان وقدامة بن مظعون وعبد الله بن مظعون والسائب بن عثمان على نعير يتعاقبون ، وكان أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف على نعير ، وكان سعد بن معاذ وأحمره وابن أخيه الحارث بن أوس والحارث بن أنس على حمل لسعد بن معاذ باصح - له الديّال ، وكان سعد بن ريد ، وسلعة بن

سلامة بن وقش ، وعباد بن بشر ، ورافع بن يزيد على ناضح سعيد بن زيد ، مائزودوا
إلا صاعاً من نمر .

قال الواقدي : فروى مُعاد بن رفاعه ، عن أبيه ، قال : حُرِحت مع النبي صلى الله
عليه وآله إلى بدر ، وكان كل ثلاثة يتعاقبون بعيراً ، فكنت أنا وأخي حلالد بن رافع
على بكرٍ لما ومعا عبيدة بن يزيد بن عامر ، فكنت تتعاقب ، فسيرنا حتى إذا كنا بالرمثاء
إذ مرَّ ما نكرنا وركب عبيداً وأعياناً ، فقال أحى : اللهم إن لك على بدرٍ ، لنس ددنا إلى
المدينة لأحرقة ، ثم ما النبي صلى الله عليه وآله ونحن على تلك الحال ، فقلت : يا رسول الله
ركب علينا نكرنا ، فدعا بماء فتصمصم ونوَّض إلى إماء ، ثم قال : افتحاً فاد ، ففعلنا وصية
في فيه ، ثم على رأيه ثم على عنقه ، ثم على حماركه ، ثم على سنامه ، ثم على نحره ، ثم
على ذنبه ، ثم قال : اركبا ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله فاحفظناه أسفل من
المصرف ، وإن نكرنا ليعبر ماء حتى إذا كنا بالمصلى راحمين من بدر ، ركب عبيداً ،
فمحرَّه أخى ، فقسَّم الحية ونصَّدق به .

قال الواقدي : وقد روى أن سعد بن عُدَّة تحمل في بدر على عشرين حلاً
قال : وروى عن سعد بن أبي وقاص ، أنه قال : خرجنا إلى بدر مع رسول الله
صلى الله عليه وآله ومعا سبعون بعيراً فكانوا يتعاقبون الثلاثة والأربعة والأثنان على
بعير ، وكنت أنا من أعظم أصحاب النبي عليه السلام عنه عشاء ، وأرحاهم رُحْلة^(١) ،
وأرماهم لِسْتهم ، لم أركب خطوة داهياً ولا راحياً .

قال الواقدي : وقال رسول الله صلى الله عليه وآله حين فصل من بيوت النخيلة .
اللهم إنهم حُماة فاحملهم ، وعرة فاكسهم ، وجباة فاشيفهم ، وعالة فاعيمهم من فضلك ؛
فأرجع أحد منهم يريد أن يركب إلا وجد ظهراً ، لدرَّ حل البعير وابيعيران ، واكنسى

(١) الرحلة بالضم . القوة على المشي

مَنْ كَانَتْ عَارِيَا ، وَأَصَابُوا طَعَامًا مِنْ أَرْوَادِهِمْ ، وَأَصَابُوا فِدَاءَ الْأَسْرَى ^(١) ، فَأَغْنَى بِهِ كُلَّ عَائِلٍ .

قال : واستعمل رسولُ الله صلى الله عليه وآله على المشاة قبس بن أبي صعصعة - واسم أبي صعصعة عمر بن يزيد بن عوف بن مذول - وأمره النبي صلى الله عليه وآله حين فصل من بُيُوت السَّيِّئَاتِ ، فوقف لهم ستر أبي عبيدة بعدتهم ، ثم أحرر النبي صلى الله عليه وآله ، وخرج من بُيُوت السَّيِّئَاتِ ، حتى سلك نخل القبيصة ، ثم سلك طريق المكين ^(٢) ، حتى خرج على نطحاء بن أهر ؛ فنزل تحت شجرة هناك ، فقام أبو بكر إلى حجاره هناك ، فبقي بها مسجداً ، فصلى فيه رسولُ الله صلى الله عليه وآله ، وأصبح يوم الاثنين وهو هناك ؛ ثم صار إلى نخل مائل ونزبان بين الحمير ومثل .

قال الواقدي : فكان سعد بن أبي وقاص ، يقول : لما كنا نتران ، قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله . يا سعد ، انظر إلى الظبي ، فاهوَّق له سهم ، وقام رسول الله صلى الله عليه وآله فوضع رأسه بين مكبي وأدى ، ثم قال . اللهم سدد رميته - قال : فما أخطأ سهمي عن نحره ، فتسم رسول الله صلى الله عليه وآله ، وخرجت أعدو فأحدثه و « رَمَقَ هَدَكَيْتِه » ^(٣) ، فحماناه حتى بر لنا قريباً ، أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله فقيم بين أصحابه .

قال الواقدي : وكان معهم فرسان : فرس لمرثد بن أبي مرثد الضوي ، وفرس للمقداد ابن عمرو البهرازي ، حليف بني دُهْرَة ، ويقال فرس للزبير ؛ ولم يكن إلا فرسان لا اختلاف عددهم ^(٤) ، أن المقداد له فرس ؛ وقد روى عن صُباعة بنت الزبير عن المقداد ،

(١) : « للأسرى »

(٢) المكين ، صطحة ياقوت على التصغير ، وقال : « غيب الدابة » وفي الواقدي : « المكين »

(٣) دكته . دجته .

(٤) الواقدي : « عددهم » .

قال : كان معي يوم بذّر فرس يقال له سبعة . وقد روى سعد بن مالك العنوي عن آبائه أن مرثد بن أبي مرثد العنوي شهد بذراً على فرس له يقال له السيل .

قال الواقدي : ولحقت قريش بالشام في غيرها ، وكانت العير ألف بعير ، وكان فيها أموال عظام ، ولم يبق بمكة قرشي ولا قرشية له مثقال فصاعداً إلا نعث به في العير ؛ حتى إن المرأة نعثت بالشئ النافه ، وكان يقول : إن فيها لحسين ألف دينار وقالوا : أقل ، وإن كان ليقال : إن أكثر ما فيها من المال لآل سعيد من العاص لأني أحيحة إنما مال لهم أو مال مع قوم قراض على النصف ، وكان ثمة العير لهم ؛ ويقال : بل كان لسي محروم فيها مائتا سر وخمسة أوارسة آلاف مثقال ذهب ، وكان يقال للحارث بن عامر بن نوفل فيها ألفاً مثقال .

قال الواقدي : وحدثني هشام بن عمارة عن أبي بكر بن عمار ، قال : كان معي عند مساف فيها عشرة آلاف مثقال ، وكان يسخرهم إلى غرة من أرض الشام .

قال الواقدي : وحدثني عبد الله بن جعفر ، عن أبي عوف مولى المسور ، عن نجرمه ابن نوفل ، قال : لما لحقنا بالشام أدركنا رجلاً من جذام ، فأخبرنا أن محمداً قد كان عرض لعيرته في بدأتنا ، وأنه تركه مقيماً ينتظر رجعتنا ، قد حالف علينا أهل الطريق ووادعهم . قال نجرمة : فخرجنا حائضين نحلف الزهد ، فمضينا صمغاً من عمرو حين فصلنا من الشام .

قال الواقدي : وكان عمرو بن العاص مع العير ، وكان يحدث بعد ذلك يقول : لما كنا بالزرقاء - والزرقاء بالشام من أدريات على مرحلتين - ونحن مسحذون إلى مكة لقينا رجلاً من جذام ، فقال : قد كان عرض محمداً لكم في بدأتكم في أصحابه ، ففينا : ما شعرنا ، قال : بلى ، فأقام شهراً ، ثم رجع إلى يثرب ، وأتم يوم عرض محمداً لكم محفون فهو الآن أحرى أن يعرض لكم ؛ إنما بعثت لكم الأيام عدداً ، فأخذوا على غيركم ،

وارتثوا آراءكم ، فوالله ما أرى من عدد ولا كراع ولا حلقة ^(١) . فاجمع القوم أمرهم ، فمضوا ضمهم بن عمرو ، وكان في البعير ، وقد كانت قریش مرت به وهو بالساحل ، معه نكران ، فاستأجروه بغيرين مثقالا ، وأمره أبو سفيان أن يحمر قریش أن محمدا قد عرض لبعيره ، وأمره أن يدخل معه إدا دخل ، ويحمر رجله ، ويشق قميصه من قبله ودبره ، وبصيح : الموت الموت ! ونال : إنما نعته من توك ، وكان في البعير ثلاثون رجلا من قریش فيهم عمرو بن العاص ، وبحرمة بن نوفل .

قال الواقدي : وقد كانت عائكة بنت عبد المطلب رأت قبل محمدا ضمهم بن عمرو رؤيا أفرغتها ، وعطمت في صدرها ، فurst إلى أحمها العباس ، فقالت : يا أحمي ، لقد والله رأيت رؤيا أفرغتها ^(٢) وتحرفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة ، فاكتم على ما أحدثت منها ، رأيت راكبا أقبل على بعير حتى وقف بالأطح ، ثم صرح بأعلى صوته يا آل عذر ، أمروا إلى مصادركم في نذر ، فصرح بها ثلاث مرات . فآرى الناس احتشموا إليه ، ثم دخل المسجد ، والناس يتبعونه إذ مثل به بعيره على طهر الكعبة ، وصرح مثلها ثلاثا ، ثم مثل به بعيره على رأس أبي قيس ، فصرح مثلها ثلاثا ، ثم أخذ صخرة من أبي قيس فأرسلها ، فأقلت نهوى ، حتى إذا كانت في أصل الجبل ارفقت ، فالتق بيت من بيوت مكة ولا دار من دورها إلا دخلته منه فادة ^(٣) .

قال الواقدي : وكان عمرو بن العاص يحدث بعد ذلك فيقول : لقد رأيت كل هذا ، ولقد رأيت في دارما هامة من الصخرة التي اطلقت من أبي قيس ، ولقد كان ذلك عذرة ، ولكن الله لم ير أن أسلم يومئذ ، ككه آخر إسلاما إلى ما أراد قلت : كان بعض أصحابنا يقول : لم يكفر عمر أ أن يقول : رأيت الصخرة في دور مكة عيانا ، فيخرج ذلك مخرج الاستهراء ، علما على وجه الاتفاق واستصحابه بقول المسلمين ،

(٢) الواقدي : « أنطعها » .

(١) الحلقة هنا : سلاح

(٣) الفزة : القطعة من الحجارة

زعم حتى يصيف إلى ذلك القول بانطبر الصراح فيقول : إن الله تعالى لم يكن أراد منه الإسلام يومئذ .

قال الواقدي : قالوا : ولم يدخل دارا ولا بيتا من دور بني هاشم ولا بني زهرة من تلك الصخرة شيء ! قال : فقال العباس : إن هذه رؤيا ، خرج مغتما ، حتى لقي الوليد بن عتبة ابن ربيعة - وكان له صديقاً - فذكرها له واستكتمه ؛ فمشا الحديث في الناس ، قال العباس : فعدوت أطوف بالبيت ، وأبو جهل فدهظ من قريش يتحدثون رؤيا عائكة ، فقال أبو جهل : ما رأيت عائكة هذه ؟ قلت : وما ذاك ؟ فقال : يا بني عبد المطلب ، أما رصيتم بأن تنفأ رجالكم حتى تنفأ ساؤكم ؟ رعت عائكة أنها رأت في المنام كذا وكذا - فلدي رأيت - فتر تص بكم ثلاثة ، فإن يكن ما قالت حقاً فيكون ، وإن مضت الثلاث ولم يكن ، يكتب عليكم أنكم أكذب أهل بيت في العرب ! فقال له العباس : يامصقر استه ، أمت أوتى بالكذب واللؤم من ؟ فقال أبو جهل : إنا استبقنا الحجد وأتمم ، قلتم : فيما السقاية ، قلنا لا سالى ، نفقوا المحاج ، ثم قلتم : فينا الحجابة ، قلنا لا ببالى ، نحببون البيت ، ثم قلتم : فيما المدوة ، قلنا لا سالى يكون الطعام فتطعمون الناس . ثم قلتم : فيما الرقادة ، قلنا لا ببالى ، نجمعون عديم ما ترفعون به الصعيف ، قلنا أطعمنا الناس وأطعمتم ، وازدحت التركيب استبقنا الحجد ، فكنا كفر سئى رهان ، قلتم : منابى ، ثم قلتم : منابى نية ! فلا والآلات والعزى لا كان هذا أمدا !

قلت : لا أرى كلام أنى جهل منتظ ؛ لأنه إذا سم للعباس أن هذه الحصال كلها فيهم ، وهى الحصال التى تشرف بها القبائل بعضها على بعض ، فكيف يقول : لا سالى لا ببالى ! وكيف يقول : قلنا أطعمنا للناس وأطعمتم ، وقد كان الكلام منتظا ، لو قال : ولنا بإزاء هذه المعاصر كذا وكذا ، ثم يقول بعد ذلك : استبقنا الحجد فكنا كفر سئى رهان ، وازدحت التركيب ؛ ولم يقل شيئاً ولا عذ مآثره ، ولعل أبا جهل قد قال ما لم يتقل .

قال الواقدي : قال العباس : فوالله ما كان مني غير أنني جعلت ذلك ، وأسكرت أن تكون عاتكة رأت شيئاً ، فما أمسيت لم تنق امرأة أصابتها ولادة عند المطلب إلا جاءت ، فقل لي : أرصيتم بهذا العاسق بحيث يقع في رحالكم ، ثم قد تناول ساءكم ! ولم تكن لك عند ذلك غيره ! فقلت : والله ما قلت إلا لأني لا أبالي به ، ولأيم الله لأعرضن له عدا ، فإن عاد كفيئسكن يده . فلما أصبحوا من ذلك اليوم الذي رأت فيه عاتكة ما رأت ، قال أبو جهل : هذه ثلاثة أيام مابقي . قال العباس : وعدت في اليوم الثالث ، وأنا حديد مخصب ، أرى أن قد ظنني به أمر أحب أن أدركه ، وأذكر ما أعطى به النساء من مقالهن ، فوالله إنني لأمتني نحوه . وكان رجلاً حقيقاً حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر . إذ خرج نحو باب بني هاشم يشتغل بمقتل : ما بالله لعنه الله ! أكل هذا فرقا من أن أشأعه ! فإذا هو قد سمع صوت خضيم بن عمرو وهو يقول . يا معشر قريش ، يا آل لؤي بن غالب ، اللطيمة قد عرص لها محمد في أصحابه ! العوث العوث ! والله ما أرى أن تدركوها ، وضميم يبادي بذلك في بطن الوادي ، وقد خدع أدنى نبيره وشق قيصه قبلاً ودبراً ، وحول رحله ، وكان يقول : لقد رأيتني قبل أن أدخل مكة وإني لأرى في النوم وأنا على راحلتي كأن وادي مكة يسيل من أسفله إلى أعلاه دماً ، فاستيقظت فرعاً مدعوراً ، فكرهتها لقريش ، ووقع في نفسي أنها مصيبة في أنفسهم .

قال الواقدي : وكان عمر بن وهب الجحفي يقول : ما رأيت أحب من أمر ضميم قط ، وما صرح على لسانه إلا شيطان ! كأنه لم يملكنا من أمورنا شيئاً ، حتى نضرباً على الصعب والدلول ، وكان حكيم بن حرام يقول : ما كان الذي جاءنا فاستنصرنا إلى العير إنساناً ! إن هو إلا شيطان ، قيل : كيف يا أبا خالد ؟ قال : إني لأعجب منه ، ما ملكنا من أمورنا شيئاً . قال الواقدي : فحصر الناس وشغل بعضهم عن بعض ، وكان الناس بين رجلين : إما خارج وإما باعث مكانه رجلاً ، وأشفقت قريش لرؤيا عاتكة ، وسرت بنو هاشم .

وقال قائلهم : كلاً ، زعمتم أننا كذبتنا وكذبت عانكة ! فاقامت قريش ثلاثاً تتجهز -
ويقال : يومين - وأخرحت أسلحتها واشترتوا سلاحاً وأعان قوتهم صعيهم ، وقام سهيل
ابن عمرو في رجال من قريش ، فقال : يا معشر قريش ، هذا محمد والشبابة معه من شبانكم
وأهل يثرب قد عرضوا عليكم ولطيبتكم^(١) ، فمن أراد ظهراً فهذا ظهري ، ومن أراد قوة فهذه
قوة . وقام رمعة بن الأسود ، فقال : إني وإنلث والعري مازلنكم أمر أعظم من أن
طلع محمد وأهل يثرب أن يعرضوا بغيركم فيها حرائكم ؛ فأرعبوا^(٢) ولا يتحلف معكم
أحد ، ومن كان لا قوة له فهذه قوة ، والله لئن أصابها محمد وأصحابه لا يروكم منهم
إلا وقد دخلوا عليكم بيوتكم . وقال طعيمة بن عدي : يا معشر قريش ، والله ما نزل بكم
أمر أحل من هذا أن يستباح غيركم ، وطبيعة قريش فيها أموالكم وحرائكم ؛ والله ما أعرف
رجلاً ولا امرأة من بني عبد مناف له شئ^(٣) فصاعداً إلا وهو في هذه العير ، فمن كان لا قوة به
فعندما قوة محمله وقوته . حمل على عشرين نبياً وقويهم ، وحلقهم في أههم بموكة وقام
حظلة بن أبي سميان وعمرو بن أبي سفيان تحت الأساس على الخروج ، ولم يدعوا إلى قوة
ولا خلان ؛ فقبل لهما : ألا تدعوان إلى مادها إليه قومكما من الخلان ؟ قالوا : والله ما لنا
مال ، وما المال إلا لأبي سميان . ومشى نوف بن معاوية الديلمي إلى أهل القوة من قريش ،
وكلمهم في بذل النقة والخلان لمن حرج ، فكلم عبد الله بن أبي ربيعة ، فقال : هذه
خمسة دينار نصيبها حيث رأيت ، وكلم حوالب بن عبد العزى ، فأخذ منه مائتي دينار
أو ثلثمائة ، ثم قوى بها في السلاح والظهر .

قال الواقدي : وذكروا أنه كان لا يتحلف أحد من قريش إلا بمثل مكانه نكثاً ،
فشت قريش إلى أبي لهب ، فقالوا له : إنك سيد من سادات قريش ، وإنك إن تحلفت هن

(١) الصبيحة التجارة ؛ وقيل : الأصمة : الطر خاصة .

(٢) أوعبوا : استعدوا .

(٣) المش : وزن نواه من ذهب .

النفير يعتبر بك غيرك من قومك، فأخرج أو ابست رجلاً ، فقال : واللآلئ والعُرَى لا أخرجُ ولا أبست أحداً ، فحماه أبو جهل فقال : أقم يا أبا عتبة ، فوالله ما خرجنا إلا غصصاً لدينك ودين آبائك ! وحاف أبو جهل أن يُسليم أبا لهب ، فكت أبا لهب ولم يخرج ولم يبست ، وما منع أبا لهب أن يخرج إلا الإشفاق من رؤيته عاتكة ، كان يقول : إنما رؤيا عاتكة أخذ باليد ، ويقال إنه لبست مكانه العاص بن هشام بن نميرة وكان له عليه دين ، فقال : أخرج ودينى عليك لك ، فخرج عنه .

وقال محمد بن إسحاق في المغازي : كان دثن أبي لهب على العاص بن هشام أربعة آلاف درهم ، فطله بها ، وأفلس فتركها له على أن يكون مكانه ، فخرج مكانه قال الواقدي . وأخرج عتبة وشيبة دروعاً لم يفطر إليهما مولاها عذاس وها يصليحان دروعهما وآلة حرسهما ، فقال : ما تريدان ؟ فقالا : ألم تر إلى الرجل الذي أرسلناك إليه باسم في كرمنا بالطائف ؟ قال نعم ، قولا : نخرج فمقاتله ، فمكى ، وقال لا نخرجنا فوالله إنه لبي ، فأبيا فخرنا ، وخرج معهما فقتل بدر معهما .

قلت : حديث العنبر في كرم أبي ربيعة بالطائف ، قد ذكره أرباب السيرة ، وشرحه الطبري في التاريخ ، قال : لما مات أبو صاص بمكة طيبت قبره في رسول الله صلى الله عليه وآله ونالت منه ما لم تكن تناله في حياة أبي طالب ، فخرج من مكة حائفاً على نفسه مهاجراً إلى ربه يوم انطاف ، راحياً أن يدعو أهلها إلى الإسلام فيحييهم ، وذلك في شوال من سنة عشر من النبوة ، فأقام بالطائف عشرة أيام ، وقيل شهراً ، لا يدع أحداً من أشرف ثقيف إلا حاهه وكلمه ، فلم يحييهم ، وأشاروا عليه أن يخرج عن أرضهم ، ويلحق بمجاهل الأرض وبحيث لا يعرف ، وأعرؤا به سفهاءهم ، فرمؤه بالحجارة ، حتى إن رجله لتدقيان ، فكان معه ريد من حارثة ، فكان يقيه بنفسه ، حتى لقد شح في رأسه .

والشيعة تروي أن علي بن أبي طالب كان معه أيضا في هجرة الطائف ، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وآله عن ثقيف وهو محزون ، بعد أن مشى إلى عبد ياليل ومسعود وحبيب بن عمرو بن عمير ، وهم يومئذ سادة ثقيف ، فجلس إليهم ، ودعاهم إلى الله وإلى نصرته والقيام معه على قومه ، فقال له أحدهم : أما أمرط^(١) بباب الكعبة ، إن كان الله أرسلك ! وقال الآخر : أما وجد الله أحدا أرسله غيرك ! وقال الثالث : والله لا أكلمك كلمة أبدا ، لأن كنت رسولا من الله كما تقول ، لأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام ، ولئن كنت كادبا على الله ما يبعث أن أكلمك . فقام رسول الله صلى الله عليه وآله من عدم ، وقد يش من خير ثقيف ، واجتمع عليه صبيانهم ومعهائهم ، وصاحوا به وسبوه وطرده ، حتى اجتمع عليه الناس يحجبون منه ، وألحذوه بالحجارة والطرده والشم إلى حائط^(٢) لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، وهما يومئذ في الحائط ، فلما دخل الحائط رجع عنه سفهاء ثقيف ، فمعد إلى بطن حيلة^(٣) منه فجلس فيه ، وأما ربيعة ينظران ويريان مالتى من سفهاء ثقيف .

قال الطبري : فما اطمأن به قال - فيما ذكر لي : اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ؛ يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى ، إلى من تكلنى ! إلى بعيد بينهم وحى ، أم إلى عدو منكته أسرى ، فإن لم يركن منك غضب على فلا أمانى ! ولكن عافيتك هي أوسع لى ، أعوذ بوجهك الذى أشرقت به الظلمات ، وصلىح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن ينزل بى غصصك ، أو يحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، لا حول ولا قوة إلا بك !

فما رأى عتبة وشيبة مالتى تحركت له رحمهما ، فدعوا علاما نصرانيا لم ، يقال له

(٢) الحائط ها : لبنان

(١) فى الطبرى - هو يمرط بباب الكعبة ، أى يمرقها

(٣) الحيلة : الكرمه

عدّاس ، فقال له : خذ قِطْعاً^(١) من هذا العنب وضعه في ذلك الطبق ، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل ، وقل له فليأكل منه ، ففعل وأقبل به حتى وضعه بين يديه ، فوضع يده فيه ، فقال : سم الله ، وأكل ، فقال عدّاس : والله إن هذه الكلمة لا يقولها أهل هذه البلدة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : من أيّ البلاد أنت ؟ وما دينك ؟ قال : أنا نصرانيّ من أهل نيسوى ، قال : أمر قرية الرجل الصالح يونس بن مَتَّى ؟ قال : وما يدريك من يونس بن مَتَّى ؟ قال : ذلك أحى ، كان سبياً وأنا نبى . فأكبّ عدّاس على يديه ورجليه ورأسه يقتلها ، قال : يقول اننا ربعة أحدهما لصاحبه : أنا علامك فقد أفسده عليك ، فما جاءها قالا : ويلك يا عدّاس ! مالك تقتل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ! قال : يا سيدي ، ماى الأرض خير من هذا ، فقد أحبرني بأمر لا يحسنه إلا نبى^(٢) .

قال الواقدي : واستقسم قريش بالأرلام عند هُمل للعروج ، واستقسم أمتية بن خنّف وعُتْبة وشَيْبة بالأمر والذهب ، فخرج قِدْح^(٣) الناهى ، فأجمعوا المقام حتى أرمعهم أبو جهل ، فقال : ما استقسمت ولا تتعطف عن غير ما .

قال الواقدي : لما توجه زُمنة بن الأسود خارجاً ، فكان يذى طُوى أخرج قِداحه ، واستقسم بها فخرج الناهى عن الخروج ، فبقى عيظاً ، ثم أعادها الثانية فخرج مثل ذلك فكسرها ، وقال : ما رأيت كاليوم قِدْحاً أكذب ! ومرة به سُهيل بن عمرو وهو على تلك الحال ، فقال : ما لي أراك عصيان يا أبا حُكَيْمة ؟ فأجبه زُمنة ، فقال : امص علك أيها الرجل ، قد أخبرني مُعير بن وهب أنه لقيته مثل الذى أخبرتنى ، فضوا على هذه الحديث^(٤) .

(١) القُطْب : عنقود العنب . وهو في الأصل : اسم لكل ما يقطب .

(٢) تاريخ الطبرى ٢ : ٣٤٥ ، ٣٤٦ (طبعة المارم) .

(٣) القِدْح هما : السهم الذى كانو يستقسمون به . (٤) معازى الواقدي ٢٧ .

قال الواقدي : وحدثني موسى بن ضمرة بن سعيد ، عن أبيه ، قال : قال أبو سفيان بن حرب لصمضم : إذا قدمت على قريش فقل لها : لا تستقسم بالأرلام .

قال الواقدي : وحدثني محمد بن عداثة ، عن الزهري ، عن أبي بكر بن سليم بن أبي خيثمة ، قال : سمعتُ حكيم بن حزام يقول : ما توختُ وجهاً قط كان أكرة إلى من مسيرى إلى بدر ولا بار لي في وجهه قط ما بان لي قتل أن أخرج ، ثم قال : قدم صمضم فصاح بالتعبير فاستقسمت بالأرلام ، كل ذلك يخرج الهدى أكره ، ثم خرجت على ذلك حتى نزلنا مرة الظهران ، فنهز ابن الحطلية جرورا معها مهاجبة ، فما بقي خيلاء من أخبية العسكر إلا أصابه من دمها ، فكان هذا ^(١) ، ثم همت بالرحوع ، ثم أذكر ابن الحطلية وشؤمه ؛ فبردتني حتى مصيت لوحى وكان حكيم يقول : لقد رأينا حين بلغنا الثنية البيضاء - وهي الثنية التي تهبطك على فتح وأنت متقل من المدسة - إذا عداس جالس عليها ، والناس يرون ، إذ مر علينا انباريعة ، فوثب إليها ، فأخذ بأرجلها في عورها ، وهو يقول : بأبي أمنا وأمتي ! والله إنه لرسول الله صلى الله عليه ، وما تساقان إلا إلى مصارعكما ! وإن عيبه لتسيل دمعا على خديه ، فأردت أن أرحع أبصا ، ثم مصيت ، ومرتبه العاص بن منبه بن الحجاج ، فوقف عليه حين ولّى عتبة وشيبة ، فقال : ما يكيك ؟ قال : يكيي سيدي - أو سيدا أهل ^(٢) الوادي - يحران إلى مصارعهما ، ويقا تلان رسول الله صلى الله عليه وآله ! فقال العاص : وإن محمدا رسول الله ! فانتفض عداس انتفاضة واقشمر جلدّه ، ثم بكى ، وقال : إني والله ، إنه لرسول الله إلى أساس كافة . قال : فأسلم العاص بن منبه ، ومضى وهو على الشك ، حتى قُتل مع المشركين على شك وارتياح . ويقال : رجع عداس ولم يشهد بدرا ، ويقال : شهد بدرا وقتل .

قال الواقدي : والقول الأول أثبت عندنا .

(١) في الأصول : « بيه » والتصويب من الواقدي .
(٢) الواقدي ٢٨ : « يكيي سيدي وسيدا أهل الوادي »

قال الواقدي : وخرج سعد بن سعد معتمرا قبل بدر ، فزل على أمية بن خلف ، فأتاه أبو جهل ، وقال : أتترك هذا وقد آوى محمدا وآدسا بالحرب ! فقال سعد بن معاذ : قل ماشئت ، أما إن طريق غيركم عيب . قال أمية بن خلف : مه ! لا تقل هذا لأبي الحكم فإنه سيد أهل الوادي . قال سعد بن سعد : وأنت تقول ذلك يا أمية ؟ أما والله لسمعت محمدا يقول : لأقتلن أمية بن خلف ، قل أمية : أنت سمعته ؟ قال سعد بن معاذ : قلت : نعم ، قال : فوق في معه ، فلما جاء السير أتى أمية أن يخرج معهم إلى بدر ، فأتاه عتبة بن أبي مخط وأبو جهل ، ومع عتبة تمره فيه ببحور ، ومع أبي جهل مكحلة ومبرود ، فأدخلها عتبة تحته ، فقال : تسحر ، فبما أنت امرأة ، وقال أبو جهل : اكنحل فبما أنت امرأة . فقال أمية : انشعروا لي أفصل سير في الوادي ، فانشعروا له حلا بن ثمانية دينار من نعم بني قشير ، فمسه المسلمون يوم بدر ، فصار في سهم الحب ^(١) بن يساف .

قال الواقدي : وقالوا بما كان أحد ممن خرج إلى الأمير أكره للخروج من الحارث ابن عامر ، وقال : ليت قریشا تعزم على لقود وأن مالي في الأمير تلف ومالي بين عبد مناف أيضا ، فيقال له : إنك سيد من ساداتها ، أفلا تردعها عن الخروج ؟ قال : إني أرى قریشا قد أزمعت على الخروج ، ولا أرى أحدا به طريق ^(٢) تحب إلا من علة ، وأنا أكره خلافها ، وما أحب أن تعلم قریش ما أقول ، على أن ابن الحنظلية رجل مشنوم على قومه ، ما أعلمه إلا يحرق قومه أهل يثرب ، ولقد قسم الحارث ^(٣) مالا من ماله بين ولده ، ووقع في ماله أنه لا يرجع إلى مكة ، وجاءه صمصم بن عمرو ، وكأنت للحارث عنده أباد ، فقال : أبا عامر ، إني رأيت رؤيا كرهتها ، وإني لكانيقظت على راحلتي وأراكم أن واديكم بسيل دما من أسفله إلى أعلاه ، فقال الحارث : ما خرج أحد وجهاً من الوجوه أكره له من وجهي هذا ، قال : يقول صمصم : والله إني لأرى لك أن تحلس ، فقال الحارث : لو سمعت

(١) الواقدي ٢٩ ، وفي الأصول : حب ، والصواب من الواقدي والإمامية .

(٢) ساقطة من الواقدي .

(٣) طريق ، أي قوة

هذا منك قبل أن أخرج ماسرت خطوة ، فاطوى هذا الخبر أن تطله قر يش ، فإنها تنهم كل من عوتفها عن السير - وكان صمغهم قد ذكر هذا الحديث للحارث يبطن يأصح^(١) - قالوا : وكرهت قر يش أهل رأي منهم لسيّر ، ومشي بعضهم إلى مصر ، وكان ممن أنطا منهم من ذلك الحارث بن عامر ، وأمّية بن حلف ، وعُتْبة وشيبة ابنا ربيعة ، وحكيم بن حزام وأبو النخعي ، وعلى بن أمية بن حلف ، والناصر بن منة ، حتى نكثهم أبو جهل بالحبش ، وأعاناه عُمّة بن أبي مُعَيْط واستنصر بن الحارث بن كلدة ، وحصّوهم على الخروج ، وقالوا : هذا فعل النساء . فاجتمعوا لسيّر ، وقالت قر يش : لا تدعوا أحدا من عدوّكم حاكم^(٢)

قال الواقدي . وما استدلت به على كراهة الحارث بن عامر للخروج وعُتْبة وشيبة ، أنه ما عرض رجل منهم لحلما ، ولا حملوا أحدا من ناس ، وإن كان الرجل ليأتبهم حبيفا أو عديدا ، ولا قوّة له ، فيطلب الحملان منهم ، فيقولون : إن كان لك مال وأحببت أن تخرج فاهسل وإلا فأمم ، حتى كانت قر يش تعرف ذلك منهم .

قال الواقدي : فلما اجتمعت قر يش إلى الخروج والسير ، ذكروا الذي بينهم وبين بني بكر من العداوة ، وحافوهم على من يحمونه ، وكان أشدهم حوفا عُتْبة بن ربيعة ، وكان يقول : يا معشر قر يش ، إنكم وإن طعرتم بالدي تريدون ، فإننا لا نأمن على من نخدع ، إنما نخدع نساء ولادريّة ومن لا علم به فارتثوا آراءكم^(٣) ، فتصوّر لهم إبليس في صورة سُرّاقة بن حنظل المدلحي فقال : يا معشر قر يش ، قد عرفتم شرفي ومكالي في قومي ، أما لكم جار أن تأتيتكم كمانة شيء نكرهونه ، فطابت نفس عُتْبة ، وقال له أبو جهل :

(١) الأصول : « تأييج » ، وأثبت ما في الواقدي .

(٢) الواقدي : « رأيكم » .

(٣) الواقدي ٣٠

فأتريد؟ هذا سيد كنانة ، هولاء جاريك^(١) من نخلف ، فقال عتبة : لا شيء ، أنا خارج^(٢) .

قال الواقدي : وكان الذي بين بني كنانة وقريش أن ابناً لحفص بن الأحنف أحد بني مُعَيْط بن عامر بن لؤي ، خرج يبيع ضالة ، وهو غلام في رأسه ذؤابة ، وعليه حلة ، وكان غلاماً وصيئاً ، فمر به عامر بن يزيد بن عامر بن الموثح بن عمرو ، أحد رؤساء بني كنانة . وكان بصحَّان - فقال : من أنت يا غلام ؟ قال : ابن لحفص بن الأحنف ، فقال : يا بني بكر ، ألكم في قريش دم ؟ قالوا : نعم قل : ما كان رجل يقتل هذا برجله إلا استوفى ، فاتمعه رجل من بني مكر فقتله بدم له في قريش ؛ فكلمت فيه قريش ، فقال عامر ابن يزيد : قد كات لنا فيكم دماء ، فإن شئتم فادُّوا ما ساقاكم ونؤدِّي إليكم ما كان فينا ، وإن شئتم فما هو الدَّم : رجل رجل ؛ وإن شئتم فتعاقبوا عنا فيما قتلنا ، وتعاقبوا عنكم فيما قتلكم . فهان ذلك الغلام على قريش ، وقالوا : صدق الرجل برجل ؛ فلهوا عنه أن يطلبوا بدمه ، فبينما أحوه مكررون حمص بمر الظهران ، إذ نظر عامر بن يزيد وهو سيد بني بكر على رجل له ؛ فلما رآه قل : ما أطلب أثراً بعد عين ؛ وأباح بعيره ، وهو متوشح سيفه ، فعلاه به حتى قتله ، ثم أتى مكة من الليل ، فعلق سيف عامر بن يزيد بأستار الكعبة ، فلما أصبحت قريش رأوا سيف عامر بن يزيد ، فمروا أن مكر بن حمص قتله ، وقد كات نسمع من مكرز في ذلك قولاً ، وجرعت بنو بكر من قتل سيدها ، فكانت معدة لقتل رجلين من قريش سيدين أو ثلاثة من ساداتها ، فجاء الفقير وهم على هذا الأمر ، فخافوهم على من تخلف بمكة من دراريهم ، فلما قال سراقه ما قال ، وهو ينطق بلسان إبليس شجع القوم^(٣) .

قال الواقدي : وخرجت قريش سراها ، وخرجوا بالقيان والدفوف ؛ سارة مولاة عمرو بن هاشم بن عبد المطلب وعزة مولاة أسود بن المطلب ، وفلانة مولاة أمية بن خلف ، يفتن في كل منهل ، وينحرون الجزر ، وخرجوا بالجيش يتفادون بالحراب ، وخرجوا بنسبائة وخمسين مقاتلا ، وقادوا مائة فرس ، بطراً ورثاء الناس ؛ كما ذكر الله تعالى في كتابه^(١) ؛ وأبو حنبل يقول أيضا محمد أن يصيب ساما أصاب نخلة وأصحابه ؛ سيعلم أئمنع^(٢) غيرنا أم لا^(٣) .

قلت : سرية نخلة سرية قتل تذر ، وكان أميرها عبد الله بن جحش قتل فيها عمرو ابن الحمصرمي ، حليف بني عبد شمس ، قتله واقد بن عبد الله التميمي ؛ رماه بسهم فقتله ، وأسر الحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله بن النخيلة ، واستاق الملقون العير ؛ وكانت خمبائة بعير فحتمها رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقسم أربعمائة فيمن شهدا من المسلمين ؛ وهم عائشا وحل ، فأصاب كل رجل كعبتين .

قال الواقدي : وكانت الحيل لأهل القوة منهم ، وكان في بني محروم منها ثلاثون فرسا ، وكانت الإبل سبعمائة بعير ، وكان أهل الحيل كلهم دارع ، وكانوا مائة ؛ وكان في الرجال دروع سوى ذلك^(٤) .

قال الواقدي : وأقبل أبو سفيان بالعير ، وحاف هو وأصحابه خوفا شديدا حين دوا من المدينة ، واستبطنوا خنمضا والنعير ، فصا كانت الليلة التي يصبحون فيها على ماء بدر ، جعلت العير تقيل بوجوهها إلى ماء بدر ؛ وكانوا باتوا من وراء بدر آخر ليلتهم ، وهم على

(١) ذكر الواقدي بعدها الآية : ﴿ وَلَا تَسْكُرُوا كَالَّذِينَ هَرَّأَوْا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِثَاءَ

النَّاسِ . . . ﴾ . إلى آخر الآية .

(٢) الواقدي ٤٧ ، ٤٤

(٣) الواقدي : « أئمنع » .

أن يُصبحوا بدرًا ؛ إن لم يعترض لهم ؛ قد أقرتهم العير حتى ضربوها بالعُقل ^(١) على أن بعضها لِيُنْتَى بِعَقَالَيْن ، وهي تَرْجَع ^(٢) الحنّين ، توارداً إلى ماء بدر ؛ وما إن بها إلى الماء من حاجة ، لقد شربت بالأمس ، وحل أهل العير يقولون : إن هذا شيء ماصَّته الإبل منذ خرجنا ، قالوا : وعشياً تلك الليلة طُغّة شديدة حتى ما بهر شيئاً ^(٣) .

قال الواقدي : وكان بسس بن عمرو وعدى بن أبي الزّغناء وَرَدَا على محمّد بن بدرٍ يتحسّسان ^(٤) الخبر ، فلما رآ ماء بدر ، أمانا راحتيهما إلى قريب من الماء ، ثم أخذا أسقيتهما ، بسقيان من الماء ، فسمعا جاريّتين من جوارى حميسة ، يقال لإحدهما بررة وهي تلم صاحبتها في درهم ، كان لها عيسا وصاحبتها تقول : إنا العير عدّا أو بعد عد قد نزلت ؛ ومحمّد بن عمر بسعها ، فقال : صدقت ، فما سمع ذلك بسس وعدى انطلقا راجعين إلى النبي صلى الله عليه وآله ^(٥) حتى أتياه بعرق الطيبة ، فأخبراه الخبر ^(٦) .

قال الواقدي : وحدثني كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف السّريّ ، عن أبيه ، عن حذّو - وكان أحد المكَثّين - قال . قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لقد سلك فتح الرّوحاء موسى النبي عليه السلام في سبعين ألفاً من بني إسرائيل وصلّوا في المسجد الذي بعرق الطّيبة ^(٧) .

قال الواقدي : وهي من الرّوحاء على ميسر ممّا يلي المدينة ؛ إذا خرجت على يسارك .

قال الواقدي : وأصبح أبو سفيان مدّر ، قد تقدم العير وهو خائف من الرّصد فقال : يا محمّد ، هل أحسست أحداً ! تعلم والله ما بمكة قرشي ولا قرشية له شئ ^(٨) .

(١) العقل : جمع عقال ؛ وهو الرماط الذي تعلق به الفأر . (٢) الواقدي : « ترجع » .

(٣) الواقدي ٣٣ ، ٣٤ . (٤) الواقدي : « يتحسّسان » .

(٥) قال الواقدي : « وهي من الرّوحاء على ميسر ممّا يلي المدينة إذا خرجت على يسارك » .

(٦) قال الواقدي : « والش : نصف أوقية ، وزن عشرين درهما » .

فصاعدا - والنش نصف أوقية وزن عشرين درهما - إلا وقد نعت به معنا ! ولئن كنتمت
 شأن عدونا لا يصلحك رجل من قريش مائل محر صوفة^(١) . فقال مجدي : والله ما رأيت
 أحدا أنكره ، ولا يبك وبن يثر من عدو ، ولو كان يبك ويديها عدو لم يحف علينا ،
 وما كنت لأخفيه عليك ؛ إلا أني قد رأيت ركبنا أتيا إلى هذا المكان - وأشار إلى مناخ
 عدو - وسيس - فأجاب به ، ثم استقيا بأقبيهما ؛ ثم انصرفا . فغاه أبو سفيان مساحهما ،
 فأخذ أعماراً من أعمار بعيريهما ففتحها ؛ فإذا فيها نوى ، فقال : هذه والله علائف يثر !
 هذه والله عيون محمد وأصحابه ؛ ما أرى القوم إلا قريباً ، فصر وحه غيره فساحل^(٢) بها ،
 وترك بدرأ يسارا وانطلق سريعا ، وأقامت قريش من مكة يملون كل مهمل يطعمون
 الطعام من أتام ، ويسحرون الحرور ، عبيد كدك في سيرهم إذ تحلف عتة وشيبة ، وهما
 يترددان ، قال أحدهما لصاحبه . ألم تر إلى رؤيا عائكة بنت عبد المطلب ! لقد حثت^(٣)
 منها ؛ قال الآخر : فادكرها ؛ ودكرها ، فذكرتها أبو جهل ، فقال : ما تتحدثون به ؟ قال :
 بدكر رؤيا عائكة ، قال : يا عجباً من بني عبد المطلب ! لم يرصوا أن تنبأ عينا رحالم
 حتى نبأت عليا النساء ! أما والله اني رخصت في مكة لعلهم ولعمري ! قال عتبة :
 إن لم أرحاما وقرابة قريبة . ثم قال أحدهما لصاحبه : هل لك أن ترجع ؟ قال أبو جهل :
 أترجعان بعد ما سرنا فتجدلان قومكما ، وتقطعن بهم بعد أن رأيتم ثاركم بأعينكم ! أنظرن
 أن محمدا وأصحابه يلاقونكم ! كلا والله ، إن مني من قومي مائة وثمانين كلهم من أهل
 بيتي يملون إذا أحلت ، ويرحلون إذا رحلت ، فارجعا إن شئكما . قال : والله لقد
 هبكت وأهلك قومك .

ثم قال عتبة لأخيه شيبة : إن هذا رجل مشنوم - يعني أبا جهل - وإنه لا يمتعه من قرابة
 محمد ما يمشي ؛ مع أن محمدا معه الولد فارجع بنا ودع قوله^(٤) .

(١) في القبان : « صرف الحجر شيء على شكل هذا الصوف الجواني واحده صوفة » ومن الأبيات
 قولهم : « لا آيك ما من محر صوفة »
 (٢) سار بها نحو الساحل .
 (٣) ب : « سمعت » وأثبت ما في الرواقدي
 (٤) الرواقدي ٣٣ ، ٣٥

قلت : مراده بقوله « مع أن محمداً معه الولد » ، أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، كان أسلم وشهد بدرًا مع رسول الله صلى الله عليه وآله .

قال الواقدي : فقال شيعة : والله تكون علينا سنة يا أبا الوليد أن يرجع الآن بعد ما سرنا فمضينا . ثم انتهى إلى الحنفية عث ، امام حُجيم بن الصلت بن مخرمة بن عبد المطلب ابن عبد مناف ، فقال : إني لأرى بيننا وبينهم واليقطان ؛ أنظرُ إلى رجل أقبل على فرسٍ معه بعيره ، حتى وقف على ، فقال : قُتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة وزمعة بن الأسود ، وأمّية بن خلف ، وأبو العتري ، وأبو الحكم ، ووفل بن حويلد ، ورجال سبهم من أشراف قريش ؛ وأسر سهيل بن عمرو ، وهرث الحارث بن هشام عن أخيه ، قال : وكأنّ قاتلاً يقول : والله إني لأطعمهم الذين يخرجون إلى مصارعهم . ثم قال : أراه صرب و لمة بعيره فأرسله في العسكر ، فقال أبو حنبل : وهذا بنو آخر من بني عبد مناف استعلم عدا من المفتول ، نحن أو محمد وأصحابه ؛ وقت قريش بلهم : إنما يلعب بك الشيطان في ميامك ، فسرى عداً حلاف ما رأيت يُقتل أشراف محمد ويؤسرون . قال : فجلا عتمة بأخيه شيعة ، فقال له : هل لك في الرجوع ؟ فهذه الرؤيا مثل رؤيا عائكة ، ومثل قول عدّاس ، والله ما كدت أعادّاس ؛ ولعمري ليس كل محمد كادّاس ؛ إن في العرب لمن يكفياه ، وإن كان صادقاً ؛ إن لأشد العرب به للحنّة فقال شيعة : هو على ما تقول ؛ أفرجع من بين أهل العسكر ؟ فجاء أبو حنبل ومها على ذلك فقال : ما تريدان ؟ قالا : الرجوع ، ألا ترى إلى رؤيا عائكة ؛ وإلى رؤيا حُجيم بن الصلت مع قول عدّاس لنا ؛ فقال : تحذّلان والله قومكما وتقطعان بهم . قالا : هلكت والله وأهلكتم قومك ؛ فصيا على ذلك .

قال الواقدي : فلما أفلت أبو سفيان بالغير ، ورأى أن قد أحرزها وأمن عليها ، أرسل إلى قريش قيس بن امرئ القيس - وكان مع أصحاب الغير - خرج معهم من مكة ، فأرسله أبو سفيان يأمرهم بالرجوع ، ويقول : قد نحت عبركم وأموالكم ، فلا تخرزوا أنفسكم

أهل يثرب ، فلا حاجة لكم فيما وراء ذلك ، إنما خرجتم لتتموا غيركم وأموالكم ، وقد نجاها الله . فإن أئوا عليك فلا يأتون خصمة واحدة ؛ يردون القيان ^(١) . فعالج قيس بن امرئ القيس قريشاً ، فأبى الرجوع . فتوا : أما القيس فسردهن ؛ فردوهن من الجحفة ^(٢) .

قلت : لا أعلم مراد أبي سفيان برد للقيين ، وهو الذي أخرجهن مع الحبش يوم أحد يحرصن قريشاً على إدراك الثأر ، ويعتبن ، وبصر بن لدغوف ، فكيف نهى عن ذلك في بدر وفله في أحد ! وأقول : من تأمل احسان علم أن قريشاً لم يمكن أن تنصرف يوم بدر ، لأن الذي خالطها من التعاذل والتواكل وكرهية الحرب وحب الرجوع وحوف اللقاء وحقوق اليتم وصور المراثم ، ورجوع بني رهم وغيرهم من الطريق ، واختلاف آرائهم في القتال ، يكتفي بمعه في هلاكهم وعدم فلاحهم ، لو كانوا قد لقوا قوما حساء ، فكيف وإعما لقوا الأوس والخزرج ، وهم أشجع العرب ، وفيهم علي بن أبي طالب عيه السلام وخزرة بن عبد المطلب ، وهما أشجع البشر ، وجماعة من المهاجرين أنجاد أبطال ، ورثتهم محمد بن عبد الله ، رسول الله ، الداعي إلى الحق والعدل والتوحيد ، المؤيد بالقوة الإلهية ، دع ما أضيف إلى ذلك من ملاسكة السماء ، كما نطق به الكتاب !

قال الواقدي : ولحق الرسول أما سفيان بالهذة - والهذة على سعة أحيان من عتقة عسفان ، على تسعة وثلاثين ميلاً من مكة - فحبره بمضى قريش ، فقال : واقوماه ! هذا عمل عمرو بن هشام ، يكره أن يرجع لأنه قد ترأس على الناس وهي ، والبعي منقصة وشؤم ، والله لن أصاب أصحاب محمد التغير دلنا إلى أن يدخل مكة علينا .

قال الواقدي : وقال أبو جهل : والله لا أرجع حتى نرد بدرنا - وكانت بدر موسماً

(١) بعدها في الواقدي : « فإن الحرب إذا أسكت انكثت » .

(٢) الواقدي ٣٦

من مواسم العرب في الجاهلية ، يجتمعون بها وفيها سوق - تسع با العرب وعميرنا ،
فنقيم على بذر ثلاثاء ، نحر الحرر ونطم الطعام ، ونشرب الخمر ، ونعرف علينا القيان ، فلن
تزال العرب تهابنا أبدا .

قال الواقدي : وكان الفرات بن حبان العجلي أرسلته قريش حين فصلت من
مكة إلى أبي سفيان بن حرب بحره عميرها وفصولها ، وما قد حشدت ، فخالف
أبا سفيان في الطريق ، وذلك أن أبا سفيان لصق بالحر ، ولزم الفرات من حيان الحجّة ،
فوافى المشركين بالحقفة ، فسمع كلام أبي جهل ، وهو يقول : لا رجع ، فقال : ما بأمرهم
عن نفسك رعة ! وإن الذي يرجع بعد أن رأى ثأره من كئيب لصعيف ، فمضى مع
قريش ، فترأى أبا سفيان ، وخرج يوم بذر حراشات كثيرة ، وهرب على قدميه ، وهو
يقول : ما رأيت كالأيوم أمراً أسكد ^(١) ! إنه بن الحطليّة لمير مارك الأمر .

قال الواقدي : وقال الأخنس بن شريق ^(٢) - واسمه أبة ، وكان حليفاً لبني رهرة :
يا بني رهرة ، قد نحى الله غيركم ، وحاصر أموالكم ، ونحى صاحبكم تحرمة بن نوفل ،
وإنما حرجتم لتمنوه وماله ، وإنما محمد رحل منكم ، إن أحسكم ؛ فإن يك نبي فأتهم
أسعد به ، وإن يك كادنا إلى قتله غيركم حبر من أن تنوا قتل ابن أحسكم ، فارجعوا
واجعلوا حبنا لي ، فلا حاجة لكم أن تخرجوا في غير ما بينكم ، ودعوا ما بقوله هذا
الرجل - يعني أبا جهل - فإنه مهيب قومه ، سريع في فسادهم ، فأطاعته سور رهرة ، وكان
فيهم مطاعا ، وكانوا ينيّمون به ، فقاتلوا : فكيف يصنع بالرجوع حتى يرجع ؟ فقال
الأخنس : سير مع القوم ، فإذا أمسبت سقطت عن بعيري ، فيقولون : محل ^(٣) الأخنس ،
فإذا أصبحوا فقالوا : سيرا ، فقولوا : لا ندرك صاحبنا ، حتى نعلم أحى هو أم ميت ،

(١) في الأصول آكد ، وأثبت ما في الواقدي ٣٦

(٢) الواقدي : « وكان أعرايا » . (٣) الواقدي : « ميت » .

فخندقه ، فإذا مضوا رجعا إلى مكة . ففعلت بنو زهرة ذلك ، فصا أصبحوا بالأبواء واجبين
تبيين للناس أن بنى زهرة رجوا علم يشهد زهرى ^(١) لثمة ، وكانوا مائة ، وقيل : أقل
من مائة وهو أدنى . وقال قوم : كانوا ثمانمائة ولم ينس ذلك .

قال الواقدي : وقال عدى بن أبى الربيع منحدرة ^(٢) من مدر إلى المدينة ؛ [واشترت
الركاب عليه ، فحل عدى يقول] ^(٣) :

أَمْ لَهَا صَدُورُهَا بِاسْتِئْذِنَ مَطَايَا الْقَوْمِ لَا تُحْبَسُ
وَسَمَلُهَا عَلَى الطَّرِيقِ أَكْبَسُ قَدْ نَصَرَ اللَّهُ وَفَرَّ الْأَحْسُ ^(٤)

قال الواقدي . وذكر أبو بكر بن عمر بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ،
أن بنى عدى حرقوا من النعير حتى كانوا ^(٥) ندية لقتلهم ، فلما كان في السحر عدلوا في
الساحل منصرفين إلى مكة ، فصادهم أبو سفيان فقال : كيف رحمت يا بنى عدى !
ولا في العير ولا في النعير ! قالوا : أنت أرسلت إلى حريش أن ترحم ، فرحم من رحم
ومضى من مضى ، فلم يشهدا أحد من بنى عدى . ويقال : إنه لا فاهم عمر الطهران ، فقال
تلك المقالة لهم .

قال الواقدي : وأما رسول الله صلى الله عليه وآله ^(٦) ، فكان صبيحة أربع عشرة
من شهر رمضان بعرق الطنية ، فجاء أعرابي قد أقبل من نهامة ، فقال له أصحاب النبي
صلى الله عليه وآله : هل لك علم بأبي سفيان بن حرب ؟ قال : مالى بأبي سفيان عليم ، قالوا :
تعال ، فسلم على رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال : أوفىكم رسول الله ؟ قالوا : نعم ،
قال : فأفكم رسول الله ؟ قالوا : هذا ، فصر : أنت رسول الله ؟ قال : نعم ، قال فما في

(١) الواقدي : « أحد من بنى زهرة » . (٢) الواقدي : « في منحدرة » .

(٣) من الواقدي (٤) الواقدي ٣٨

(٥) الواقدي : « ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

بطن باقى هذه إن كنت صادقاً ؟ فقال سلمة بن سلامة بن وقش : نكحتها وهى حُبلى منك ! فكره رسول الله صلى الله عليه وآله مقاتله وأعرض عنه .

قال الواقدي : وسار رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أتى الروحاء ليلة الأربعاء ، للنصف من شهر رمضان ؛ فقال لأصحابه : هذا سحاسح - يعنى وادى الروحاء - هذا أفصل أودية العرب ^(١) .

قال الواقدي : وصلى رسول الله صلى الله عليه وآله بالروحاء ، فلما رفع رأسه من الركعة الأخيرة من وتره لعن الكفرة ، ودعا عليهم ، فقال : اللهم لا تغلقن أبا جهل ابن هشام مرفعون هذه الأمة ، اللهم لا تغلقن ربيعة بن الأسود ، اللهم أسخن عين أبي زمعة ! اللهم أعم همر أبي ديلة ^(٢) . اللهم لا تغلقن سهيل بن عمرو ! ثم دعا لقوم من قريش ، فقال : اللهم أنج سبعة من هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين ؛ ولم يدع للوليد بن المغيرة يومئذ ؛ وأسر بهدر ، ولكنه لما رجع إلى مكة بعد بدر أسلم وأراد أن يخرج إلى المدينة فحبس ، فدعاه النبي صلى الله عليه وآله بعد ذلك .

قال الواقدي : وكان حبيب بن يساف رجلاً شجاعاً ، وكان يأتى الإسلام ، فلما خرج النبي صلى الله عليه وآله إلى بدر خرج هو وقيس بن محرز - ويقال ابن الحارث - وهما على دين قومهما ؛ فأدركا رسول الله صلى الله عليه وآله بالعقيق ؛ وحبيب مقتنع فى الحديد ، فعرفه رسول الله صلى الله عليه وآله من تحت المعبر ، فالتفت إلى سعيد بن معاذ وهو يسير إلى جنبه ، فقال : أليس بنحيب بن يساف ؟ قال : بلى ، فأقبل بنحيب حتى أخذ

(١) الواقدي ٣٩

(٢) الواقدي : « وأعم همر أبو زمعة » .

ببطان^(١) ناقه رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال له ولقيس بن محرز : ما آخر حكما ؟ قال :
 كنت ابن احتنا وجارنا ، وخرجنا مع قومنا للنسيمة ، فقال صلى الله عليه وآله : لا يخرجن
 معنا رجل ليس على ديننا ، فقال حبيب : لقد علم قومي أني عظيم العناء في الحرب ،
 شديد السكاية ، فأقاتل معك للنسيمة ولا أسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله :
 لا ولكن أسلم ثم قاتل ؛ فلما كان بالروحاء جاء قتيل . يارسول الله ، أسلمت لرب العالمين ،
 وشهدت أنك رسول الله ، فسر بذلك ، وقال : امصيه ، فكان عظيم العناء في بدر وفي
 غير بدر . وأما قيس بن الحارث فأبى أن يسلم ، فرجع إلى المدينة ، فلما قدم النبي صلى الله
 عليه وآله من بدر أسلم وشهد أحدا فقتل .

قال الواقدي : ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله صام يوما أو يومين ، ثم نادى
 مناديه : يا معشر العصاة ، إني مفطر ، فأفطروا ؛ وذلك أنه قد كان لهم قبل ذلك :
 أفطروا فلم يفعلوا^(٢) .

قلت : هذا هو سر النبوة وحاصيتها ؛ إذا تأمل الناظر ذلك ، وهو أن يبلغهم
 حبه وطاعته وقبول قوله على أن يكلفهم ما يشق عليهم فيمثلوه امتثالا صادرا عن حب
 شديد وحرص عظيم على الطاعة ، حتى إنه يسحبه عنهم ويسقط وجوبه عليهم ،
 فيكفرون ذلك ولا يسقطونه عن أنفسهم ، إلا بعد الإكثار التام ؛ وهذا أحسن من
 المعجزات الخارقة للعادات ، بل هذا بينه معجزة خارقة للعادة أقوى وأكثر من شق
 البحر وقلب العصا حية !

قال الواقدي : ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله حتى إذا كان دؤيب بدر ،
 أتاه الخبر بمسير قريش ، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بمسيرهم ، واستشار الناس

فقام أبو بكر فقال فأحسن ، ثم قام عمر فقال فأحسن ، ثم قال : يا رسول الله ؛ إنها قریش وعمرها والله ما دلت منذ عرت ، ولا آمنت منذ كفرت ، والله لا تلم عزها أبدا ، ولتقاتلنك فأتب لذلك أهبة ، وأعدت عدته ، ثم قام المقداد بن عمرو ، فقال : يا رسول الله لأمر الله فمحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت سوا إسرائيل لنبينا : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ حَقًّا تَلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون ، والذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك عباد لسرنا .

قال الواقدي : يرك العباد من وراء مكة خمس ليال من وراء الساحل مما يلي البحر ، وهو على ثمان ليال من مكة إلى اليمن .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله حيرا ، ودعاه بحير ، ثم قال صلى الله عليه وآله : أشيروا علي أيها الناس - وإنما يريد الانتصار ، وكان بطرا أن الأنصار لا تنصره إلا في الدار ، وذلك أنهم شرطوا أن يمنحوه مما يمنعون منه أنفسهم وأولادهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : أشيروا علي ، فقدم سعد بن معاذ ، فقال : أما أحيب عن الأنصار ، كأنك يا رسول الله تريد ما قال : أحل ، فب : إني عسى أن تكون خرجت عن أمر قد أوجبت إليك ، وبنا قد آمننا بك وصدقك وشهدنا أن ما حثت به حق ، وأعطيناك موثيقا وعهدا على السمع والطاعة ، فامصر يا بني الله لما أردت ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه لخصه معك ما بقي متارجل ، وصل من شئت ، وحذ من أموالنا ما أردت ، فما أخذت من أموالنا أحب إلينا مما تركت ، والذي عسى بيده ما سلكت هذه الطريق قط ، ومالي بها من علم ، وإيا لا سكره أن تلقى عدوا غدا ؛ إنا لصير عند الحرب ، صدق عند اللقاء ، لعل الله يريك منا بعض ماتقر به عينك ^(١) .

(١) الواقدي : : « ما تقر به عينك » .

قال الواقدي : وحدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد قال : قال سعد بن معاذ يومئذ : يا رسول الله ، إنا قد حلفنا من قوما قوماً ما نحن بأشدّ حباً لك منهم ، ولا أطوع لهم رعية ونبّة في الجهاد ، ولو ظنوا أنك يا رسول الله ملاقي عدوهم ما تحلفوا عنك ، ولكن إنما ظنوا أنها العير . ببني لك عريشا ، فتكون فيه ومعدّ عدوك رواحلك ، ثم سقي عدونا ، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا ، كان ذلك ما أحسنا ، وإن تكن الأخرى ، حلست على رواحلك ، فحققت من وراءنا . فقال له النبي صلى الله عليه وآله خيرا ، ثم قال : أو يقصى الله حبرا ياسعد^(١) !

قال الواقدي : فلما فرغ سعد من المشورة ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : سيرُوا على بركة الله ، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم .

قال الواقدي : وقالوا . لقد أرانا رسول الله صلى الله عليه وآله مصارعهم يومئذ ، هذا مصرع فلان ، وهذا مصرع فلان ، فما عدا كل رجل منهم مصرعه ، قال : فلم انقوم أنهم يلاقون القتال ، وأن العير تمت ، ورحا القوم . ثم يقول النبي صلى الله عليه وآله^(١) .

قال الواقدي : فمن يومئذ عقد رسول الله صلى الله عليه وآله الألوية ، وكانت ثلاثة ، وأظهر السلاح ، وكان خرج من المدينة على غير نواة معقود ، وسار فلقي سفيان الصمري ، ومع رسول الله صلى الله عليه وآله قتادة بن النعمان ومعاذ بن جبل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : من انزل منكم ؟ فقال الصمري : من ومن أقم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : نعم ، قال الصمري : فاستأوا عما شئتم ، فقال له صلى الله عليه وآله : أعيذك عن قریش ، قال الصمري : بلعي أقم خرجوا يوم كذا من مكة ، فإن كان الخبر صادقا ، فبهم يحب هذا البوادي ، ثم قال

الصَّعْرِي: فَمَنْ أَنْتُمْ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ: لَ إِلَهَ عِندَهُ وَآلَهُ: يَحْنُ مِنْ مَاءٍ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْعِرَاقِ، فَعَمِلَ الصَّعْرِيُّ بِقَوْلِهِ: مِنْ مَاءٍ مِنْ أَيْ مَاءٍ؟ مِنَ الْعِرَاقِ أَمْ مِنْ غَيْرِهِ؟ ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى أَصْحَابِهِ.

قال الواقدي: فَبَاتَ الْعَرِيقَانِ كُلُّهُمَا لَا يَسْمَعُ بِنَزْلِ صَاحِبِهِ، إِنَّمَا يَنْتَهِمُ قَوْزُهُ^(١) مِنْ رَمَلٍ^(٢).

قال الواقدي: وَرَمَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ الْحَسَيْنَ، فَسَأَلَ عَنْهُمَا فَقَالُوا: هَذَا مُسَيِّحٌ^(٣) وَمُحَرَّرٌ، فَقَالَ: مَنْ سَأَلَ عَنْهُمَا؟ فَقِيلَ: أَبُو لُقَاثٍ وَابْنُ حِرَاقٍ، فَانْصَرَفَ عَنْهُمَا وَجَعَلَهُمَا بِسَارًا^(٤)، وَفِيهِ سِتْرٌ مِنْ عَمْرٍو وَعَدَى مِنْ أَيْ اِرْعَاءَ فَأَحْدَاهُ حَبِيرٌ قَرِيشٌ، وَزَلَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ وَادَى بِذُرْعَتَيْهِ لِيَجْزِيَ الْجَمْعَةَ لِسَعِ عَشْرَةِ مِصَاتٍ مِنْ رَمَضَانَ، فَهَمَّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَالزَّيْبُ وَسَعِدُ بْنُ أَبِي وَفَصٍ وَتَمِيمُ بْنُ عَمْرٍو يَتَحَسَّسُونَ^(٥) عَلَى الْمَاءِ، وَأَشَارَ لَهُمْ إِلَى طَرَسٍ^(٦)، وَقَالَ: أَرْحَوْا أَنْ تَحْدُوا الْخَبْرَ عِنْدَ الْقَيْبِ الَّذِي^(٧) يَلِي هَذَا الطَّرَسَ^(٨)، فَانْدَفَعُوا تَنْقَاءً، فَوَحَدُوا عَلَى تَدَايِ الْقَيْبِ زَوَاوِي شَيْءٍ فِيهَا سُقَاوُهُمْ، فَأَسْرَوْهُمْ، وَأَقْلَتَ مِنْهُمْ، فَكَانَ يَمْنَعُ عَرَفَ أَنَّهُ أَقْلَتَ عَمْرٍو، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ حَمَلَ قَرِيشًا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَصْحَابِهِ، فَهَادَى: يَا آلَ عَالٍ! هَذَا ابْنُ أَيْ كَنْشَةَ وَأَصْحَابِهِ، وَقَدْ أَحْذَرُوا سُقَاؤَكُمْ، فَشَاحَ الْعَسْكَرَ وَكَرِهُوا مَا حَاكَ بِهِ^(٩).

(١) القوز من الرمل: الدالى كأنه حل، ونشبه به أرداب الماء.

(٢) الواقدي ٤٦، وبعدها: «وكان قد صلى بالناس»، ثم صلى بدان أجدال، صلى بحبيب بن العلاء، ثم صلى بالخبرين، ثم نظر إلى حلس...»

(٣) الأصول: «مصلح»، والتصويب من الواقدي.

(٤) الواقدي: «فانصرف من عند الخبرين، نصى حتى قصه الحبر، وجعلها سار، حتى سلك في المرساة».

(٥) كذا في الواقدي: وفي الأصول «يتحسسون» بالخم، تصحيف.

(٦) كذا في الواقدي

(٧) الأصول: «ابن»، والتصويب من الواقدي

(٨) قال الواقدي: «والقريب: أثر مائل الطريق، والخبر: جبل صبر».

(٩) الواقدي ٤٦، ٤٧

قال الواقدي : فكان حكيم بن حرام يحدث ، قال : كنا يومئذ في جبهة الباهلي
حرور نشوي من لجها ، فما هو إلا أن سمعنا الخبير ، قامت مع الطعام منا ، ولقي بعضنا بعضا ،
ولقي شعبة بن ربيعة ، فقال : يا أبا خالد ، ما أعم أحدنا يسير أعجب من مسيرنا ، إن عبرنا
قد نحت ، وإنا جئنا إلى قوم في بلادهم بغيرنا عليهم ، فقلت : أراه لأمر حتم ، ولا رأي
لمن لا يطاع ! هذا شوم ابن الحظلية ، فقال عتبة : أبا خالد ، أتحاف أن تبتئنا القوم ؟ قلت :
لأنت آمن من ذلك ، قال : فما رأي يأبى خالد ؟ قلت : نتحارس حتى يصبح
ونرون رأيكم .

قال عتبة : هذا الرأي ، قال : فتحارستنا حتى أصبحنا ، فقال أبو جهل : هذا عن أمر
عتبة كره قال محمد وأصحابه ، إن هذا هو العجب ، أنظروا أن محمدا وأصحابه يمتصون
لجهم ! والله لأستحيين ناحية نفوس فلا يمر أحد ، فيصغي ناحية ، وإن السماء لتمطر
عليه ، قال : يقول عتبة : إن هذا هو التمسك^(١) .

قال الواقدي : أريد من الشقاء من على نصيب بشار غلام سعيد بن العاص ، وأسلم
غلام منته من الحجاج ، وأبو رافع غلام أمية بن خلف ، فأتى بهم النبي صلى الله عليه وآله
وهو قائم يصلي ، فألمهم المسكون ، فقالوا : نحن شقاء قريش ، نعزوا سقيهم من الماء ،
وكره القوم حبزهم ، ورحوا أن يكونوا لأبي سفيان وأصحاب العير ، فصر يوم ، فلما
أدلقوم^(٢) بالصرب ، قالوا : نحن لأبي سفيان ، ونحن في العير ، وهذا العير بهذا القوز ،
فكانوا إذا قالوا ذلك يمسكون عن صرهم ، فسمي رسول الله صلى الله عليه وآله من
صلاته ، ثم قال : إن صدقكم صرتموم ، وإن كذبكم تركتموم ! فقال أصحابه عليه
السلام : إناهم يارسول الله يقولون : إن قريش قد جاءت ، فقال : لقد صدقكم ! خرجت
قريش تمنع غيرها وحافوكم عليها ، ثم أقبل صلى الله عليه وآله على الشقاء ، فقال : أين

قريش ؟ فقالوا : حلف هذا الكتيب الذي ترى ، قال : كم هم ؟ قالوا : كثير ، قال : كم عددهم ؟ قالوا : لا ندري ، قال : كم سحرؤن ؟ قالوا : يوماً عشرة ، ويوما تسعة ، فقال : القوم ما بين الألف والتسعمائة ، ثم قال للشهداء : كم خرج من أهل مكة ؟ قالوا : لم يبق أحدٌ ، طعم إلا خرج ، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله على الناس ، فقال : هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاك كبدها ، ثم سألهم رسول الله صلى الله عليه وآله : هل رجع منهم أحد ؟ قالوا : نعم رجع ابن أبي شريق بنى رهرة ، فقال صلى الله عليه وآله : راشدتم^(١) ، وما كان رشيداً ، وإن كان ما علمت لمعادياً لله ولسكتابه . ثم قرأ : فأحد غيرهم ؟ قالوا : نعم نضوعدي بن كعب ، فتركهم رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال لأصحابه : أشيروا علي في المزل ، فقال أصحاب من المزل : يا رسول الله ، رأيت مرثك هذا ، أهو منزل أراك الله ، فليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأى والحرب والسكينة ؟ قال : كل هو الرأى والحرب والسكينة ، قال : فإن هذا ليس بمنزل ! انطلقوا إلى ذئب فيه القوم ، فبقي عالمها وفلسها ، فإن بها قديماً قد عرفت عذوبة ماؤها وماؤها كثير لا يبرح : نقي عليها خوفاً ، وتنفذ فيها بالآية فشرب ، وقاتل ، وسور^(٢) ما سواها من القلوب

قال الواقدي : فكان ابن عباس يقول : بل جبريل على النبي صلى الله عليه وآله فقال : ارأى ما أشار به الحجاب فقال : يا حجاب ، أشرت بالرأى ، وسهس ، وفعل كل ذلك^(٣) قال الواقدي : ونعت الله السماء ، وكان الوادي دهاً ، أي كثير الرمل ، وأصاب المسلمين مالد الأرض ولم ينعمهم من سير ، وأصاب قريشاً ما لم يقدروا معه أن يرتحلوا معه ، وإنما بين الطائفتين قوز من رمل . قال الواقدي : وأصاب المسلمين نكت ليلة لشعاس أنقى عليهم ، فاموا ولم يصيبهم من المطر ما يؤذيهم .

(٢) يقال : سور ، إذا كسها مالد

(١) الواقدي : « راشدتم » .

(٣) الواقدي ٤٨

قال الزبير بن العوام : لقد سَأَطَ اللهُ عليهم نفَسَ تلك الليلة ، حتى إِنِّي كنت لأَشْدُّدُ ، والنَّعَاسُ يَحْدُثُ فِي الْأَرْضِ مَا أُطِيقُ إِلَّا ذَلِكَ ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ وَأَصْحَابُهُ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ الْحَالِ وَقَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ : لَقَدْ رَأَيْتُنِي ، وَإِنْ دَقَّتْ بَيْنَ نَدْيِي ، فَمَا أَشْعُرُ حَتَّى أَقْعَ عَلَى جَبِي .

وقال رِظَاءَةُ بْنُ رَافِعٍ مَالِكٌ : لَقَدْ عَنَى النَّوْمُ ، فَاحْتَلَتْ حَتَّى اعْفَسَتْ آخِرَ اللَّيْلِ (١) .

قال الواقدي : فَمَا تَحْوِلُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ إِلَى الْمَرَلِ بَعْدَ أَنْ أَخَذَ السَّقَاءَ ، أَرْسَلَ عُمَرُ بْنُ الْكَافِرِ وَعِنْدَ اللَّهِ مِنْ مَسْعُودٍ ، فَصَدَّ عَنْهُمْ ، ثُمَّ رَحِمَا إِلَيْهِ فَقَالَا لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، انْصُومْ مَدْعُورُونَ فَرِعَوْنَ ، إِنْ انْعَرَسَ يَبْرُدُ أَنْ يَصْهَلَ فَيَضْرِبَ وَجْهَهُ ، مَعَ أَنَّ السَّمَاءَ تَنْجَحُ عَلَيْهِمْ (٢) .

قال الواقدي : فَلَمَّا أَصْبَحُوا قَالَتْ مَيْمَنَةُ بْنُ أَبِي هُرَيْرَةَ : وَكَانَ رَحْلًا سَاحِلًا سَاحِلًا هَذَا وَاللَّهِ أَتَرُ اسْ سَمَةَ ، وَإِنْ أُمُّ عُمَرَ ، أَعْرِفَهُمَا ، لَقَدْ جَاءَنَا مُحَمَّدٌ بِسَهَابٍ وَسُحُبٍ أَهْلُ تَرَبٍ ، ثُمَّ قَالَ :

لَمْ يَتْرُكِ الْخَوْفُ لَنَا مَيْمَنَةً لَا نَدُّ أَنْ تَمُوتَ أَوْ تُمَيِّتَ (٣)

يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، اطْرُقُوا عَلَيَّ إِنْ نَفَسًا مُحَمَّدٌ وَأَخِيهِ ، فَانْقُوا عَلَى شَنَاكُمْ وَهَيْبَتِكُمْ ،

(١) الواقدي ١٩ ، ٥٠ .

(٢) مذهب الواقدي : قَالَ مُرْعَدٌ : لَقَدْ دَخَلَ بُولُوسُ بْنُ الْحَجَّاجِ

لَمْ يَتْرُكِ الْخَوْفُ لَنَا مَيْمَنَةً

محمد بن يحيى من سهل بن أبي حنيفة ، فقال : عَمْرِي لَقَدْ كَانُوا شَاعَةً ؛ لَقَدْ أَخْبَرَنِي أَبِي أَنَّهُ سَمِعَ بُوَيْسَ بْنَ مَعَاوِيَةَ يَقُولُ : عَمْرٍاءُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ عَشْرَ حَرَّاتٍ ؛ فَجَعَلَ فِي جَدَاءٍ مِنْ أُمَّهُ يَنْهَمُ شَوْيَ السَّامِ وَالْكَدِّ وَصِيَّةَ اللِّحْمِ وَحَسَّ خَافَ مِنْ لِيَابِ وَجْهِ سَجَارِسٍ مِنْ أَنَّ نَفْسَهُ تَخْرُجُ ، فَاسْمَعْتُ مِنْهَا يَقُولُ بَعْدَ أَنْ أَسْمَرَ : هَذَا اسْ سَمَةُ وَ مِنْ مَسْعُودٍ وَأَسْمَعُهُ يَقُولُ

لَمْ يَتْرُكِ الْخَوْفُ لَنَا مَيْمَنَةً لَا نَدُّ أَنْ تَمُوتَ أَوْ تُمَيِّتَ

بأهل يثرب ، فلما إن نزع بهم إلى مكة يبصروا من ضلالتهم ما فارقوا من دين آباؤهم^(١) .

قال الواقدي : ولما نزل رسول الله صلى الله عليه وآله على القليب بُني له عريش من حديد ، فقام سعد بن معاذ على باب العريش متوشحاً سيفه ، فدخل النبي صلى الله عليه وآله وأبو بكر^(٢) .

قلت : لأعجب من أمر العريش ، من أين كان لهم ، أو معهم من سيف النحل ما يسون به عريشا ، وليس تلك الأرض - أعني أرض بدر - أرض نحل ؛ والذي كان معهم من سيف النحل يحرق بحرق السلاح كالتيسر إذا كان بأيدي سعة منهم سيف عوف ، والفاقون كانوا بالسيف والسهم والقيس ، هذا قول شاذ ، والصحيح أنه ما حلا أحد منهم عن سلاح ، اللهم إلا أن يكون معهم سقفات يسيرة ، وطلل عليها ثوب أو ستر ، وإلا فلا أرى لنساء عريش من حر يد النحل هناك وحدها !

قال الواقدي : وصفت رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه قبل أن ينزل عريش ، فطلعت عريش ورسول الله صلى الله عليه وآله بصفتهم ، وقد أترعوا حوصاً يفرطون فيه من السحر ، وقذفت فيه الآية ، ودفع رسول الله صلى الله عليه وآله رابته إلى مصعب بن عمير ، فتقدم بها إلى الموضع الذي أمره أن يصعب ، ووقف رسول الله صلى الله عليه وآله ينظر إلى الصفوف ، فاستقبل المغرب ، وحل الشمس حلقه ، وأقبل المشركون ، فاستقبلوا الشمس ، ونزل بالمدوة الدنيا من الوادي ، ونزلوا بالمدوة^(٣) اليابية ، وهي القصوى ، وجاءه رجل من أصحابه فقال : يا رسول الله ، إن كان هذا عن وحي فامض له ، وإلا فإني

(١) الواقدي ٥٠

(٢) في الواقدي : « عدونا التهر والوادي : جبتاه » .

أرى أن تعلموا الوادي ؛ فإني أرى ريحا قد هاجت من أعلاها ، وأراها تمت بتصرك . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « قد صفت صفوفي ووضعت رايقي ، فلا أعير ذلك » ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأمدَّ الله سلاكه^(١) .

قال الواقدي : وروى عروة بن الزبير ، قال : عدل رسول الله صلى الله عليه وآله الصعوف يومئذ ، فتقدم سواد بن عزيّة أمام لصف ، فدفع النبي صلى الله عليه وآله يده في بطنه ، وقال : استويا سواد ، فقل : أرحمتي والذي بعثك بالحق ، أقدني ، فكشف صلى الله عليه وآله عن بطنه ، وقال : استقيد ، فغشقه وقبّله ، فقال : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : حَصَرَ يا رسول الله من أمر الله ما قد ترى ، وحشيت القتل ، فأردت أن يكون آخر عهدي بك ، وأن أعتفك^(٢) .

قال الواقدي : حدثني موسى بن يعقوب ، عن أبي الخويرث ، عن محمد بن جبير بن مُجَلِّم ، عن رجل من بني أزد قال : سمعت عليا عليه السلام يحط على صدر الكوفة ، ويقول ساأنا أميح^(٣) في قلبك بدر حادت ريح لم أر مثنها قط شدة ، ثم دهمت لحات أخرى لم أر مثنها إلا التي كانت قبها ، ثم حادت ريح أخرى لم أر مثنها إلا الأوليتين ، فكانت الأولى حدريل في ألف مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، والثانية ميكائيل في ألف عن ميمته ، والثالثة إسماعيل في ألف عن مبشرته ، فلما هزم الله أعداءه ، حمله رسول الله صلى الله عليه وآله على فرس ، فحرت في ، فمأحرت في حررت على عنقهما ، فدعوت ربي ، فأمسك حتى استويت ، ومالي وللخيل ، وإعما كمت صاحب الحشم ، فلما استويت طعنت فيهم بيدي هذه حتى احتصمت مني^(٤) ذي - يعني إبطه^(٥) -

(١) في الواقدي ٥١ . « وروى عنه حدريل : ﴿ ذُتَّعِيشُونَ رَبِّكُمْ فَاسْتَحَبَّتْكُمْ أَنِّي

مُيَدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ » بصهم على إثر من . (٢) الواقدي ٥٢ .

(٣) في الأصول . « أمتح » . وفي الواقدي : « أميح يعني أسنى » وهو من يدرع الدلاء ، وهو

المتح أيضا . (٤) الواقدي . « ده » . (٥) الواقدي ٥٢ ، ٥٣ .

قلت : أكثر الرواة يروونه : « فحسبى رسول الله صلى الله عليه » ، والصحيح ما ذكرناه ، لأنه لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله فرس يوم بدر ، وإنما حصرها راكب بعير ، ولكنه لما اصطدم الصعان ، وقتل قوم من فرسان المشركين ، حمل رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام على بعض الخيل للأخوة منهم .

قال الواقدي : قالوا : كان على ميمنة رسول الله صلى الله عليه وآله أبو بكر ، وكان على مبسرة علي بن أبي طالب عليه السلام ، وكان على ميمنة قريش هيرة بن أبي وهب المخزومي ، وعلى مبسرتهم عمرو بن عبد ود . قيل : كان زمعة بن الأسود على مبسرتهم ، وقيل : بل كان على حيل المشركين ، وقيل . الذي كان على الخيل الحارث بن هشام ، وقال قوم : لم يكن هيرة على الميمنة ، بل كان عليها الحارث بن عامر بن نوفل ^(١)

قال الواقدي : وحدثني محمد بن صالح عن يزيد بن رومان وابن أبي حبيبة ، قالوا : ما كان على ميمنة النبي صلى الله عليه وآله يوم بدر ولا على مبسرة أحد يسرى ، وكذلك ميمنة المشركين ومبسرتهم ما سمعنا فيها بأحد ^(١) .

قال الواقدي : وهذا هو الثابت عندنا قال : وكان لواء رسول الله صلى الله عليه وآله يومئذ الأعظم لواء المهاجرين مع مصعب بن عمير ، ولواء المخرج مع الخطاب بن المنذر ولواء الأوس مع سعد بن معاذ ، وكان مع قريش ثلاثة أوعية ، لواء مع أبي عريبرة ، ولواء مع المنذر بن الحارث ، ولواء مع طلحة بن أبي طلحة ^(١) .

قال الواقدي : وحطب رسول الله صلى الله عليه وآله المسلمين يومئذ ، بحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإن أحسبكم على ما أحسبكم الله عليه ، وأنهاكم عما نهاكم الله عنه فإن الله عظيم شأنه ، يأمر بالحق ، ويحب الصدق ، ويمطى على الخيل أهله على منازلهم عنده

به يذكرون ، وبه يتفاضلون ، وإسكنم أجمعين بمنزل من منازل الحق ؛ لا يفضل الله فيه من من أحدٍ إلا ما ابتغى به وجهه . وإن الصبر في الناس مما يعرج الله به لهم ، وينجي به من العلم ، تدركون به النجاة في الآخرة ، فيكم بين الله يحذركم ويأمركم ، فاستحيوا اليوم أن يطلع الله على شيء من أمركم يفتسكم عيبه ، وبه تعالى يقول : ﴿ لَمَقْتُ اللَّهُ أَكْثَرَ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ ۖ ﴾^(١) ؛ انظروا إلى الذي أمركم به من كتابه ، وأراكم من آياته ، وما أعرّكم به بعد الدلالة ، فاستمسكوا به برض رتبكم عنكم ، وانظروا رتبكم في هذه المواطن أمرا تستوجبوا به الذي وعدكم من رحمته ومغفرته ، فإن وعده حق ، وقوله صدق ؛ وسقاه شديد ، وإلما أنا وأنتم بالله الحق القيوم ، إليه ألقانا ظهور . وبه اعتصمنا ، وعيه نوكنا ، وإليه المصير ، ويعفر الله لي وللمسلمين^(٢) .

قال الواقدي . ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله قريشا نصوب من الوادي ، وكان أول من طلع رقعة من الأسود على فرس له ينمعه اسمه ، فاستحل ممره ، يريد أن يسوا للقوم ممرلا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : اللهم إني أرسلت على الكتاب ، وأمرني بالقتال ، ووعدني إحدى الطائفتين ، وأنت لا تحلب اليعاد اللهم هذه قريش قد أقبت بجيلاتها وخرها ، تحادل وتكذب رسولك اللهم بمرك الذي وعدتني . اللهم أجيهم العداة وطعم غنة من ربيعة على تحمل أحر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن يك في أحد من القوم خير في صاحب الجمل الأحر ، إن يطيعوه يرشدوا .

قال الواقدي : وكان إيمان من رخصة قد نعت إلى قريش أبا له بشر جرائر حين مرؤوا به أهداها لهم ، وقال : إن أحسنتم أن يمدكم سلاح ورجال فإن معدون لذلك ، مؤدبون فعلنا ، فأرسلوا : أن وصلتكم رجيم ، قد قصبت الذي عنيدك ، ولعمري لن

كفّا إنما تقاتل الناس ما بنا ضعف عنهم ؛ ولئن كفّا تقاتل الله بزعم محمد ، فما لأحد بالله طاقة ^(١) .

قال الواقدي : فروى خفاف بن إيماء بن رخصة ، قال : كان أبي ليس شيء أحب إليه من إصلاح بين الناس ، موثقاً بذلك ؛ فمات مرتين به قريش أرسلني بحراير عشر هدية لها ، فأقبلت أسوقها ، وتسمى أبي ، فدفعتها إلى قريش فقبلوها وورعوها في القبائل ، فرأى أبي على عنته بن ربيعة ، وهو سيد الس يومئذ ، فقال : يا أبا الوائيد ، ما هذا المسير ؟ قال : لا أدري والله عيبت ، قال : فأنت سيد العشيرة ، فما يمنعك أن ترحع بالناس ، وتحمل دم حليفك ، وتحمل العير التي أصابو سحلة ، فنورعها على قومك ؛ فوالله ما يطلبون قتل محمد إلا هذا ؛ والله يا أبا الوليد ما تقتلون بمحمد وأصحابه إلا أنفسكم ^(٢) !

قال الواقدي : وسعدني ابن أبي الزناد ، عن أبيه ، قال : ما سمعنا بأحد سار بعير مال إلا عنته بن ربيعة ^(٣) .

قال الواقدي : وروى محمد بن حنبل بن مطيع ، قال : لما رآه القوم أرسل رسول الله صلى الله عليه وآله عمر بن الخطاب إلى قريش ، فقال : ارجعوا ؛ فلأن يلى هذا الأمر متى غيركم أحب إلي من أن تلوه متى ؛ وأن ييه من غيركم أحب إلي من أن آليه منكم ، فقال حكيم بن حرام : قد عرض بصف ، فتوبه ^(٤) ؛ والله لا تُصرون عليه بعد أن عرض عليكم من الصف ما عرض . وقال أبو جهل : لا ترجع بعد أن أمكسا الله منهم ، ولا يطلب أثراً بعد عين ، ولا يعرض ^(٥) لمبرنا بعد هذا أبدا .

قال الواقدي : وأقبل نفر من قريش حتى وردوا الخوض ، منهم حكيم بن حرام ، فأراد المسلمون تنحيهم ^(٦) عنه ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : دعوهم ؛ فوردوا الماء ،

(١) مطري الواقدي . . . (٢) لم يرد . . . (٣) الواقدي : « قاتلوه » .

(٤) الواقدي : « تحلبهم » ، قال : « يعي طردهم » .

(٥) الواقدي : « يعرض » .

(٦) الواقدي : « يعرض » .

فخسروا ، فلم يشرب منهم أحد إلا قتيلاً ؛ إلا ما كان من حكيم بن حزام^(١) .

قال الواقدي : فكان سعيد بن المسيب ، يقول : لما حاكم من الدهر مرتين ، لما أراد الله تعالى به من الخير ، حرج رسول الله صلى الله عليه وآله على نفر من المشركين وهم جلوس يريدونه ، فقرأ « يس » : ونثر على رؤوسهم التراب ، فبأفقت منهم أحدٌ إلا قتل ، ما عدا حكيم بن حزام . وورد الخوص يوم بدر مع من ورد من المشركين ، لما ورد ، إلا من قتل إلا حكيم بن حزام .

قال الواقدي : فلما اطمأن القوم سمعوا عُمير بن وهب الجمحي ، كان صاحب قِداح ، فقالوا : أحرر^(٢) لنا محمداً وأصحابه ، فاستحال بفرسه حول العسكر ، وصوت في الوادي وصعد ، يقول : عسى أن يكون لهم مدد أو كين ! ثم رجع فقال : لا مدد ولا كين ، والقوم ثلثائة ، إن رادوا قايلاً ، ومعهم سبعون نعيراً ومعهم فرسان ، ثم قال : يا معشر قريش ، اسلأيا تحمل أسايا ، مواضع يرب تحصل الموت النافع ، قوم لنس لهم منعة ولا ملأوا إلا سيوفهم ؛ ألا ترونهم حُرماً لا يتكلمون ، يتعطلون تلهط الأفاعي والله ما أرى أن يقتل منهم رجل حتى يقتل رجلاً ، فإذا أصابوا منكم عددهم ؛ فما خبر في العيش بعد ذلك ؟ فروا رأيكم^(٣) .

قال الواقدي : وحدثني يونس بن محمد الطُمري ، عن أبيه ، أنه قال : لما قال لهم عُمير بن وهب هذه المقالة ، أرسلوا أبا أسامة الجشبي ، وكان فارساً ، فأطاف بالنبي صلى الله عليه وآله وأصحابه ، ثم رجع إليهم ، فقال : ما رأيتم ؟ قال : والله ما رأيت حُلداً ولا عدداً ولا حَلقة^(٤) ولا كراعاً ، ولكني والله رأيت قوماً لا يريدون أن يردوا إلى أهلهم ! رأيت قوماً مستميتين ، ليست معهم منعة ولا ملأوا إلا سيوفهم ، رزق العيون ،

(٢) في الأصول : « احذر » صحيح .
(٤) الحلقة ما : السلاح .

(١) الواقدي ٥٦

(٣) الواقدي ٥٩

كانهم الحصا تحت الخجف^(١) ، ثم قال : أحشى أن يكون لهم كمين أو مدد ، فصوب في الوادي ثم صعد ، ثم رجع إليهم ، فقال : لا كمين ولا مدد ! فروا رأيكم^(٢) .

قال الواقدي : ولما سمع حكيم بن حرام ما قل عُمر بن وهب ، مشى في الناس ، فأتى عتبة بن ربيعة ، فقال : يا أبا الوليد ، أنت كبير قريش وسيدها والمطاع فيها ، فهل لك ألا ترال تُذكر فيها بحجر آخر الدهر ، مع ما فعلت يوم عكاظا وعتبة يومئذ رئيس الناس ، فقال : وما ذاك يا أبا خالد ؟ قل : ترجع بالناس ، وتحمل دم حليفك ، وما أصابه محمد من تلك العير بطل محلة ، بكم لا تظلمون من محمد شيئاً غير هذا الدم والعير فقال عتبة ، قد فعلت ، وأنت على ذلك . ثم حاس عتبة على حملة ، فسار في المشركين من قريش بقول : يا قوم أطبسوني ، ولا تقابلوا هذا الرجل وأصحابه ، واعصوا هذا الأمر رأسي ، واحملوا حمليها^(٣) في ، فإن منهم رجالاً لو ابتهم قريبة ؛ ولا يزال الرجل منكم يطر إلى قاتل أبيه وأخيه فيورث ذلك بئسكم شجاءة أصابا ، ولن نخلصوا إلى قتلهم حتى تصبوا منكم عددهم ، مع أنه لا آمن أن تكون الدائرة عليكم ، وأنتم لا تظلمون إلا دم القاتل منكم ، والعير التي أصيبت ، وأنا أحتمل ذلك ، وهو على يا قوم ؛ إن يك محمد كاذباً يكفكموه دؤوس العرب ، وإن يك مَلِكاً كنتم في ملك ابن أحيكم ، وإن يك نبياً كنتم أسعد الناس به ! يا قوم لا تردوا نصيحتي ، ولا تسفهوا رأيي . فحسده أبو جهل حين سمع خطبته ، وقل : إن يرجع الناس عن خطبة عتبة يكن سيد الجماعة ، وكان عتبة أنطق الناس ، وأطونهم لساناً ، وأحمدهم حملاً ، ثم قال عتبة لهم : أشدكم الله في هذه الوجوه التي كأنها المصابيح ، أن تحملوها أمداداً لهذه الوجوه التي كأنها وجوه الحيات ! فلما فرغ عتبة من كلامه قل أبو جهل : إن عتبة بشير عليكم بهذا

(١) الخجف : التروس .

(٢) في الأصول : « حينها » ، وأثبت ما في الواقدي .

(٣) معاري الواقدي ٥٧ ، ٥٨ .

لأنَّ محمداً ابن عمه ، وهو يكره أن يقتل ابنه وابن عمه ، امتلاً والله سخرُك يا عتبة وحَكُمْتُ
حين التقت حَلَقَتَا السَّيْطَانِ^(١) . الآن تمحل ببنا وتأمرنا بالرجوع ! لا والله لا يرجع حتى
يحكم الله بيننا وبين محمد . فصعب عتبة ، فقال : يا مصقر أسيته ، ستعلم أيتا أحبن والأُم !
وستعلم قريش من الحيلان المفسد لقومه ! وأشد :

هَذَايَ وَأَمَرْتُ أَمْرِي فَشَرَى بِالثَّكَلِ أُمَ عَمْرٍو^(٢)

قال الواقدي : وذهب أبو جهل إلى عامر بن الحضرمي ، أحمى عمرو بن الحضرمي
المفتول سحرة ، فقال له : هذا حليفتك - يعني عتبة - يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيت
تأرك صيكتك ، وتمحل بن الدس ! قد تحمل دم أحبك ، وريم أنك قابل الدية ، ألا
تستحي ؟ تحمل الدية وقد قدرت على ذيل أخيك ! قم فاشد حمرك ! فقام عامر بن
الحضرمي فاكشف^(٣) ، ثم حشا على منته التبريد ، وصرح . وانعمرام لا يجرى بذلك
عتبة ؛ لأنه حليفه من بين قريش ، فأشدد على سحر الرائي الذي دعا له إليه عتبة ، وحلف
عامر لا يرجع حتى يقتل من أصحاب محمد . وقال أبو جهل لمعمر بن وهب : حرش بين
الناس ، تحمل عمير فهاوش المسلمين ، لأن يده من الصف ، فشدت المسكون على صفهم ؛
ولم يروا ، وتقدم ابن الحضرمي فشد على تقوم ، فشدت الحرب^(٤)

قال الواقدي : فروى نافع بن حبير عن حكيم بن حزام ، قال : لما أهد الراي أبو جهل
على الناس ، وحرش بينهم عامر بن الحضرمي وتحمم فرسه ، كان أول من حرج إليه من
المسلمين مهجع مولى عمر بن الخطاب ، ففته عامر ، وكان أول قتل قتل من الأصار حارثة
ابن سراقه ، قتله حيان بن العريفة^(٥)

قال الواقدي : وقال عمر بن الخطاب في محسن ولايته : يا عمير بن وهب ، أنت

(١) حلقنا السيطان ، كناية عن اشتداد الأمر . (٢) سارى الواقدي ٥٨ ، ٥٩

(٣) الكشف : نرى (٤) الواقدي ٥٩

(٥) الواقدي ٦٠ . « ويقال : عمير بن الحزام ، قتله خالد بن الأعلم البجلي » .

حاذِرُنا للمشركين يوم بدر ، تصعد في الوادي وتصوب ، كأنني انظر إلى فرسك تحتك^(١) تحبر المشركين أنه لا كين لنا ولا مدد ! قل . إني والله بأمير المؤمنين ، وأحرى ، أبا والله الذي حرشت بين الناس يومئذ ، ولكن الله حادما بالإسلام ، وهداه له ؛ وما كان فينا من الشرِّك أعظم من ذلك ، قال عمر : صدقت^(٢) .

قال الواقدي : وكان عتبة بن ربيعة كَلِمَ حكيم بن حرام ، وقال : ليس عند أحد خلاف إلا عند ابن الخطمية ، فذهب إليه ، صل له : إن عتبة يحمل دم حليفه ، ويصمن العير . قال حكيم : فدحلت على أبي جهل ، وهو يتحلق تحلق طيب ، ودرعه موصوعة بين يديه ، فقلت : إن عتبة بن ربيعة يعني . يث ، وقيل على مصعب ؛ فقال : ما وجد عتبة أحدا يرسله عيرك : فقلت : والله لو كان غيره أرسلني ما مشيت في ذلك ، ولا كني مشيت في إصلاح بين الناس . وكان أبو الوليد سيّد العشيرة . فعصب عصاة أخرى . قال : وتقول أيضا سيّد العشيرة ، فقلت : أما أقوله ، وقربش كلّها تقوله ، فأمر عامرا أن يصيح بحمته ، واكشف ، وقال : إن عتبة جاع ، فاسقوه سويفا ، وجعل المشركون يقولون : عتبة جاع ، فاسقوه سويفا ، وجعل أبو جهل يسرّ بما صنع المشركون فعتبة . قال حكيم : فحُت إلى مصبه من الحجاج فقلت له مثل ما قلت لأبي جهل ، فوجدته حيرا من أبي جهل ، قال : نعم ما مشيت فيه ، ومادعا إليه عتبة افرجعت إلى عتبة فوجدته قد عصب من كلام قريش ، فزل عن جمده ، وقد كان طاف عليهم في عسكرهم يأمرهم بالسكف عن القتال ، فيأبون ، فحيى ، فزل فلس درّعه ، وطسوا له بيضة فلم يوحد في الجيش بيضة نع رأسه من عظم هامته ، فلما رأى ذلك اعتحر ، ثم برز راحلا بين أخيه شيبة وبين ابنه الوليد ابن عتبة ، فبينا أبو جهل في الصف على فرس أتى ، حاذاه عتبة ، وسل سيفه ، فقبل : هو والله يقتله ، فضرب بالسيف عرقوب فرس أبي جهل ، فاكتعت^(٣) انقرس ،

(٢) اكتعت انقرس . سقطت من ناحية مؤخرها ورت به .

(١) معاري الواقدي ٦٠

وقال : انزل ، فإن هذا اليوم ليس بيوم ركوب ؛ ليس كل قومك راكب ، فنزل أبو جهل وعُتْبَةُ يقول : سيعلم آيتنا شؤم عشيرته العداة ! قال حكيم : فقلت : تالله ما رأيتُ كالْيَوْمِ !

قال الواقدي : ثم دعا عُتْبَةُ إلى المبارزة ورسول الله صلى الله عليه وآله في العريش ، وأصحابه على صفوفهم ، فاضطجع ، فعشيه اليوم ، وقال : لا تقاتلوا حتى أودعكم ، وإن كنتموكم فارمؤم ولا نلوا السيوف حتى يفتكوكم . فقال أبو بكر : يا رسول الله قد دما القوم ، وقد نالوا مِنَّا ، فاستيقظ وقد أراه الله إناهم في منامه قليلا ، وقتل بعضهم في أعين بعض ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وهو رافع يديه يستدريته ما وعد من النصر ، ويقول : « اللهم إن تطهر على هذه العصاة يظهر الشر ، ولا يقيم للمؤمنين » ، وأبو بكر يقول : والله لبصرتك الله وليستبين وجهك قال عبد الله بن رواحة : يا رسول الله ، إني أشيرُ عليك ، وأنت أعظم وأعلم بالله من أن بشارَ عليك ، إن الله أجبلُ وأعظم من أن يشد وعده ! فقال عليه السلام . يا بن رواحة ، ألا أشدُّ الله وعده ، إن الله لا يحلف الميعاد ! وأهل عُنَّة يبعد إلى القتال ، فقال له حكيم بن حرام : مهلاً مهلاً ، يا الوليد ! لا تنه عن شيء وتكون أوله ^(١) .

قال الواقدي : قال حناب بن إيماء : فرأيت أصحاب النبي صلى الله عليه وآله يوم بدر ، وقد تصافت الناس وتزاحفوا ، وهم لا يسلون السيوف ، ولكمهم قد انتصوا القيس ، وقد تترس بعضهم عن بعض بصنوفٍ متقاربة ، لأفرح يسها ؛ والآخرون قد سلوا السيوف حين طلوعوا ، فمجهت من ذلك ، فسألت بعد ذلك رجلاً من المهاجرين ، فقال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله ألا نسل السيوف حتى يمشوا ^(٢) .

قال الواقدي : فلما تزاحف الناس قال الأسود بن عبد الأسد المخزومي حين دنا من

الحوض : أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه. فشدّ حتى دنا من الحوض ، واستقله حمراء بن عبد المطلب ، فصربه فأطن^(١) قدمه ، فرفح الأسود ليزر قسمه رعم ، حتى وقف في الحوض فهدمه رجه الصحيحة ، وشرب منه ، وأنبعه حمزة ، فصربه في الحوض فقتله ، والمشركون يطرون دمك على صغوفهم^(٢) .

قال الواقدي : ودنا الناس بعضهم من بعض ، فخرج عتة وشيبة والوليد حتى قصوا من الصف ، ثم دعوا إلى المبارزة ، فخرج إليهم فتيان ثلاثة من الأنصار ، وهم بيو عَمْرَاء . مُعَاد ومعوذ وعوف ، بنو الحارث - ويقال : إن ثالثهم عبد الله بن رواحة ، والثالث عتة . أنهم مو عَمْرَاء - فاستحى رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك ، وكره أن يكون أول قتال بين المسلمين فيه مشركين في الأنصار ، وأحت أن تكون التوبة لبي عمة وقومه ، فأصرهم ، فرجعوا إلى مصافهم ، وقال لهم حمزة : ثم نادى مادي المشركين . يا محمد ، أخرج إلينا الأكفاء من قوما ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله يا بني هاشم . قوموا فقاتلوا محققكم الذي دنا الله به نبيكم إدا حادوا ، ساططهم ليطلقوا نور الله . فقام حمزة بن عبد المطلب وعلى بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث بن المطلب من عبد مناف ، فمشوا إليهم ، فقال عتة : نكأوا نعرفكم - وكان عليهم البيض ، فأسكروهم - فإن كنتم أكفاء ما قاتلناكم^(٣) .

وروى محمد بن إسحاق في كتاب " المعادى " خلاف هذه الرواية ، قال : إن بني عَمْرَاء وعند الله بن رواحة يروا إلى عتة وشيبة والوليد ، فقالوا لهم : من أنتم ؟ قالوا : رهط من الأنصار ، فقالوا : ارجعوا فإنا نكأكم من حاجة ! ثم نادى مناديتهم : يا محمد

(٢) على صغوفهم : أي على حائلهم التي كانوا عليها

(١) أطن قدمه : قطعها

(٣) معادى الواقدي ٦٢ ، ٦٣

أخرج إلينا أكفأنا من قومنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : قم يا فلان ، قم يا فلان ، قم يا فلان ^(١) .

قلت : وهذه الرواية أشهر من رواية الواقدي ، وفي رواية الواقدي ما يؤكد صحة رواية محمد بن إسحاق ، وهو قوله : إن منادى المشركين نادى : « يا محمد ، أخرج إلينا الأكفأ من قومنا » فهو لم يكن قد كلمهم بنو عمراء وكلمهم وردوهم ، لما نادى مناديتهم بذلك . ويدل على ذلك قول بعض القرشيين لبعض الأنصار في خيبر خرب به عليه : أنا من قوم لم يرض مشركوهم أن يقتلوا مؤمري قومك .

قال الواقدي : قال حمزة : أما حمزة بن عبد المطلب ، أسد الله وأسد رسوله ، فقال عتبة : كف ، كريم ، وأنا أسد الخلفاء ، من هذان معك ؟ قال : علي بن أبي طالب وعبيدة ابن الحارث بن المطلب ، فقال : كفان كريمان ^(٢) . قال الواقدي : قال ابن أبي الرباد : حدثني أبي ، قال : لم أسمع لعتبة كلمة قط أو هن من قوله : « أنا أسد الخلفاء » يسمى بالخلفاء الأئمة .

قلت : قد روى هذه الكلمة على صيغة أخرى : « وأنا أسد الخلفاء » ، وروى : « أنا أسد الأحلاف » .

قالوا في تفسيرها : أراد أنا سيد أهل الخلف المطيبين ، وكان الذين حضروه بني عبد مناف وبني أسد بن عبد العزى وبني تميم وبني ربيعة وبني الحارث بن فهر ؛ خمس قبائل . ورد قوم هذا التأويل ، فقالوا : إن المطيبين لم يكن يقال لهم : الخلفاء ولا الأحلاف ، وإنما ذلك لقب خصومهم وأعدائهم الذين وقع التحالف لأحلبهم ، وهم سواد بني الدار ، وبني محروم ، وبني سهم ، وبني نخع ، وبني عدي بن كعب ؛ خمس قبائل . وقال قوم في تفسيرها : إنما عني

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٥ ، وفيها : « قم يا عبيدة بن الحارث ، قم يا حمزة ، قم يا علي »

(٢) معاني الواقدي ٦٤

حَنِفُ الْفُضُول ، وكان بعد حلف المطيعين بزمن ، وشهد حنُفُ الْفُضُول رسول الله صلى الله عليه وآله وهو صغير في دار ابن جُدْطَان ، وكان معه أن رجلا من اليمن قدم مكة بمِئْتَع ، فاشتراه العاص بن وائل السهمي ومطلبه بالشمن حتى أتته ، فقام بالحجر وناشد قريشا ظلامته ، فاجتمع بنو هاشم وبسواسد بن عبد المزني وبنو زهرة ، وبنو تميم ، في دار ابن جُدْطَان ، فتحالفوا وعمسوا أبديتهم في ماء رمزم ، بعد أن غسلوا به أركان البيت ؛ أن ينصروا كل مظلوم بمكة ، ويردوا عليه ظلامته ، ويأخذوا على يد الظالم ، ويتهووا عن كل منكر ، ما بَلَّ بحجر صوفة ، فسقى حنُفُ الْفُضُول نفسه ، وقد ذكره رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : « شهيدته وما أحب أن لي به حُمْرَ النعم ، ولا يریده الإسلام إلا شدة » . وهذا التفسير أيضا غير صحيح ، لأن بني عبد الشمس لم يَكُونُوا في حنُفِ الْفُضُول ، فقد بان أن ما ذكره الواقدي أصح وأثبت .

قال الواقدي : ثم قال عتبة لابنه : قم يا وليد ، فقام الوليد وقام إليه علي ، وكأما أصغر النعم ، فاحتلما صربتين ، فقتله علي بن أبي طالب عليه السلام ، ثم قام عتبة ، وقام إليه حمزة فاحتلما صربتين ، فقتله حمزة رضي الله عنه ، ثم قام شيبة ، وقام إليه عبيدة ، وهو يومئذ أسن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فصرب شيبة رجل عبيدة بدُباب السيف ، فأصاب عصاة ساقه ، فقطعها وكثر حمزة وعلي على شيبة فقتلاه ، واحتملا عبيدة لخراجه إلى الصف ، ومنع ساقه يسيل ، فقال عبيدة : يا رسول الله ، أَلستُ شهيدا ؟ قال : بلى ، قال : أما والله لو كان أبو طالب حيا لعلم أني أحق بما قال حين يقول :

كذبتُم وبيتَ الله بحلي محمدًا ولما نطاعن دونه وتناصلُ
ونصره حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل
ونزلت فيهم هذه الآية : ﴿ هَذَا صِرَاطٌ أَحْسَنُ لِمَنْ احْتَصَمَ فِي رَبِّهِمْ ﴾ (١)

وروى محمد بن إسحاق أن حبة بارز عبيدة بن الحارث ، وأن شبة بارز حمزة بن
صد المطلب ، فقتل حمزة شبة ، لم يمهله أن قتله ؛ ولم يمهله على الوليد أن قتله ، واختلف عبيدة
وحبة بينهما صربتين ، كلاهما أثبت^(١) صاحبه ، وكره حمزة وعلى عليه السلام على عتبة
بأسياهما ، حتى وقعا عليه^(٢) ، واحتملا صاحبهما محازاة إلى الصف^(٣) .

قلت : وهذه الرواية توافق ما يذكره أمير المؤمنين عليه السلام في كلامه ، إذ يقول
لماوية : وعدى السيف الذي أعصت به أختك وحالك وحدك يوم بدر . ويقول في
موضع آخر : قد عرفت مواقع نصالها في أحبك وخالك وحدك ، وما هي من الظالمين ببيد .
واختار البلاذري رواية الواقدي : وقال : إن حمزة قتل حبة ، وإن عليا عليه السلام قتل
الوليد ، وشرك في قتل شبة^(٤) .

وهذا هو المناسب لأحوالهم من طر بن الحسن ، لأن شبة أسن الثلاثة ، فجعل يراه
عبيدة وهو أسن الثلاثة ، والوليد أصغر الثلاثة ، فجعل يراه على عليه السلام ، وهو أصغر
الثلاثة ساء ، وعنته أوسطهم ساء ، فجعل يراه بحجرة وهو أوسطهم ساء . وأيضاً فإن عتبة
كان أمثل الثلاثة ، فمقتضى القياس أن يكون قرنه أمثل الثلاثة ، وهو حمزة إذاً ، لأن
علياً عليه السلام لم يكن قد اشتهر أمره جداً ، وإنما اشتهر الشهرة النامة بعد بدر . ولن
روى أن حمزة بارز شبة - وهي رواية ابن إسحاق - أن ينتصر بشر هند بنت عتبة
ترى أباه :

أعيق جوداً بدمع سرب على خير خندق لم ينقلب^(٥)
تداعى له رهطه قصرة بسوهاشم وينو للمطلب^(٦)
يذيقونه حر أسياهم يملؤ به ما قد عطب^(٧)

(٢) ابن هشام : « دفنا عليه » .
(٣) أساب الأشراف ٩ : ٢٩٧ .
(٤) يقال : هو ابن عمي قصرة ، أي قريب . وفي
(٥) ١ : « شحب » .

(١) أميته : حرحه
(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٥
(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٥٤١
والواقدي : « علوة »

فإذا كانت قد قالت إن عتبة أباه أداه بنو هاشم وبنو المطلب حرّ أسيافهم ، فقد ثبت أن البارز لعتبة إنما هو عبدة لأنه من بنى المطلب جرح عتبة ، فأثبتته ثم ذهب^(١) عليه حمزة وعلى عليه السلام . فما الشيعة ، فإسما تروى أن حمزة نادر عتبة فقتله ، وأن اشتراك عليّ وحمزة إنما هو في دم شيبة بعد أن جرحه عبدة بن الحارث ، هكذا ذكر محمد ابن السمان في كتاب "الإرشاد" ، وهو خلاف ما تنطق به كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية ، والأمر عندي مشتبّه في هذا الموضع .

وروى محمد بن النعمان ، عن أمير المؤمنين عليه السلام ، أنه كان يذكر يوم بدر ويقول : أحتمل أنا والوليد بن عتبة صرسين ، فحطاني صرمتي ، وأصر به فانقاني بيده اليسرى ، فأبأسها السيف ، فكأنني أنظر إلى وميض خاتم في شمائه ، ثم صر به أخرى فصرعتة وسلبتته ، فرأيت به الرذع^(٢) من حلق ، فقلت أنه قريب عهد بعرس

قال الواقدي : وقد روى أن عتبة من ربيعة حين دعا إلى البرار ، قام إليه اسمه أبو حذيفة بن عتبة يمارره ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله : اجلس ، فلما قام إليه النمر أعان أبو حذيفة على أبيه عتبة بصرته^(٣) .

قال الواقدي : وأخبرني ابن أبي الزناد ، عن أبيه ، قال . شمة أكبر من عتبة بثلاث سنين ، وحمزة أسن من النبي صلى الله عليه وآله أربع سنين ، والعباس أسن من النبي صلى الله عليه وآله بثلاث سنين^(٤) .

قال الواقدي : واستفتح أبو جهل يوم بدر ، فقال : اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا يعلم ، فأجبه الغداة ، فأرسل الله تعالى : ﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ ... ﴾^(٥) الآية .

(١) ذهب عليه : أي أحمر

(٢) الرذع : البعرة

(٣) معارى الواقدي ٦٤

(٤) معارى الواقدي ٦٥ : والخبر هنا أوفى وأتم

(٥) سورة الأهل ١٩ ، والخبر في الواقدي ٦٥ ، وتاريخ الصدي ٢ : ٤٤١ (صفة المعرف)

قال الواقدي : وروى عروة عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وآله جعل شعار المهاجرين يوم بدر : يا بني عبد الرحمن ، وشعار الخزرج : يا بني عبد الله ، وشعار الأوس : يا بني عبيد الله

قال وروى زيد بن علي بن الحسين عليه السلام ، أن شعار رسول الله صلى الله عليه وآله كان يوم بدر يا منصور أمت^(١) .

قال الواقدي : وهي رسول الله صلى الله عليه وآله عن قتل أبي البختري ، وكان قد لبس سلاح بمكة يوماً قبل الهجرة في بعض ما كان يقال النبي صلى الله عليه وآله من الأدي ، وقال : لا يمر من اليوم أحدٌ لمحمد يدي إلا وصمت فيه السلاح . فشكر ذلك له النبي صلى الله عليه وآله . قال أبو داود المزي : فاحتفه يوم بدر ، فقلت له : إن رسول الله صلى الله عليه وآله قد سبى عن قتيل بن أعطيت يدي ، قال : وما تريد إلى ! إن كان قد سبى عن قتلي ، فقد كتب أبيته ذلك ، قائماً أن أعطى سدي ، فوالللات والعري لقد علمت نسوة بمكة أني لا أعطي يدي ، وقد عرفت أنك لا تدعى ، فافعل الذي تريد ، فرماه أبو داود بسهم ، وقال : اللهم سهمك ، وأبو البختري عندك ، فصحه في مقتلته : وأبو البختري دارع ، فسبق السهم الذرع فقتله .

قال الواقدي : ويقال إن المحدث بن ديد قتل أبا البختري ولا يعرفه ، وقال المحدث في ذلك شعراً عُرِفَ منه أنه قاتله^(٢) .

وفي رواية محمد بن إسحاق : أن رسول الله صلى الله عليه وآله سبى يوم بدر عن قتل أبي البختري ، واسمه الوليد بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى ، لأنه كان أكرم

الناس من رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة ، كان لا يؤذيه ولا يسلته عنه شيء يكرهه ، وكان فيمن قام في قصص الصحبة التي كتبها قرش على بني هاشم ، فلقبه المجذّر بن زياد النوى حليف الأنصار ، فقال له : إن رسول الله صلى الله عليه وآله نهاها عن قتلك ، ومع أبي البختري رميل له خرج معه من مكة يقال له جُمادة بن مُلَيْحَة ، فقال أبو البختري : ورميل ! قال المجذّر : والله ما نحن بتارك رميلك ، ما نهاها رسول الله صلى الله عليه وآله إلا عنك وحدك^(١) ، قال : إدا والله لأموتنّ أنا وهو جميعا ، لا تتحدث عني ساء أهل مكة أي تركت رميل حرسا على الحية ، فداره المجذّر ، وارتحر أبو البختري^(٢) فقال : لن يسلم ابن حرّة رميلة حتى يموت أو يرى سيده

ثم اقتتلا ، فقتله المجذّر ، وجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأخبره ، وقال : والذي أمثك بالحق لقد جهدت أن يسامر فتيك به ، فأبى إلا القتال فقاتلته^(٣) فقتله^(٤)

قال الواقدي . وهي النبي صلى الله عليه وآله عن قتل الخارث بن عامر بن نوفل ، وقال : أسروه ولا تقتلوه ، وكان كارها للخروج إلى بدر ، فلقبه حديث بن يساف فقتله ولا يعرفه ، فبلغ النبي صلى الله عليه وآله ذلك . فقال : لو وحدته قتل أن يقتل لتركته لنسائه . وهي عن قتل ربيعة بن الأسود فقتله ثابت بن الخدع ، ولا يعرفه .

قال الواقدي : وارتحر عدي بن أبي الرعباء يوم بدر ، فقال :

أما عدي والسحل أمشي بها مشي الفحل

يعني درعه . فقال النبي صلى الله عليه وآله : من عدي ؟ فقال رجل من القوم :

أما يا رسول الله ، قال : وماذا ؟ [قال : ابن فلان ، قال : لست أنت عديا ، فقال عدي بن أبي

(١) ابن هشام : « ما أمرنا رسول الله إلا بك وحدك » .

(٢) ابن هشام : « فقال أبو البختري حين داره المجذّر ، وأبى إلا القتال » .

(٣) ابن هشام : « إلا أن يقاتلي » (٤) الخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٠ ، ٢٧١

الزعباء : أما يارسول الله عدى ، قال : وماذا [(١)] ؟ قال : « والسَّحَل ، أمشي بها مشي الفَحَل » ، قال النبي صلى الله عليه وآله : وما السَّحَل ؟ قال : درعى ، فقال صلى الله عليه وآله « نعم العدى ، عدى بن أبى الزعباء » (٢) .

قال الواقدي : وكان عتبة بن أبى مُعَيْط قد عمَّكَ حين هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة :

يَراكَ العاقَّة القَصْوَدَ هاجِرَةً عَمَّ قَلِيلَ تَرايَ رَاكِبَ العَرَسِ
أَعِلُّ رُحْبَى فِكمِ نَمِ أَسْبَهُ وَلَسْتُ بِأُحْذِ مِنْكُمْ كُلَّ مَلَسِ

سمع قوله النبي صلى الله عليه وآله ، فقال : « اللهم أكنه لمعبره واصرعه » : فجمع به عرسه يوم بدر ، بعد أن ولَّى الناس ، فأخذ عبد الله بن سَلَّة المَحَلَّاتِ أسيراً ، وأمر النبي صلى الله عليه وآله عاصم بن أبى الأفلح ، فغضب عتقه صَراً (٣) .

قال الواقدي . وكان عبد الرحمن يقول : إني لأجمع أدرعاً يوم بدر ، بعد أن ولَّى الناس ، فإذا أُمِّيَّة من حَنَفٍ - وكان لي صديقة في الجاهلية ، وكان اسمي عبد عمرو ، فلما جاء الإسلام تسميت عبد الرحمن ، فكان يلقي عَمَّكَ فيقول : يا عبد عمرو ، فلا أحبيه ، فيقول : إني لا أقول لك عبد الرحمن ، إن مَدِيْمَةَ بالبجامة (٤) تسمى بالرحمن ، فأما لا أدعوك إليه ، فكان يدعوني عبد الإله ، فما كان يوم بدر رأيته وكأنه جمل يُساق ، ومعه الله على ، فنناداني : يا عبد عمرو ، فأبيت أن أحبيه ، فناداني : يا عبد الإله ، فذحتته ، فقال : أما لكم حاجة في اللبن ؟ نحن خير لك من أدرعت هذه ، فقلت : امصيا ، فحملت أسوقهما أمامي ، وقد رأيت أُمِّيَّة أنه قد أمِنَ حصن الأمان ، فقال لي أُمِّيَّة : رأيت رجلاً فيكم اليوم معلقاً في صدره بريشة نعامة ، من هو ؟ فقلت : حمزة بن عبد المطلب ، فقال : ذلك الذي

(٢) معاري الواقدي ٧٦

(٤) الواقدي « ينسب » .

(١) من معاري الواقدي .

(٣) معاري الواقدي ٧٦ ، ٧٧

فعل بنو الأفاعيل ! ثم قال : فمن رَحُلٌ دحداح قصير معلّم بمصانة حراء ؟ قلت : ذاك رجل من الأنصار ، يقال له : سمالك بن خَرَشَة ، قال : وبذاك أبصاً ياعبد الإله صرنا اليوم جَزَراً لكم ! قال : فيينا هو معي أرحيه ^(١) أُمّاي ، ومعك الله ، إذ نصر به بلال وهو بعجن عَمِينا له ، فترك الحَين ، وحمل بفَيْتِلُ يديه منه قتلاً ذريعاً ، وهو ينادي : يامعشر الأنصار ، أُمّية بن حَنْفٍ رأس الكفر ! لا محوتُ إن محوتُ - قال : لأنه كان يمدّه عَمَكَة - فأقبلت الأنصار كأنهم عودٌ حَتَّتْ إلى أولادها ، حتى طرَحُوا أُمّية على ظهره ، واصطاحمت عليه أحميه منهم ، فأقبل الحَبَّاب بن المَدَر ، فأدخل سيفه ، فأقطع أربعة أُنْفِه ، ولمَّا فقد أُمّية أُمّه ، قال لي : إيهّا علك ! أي حلّ يدي ويدهم ، قال عد الرحمن فذكرت قول حسان :

• أَوْ لَعَنَ ذَلِكَ الْأَنْفَ جَادِع •

قال : ويقبل إليه حُثَيْب بن يَسَاف ، فضر به حتى قتله ، وقد كان أُمّية صرب خُبَيْب ابن يساف حتى قطع يده من المَكِيب ، فأعادها النبي صلى الله عليه وآله فالتحمت واستوت ، فتزوج حُثَيْب بن يساف بعد ذلك امّة أُمّية بن حلف ، فرأت تلك الضرّة ، فقالت : لا يثُلّ الله يدَ رجلٍ فعل هذا ! فقال خُبَيْب : وأنا والله قد أوردته شُجُوب ، فكان حُثَيْب يحدث يقول : فأضربه فوق العاتق ، فأقطع عاتقه حتى بلغت مؤترره ، وعليه الدرع ، وأنا أقول : حذها وأنا ابن يساف ! وأخذت سلاحه ودرعه ، وأقبل على بن أُمّية فتمرّض له الحَبَّاب ، فقطع رجله ، فصاح صيحة ما سمع مثلاً قط ، ولقيه عمار فضر به ضربة قتله . ويقال : إن عماراً لاقاه قبل ضربة الحَبَّاب ، فاحتلما ضربات ، فقتله عمار . والأولى أثبت ، أنه ضربه بعد أن قطعت رجله ^(٢) .

قال الواقدي : وقد ممعنّا في قتل أُمّية عبر ذلك ، حدثني عُبيد بن يحيى ، عن معاذ بن

(١) أرحيه : أسوقه .

(٢) معارى الواقدي ٧٧ ، ٧٨ .

رفاعة ، عن أبيه ، قال : لما كان يوم بدر وأخذنا بأمية بن حلف ، وكان له فيهم شأن ، ومضى رمحي ، ومعه رمحه ، فتطاعنا حتى سقطت أرجئها ، ثم صرنا إلى السيفين فتصاربنا بهما حتى اتلما ، ثم نصرت بفتق في درعه تحت إبطه ، فحششت السيف فيه حتى قتلت ، وخرج السيف عليه الودك ^(١) .

قال الواقدي : وقد سمعنا وجهها آخر : حدثني محمد بن قدامة بن موسى ، عن أبيه ، عن عائشة بنت قدامة ، قالت : قال صفوان بن أمية بن حلف يوما . ياقدام - لقدامة بن مظعون - أنت المشلي ^(٢) بأبي يوم بدر الناس ! فقال قدامة : لا والله ما فعلت ، ولو فعلت ما اعتذرت من قتل مشرك . قال صفوان : فمن يقدم المشلي به يوم بدر ؟ قال : رأيت فتية من الأنصار أقبلوا إليه ، فيهم معمر بن حبيب بن عبيد بن الحارث ، يرفع سيفه ويضعه فيه ، فقال صفوان : أبو قرد ! وكان ممر رجلا فعبأ ، فسمع بذلك الحارث بن حاطب ، فعصب له ، فدخل على أم صفوان ، فقال : ما يدعنا صفوان من الأدي في الجاهلية والإسلام ! قالت : وما داك ؟ فأخبرها بمقالة صفوان لمعمر حين قال : أبو قرد ! فقالت أم صفوان : يا صفوان ، أنتقص معمر بن حبيب من أهل بدر ! والله لا أقبل لك كرامة سنة . قال صفوان : يا أمية ، لا أعود والله أبدا ، تكلمت بكلمة لم ألق لها بالاً ^(٣) .

قال الواقدي : وحدثني محمد بن قدامة ، عن أبيه ، عن عائشة بنت قدامة ، قالت : قيل لأم صفوان بن أمية - وبطرت إلى الحبب بن المسر بمكة : هذا الذي قطع رجل علي بن أمية يوم بدر ، قالت : دعونا عن ذكر من قيل على الشرك ، قد أهان الله عليا بصرة الحبب بن المنذر ، وأكرم الله الحبب بصربة علي ، ولقد كان على الإسلام حين خرج من هاهنا ، فقتل على غير ذلك ^(٤) .

(٢) للنبي : المحرم .

(١) معاري الواقدي ٧٨ ، ٧٩ .

(٣) معاري الواقدي ٧٩ .

(٤) معاري الواقدي ٧٩ ، ٨٠ ، واسر سيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

فأما محمد بن إسحاق ، فإنه قال : قال عبد الرحمن بن عوف : أحدث يدير أمية بن خلف ويد ابنه علي بن أمية أسيرين يوم بدر ، فبينا أنا أمشي بينهما ، رأيت بلال - وكان أمية هو الذي يمدب بلالا بمكة ، يخرجه في رمضاء ^(١) مكة إذا حيت ، فيضجده على ظهره ، ثم يأمرُ بالنصْحرة العظيمة فتوضع بحرارتها على صدره ، ويقول له : لا ترال هكذا أو تفارق دين محمد ! فيقول بلال : أحدٌ أحدٌ ! لا يريد علي ذلك - فما رآه صاح : رأس الكفر أمية بن خلف ، لا محوتُ إن محوتُ ! قال عبد الرحمن : فقلت أي بلال ، أسيري ! فقال : لا محوتُ إن نحا ، فقلت : استمع يا ابن السوداء ، قال : لا محوتُ إن نحا ، ثم صرح بأعلى صوته : يا أنصار الله ، أمية بن خلف رأس الكفر ، لا محوتُ إن نحا ، فأحاطوا بما حتى جعلوا في مثل المشككة ^(٢) ، وأه أذبت عنه ، ^(٣) ويحذف عتار من يأمر عليها انسه بالسيف ، فأصاب رجله ، فوقع وصاح أمة صيحة ما سمعت منها قط ^(٤) ، فنجيت عنه ، وقلت : انحُ سمكت ولا نحا ، به أفوالله ما أعني عنك شيئا ، قال : فهدروها ^(٥) بأسيرهم حتى فرغوا منهما . قال : فكان عبد الرحمن بن عوف ، يقول : رحم الله بلالا ! أذهب أدرعي ، ولجعي بأسيري ^(٦) !

قال الواقدي : وكان الزبير بن العوام يحدث فيقول : لما كان يومئذ لقيتُ عبيدة ابن سعيد بن العاص على فرس ، عليه لأمة كاملة لا يرى منه إلا عيائه ، وهو يقول - وكانت له صنية صغيرة ، يحملها وكان لها نطين وكانت مقسمة : أنا أبو دات الكرش ، أنا أبو دات

(١) الرمضاء : الرمل الشديد الحرارة من الشمس .

(٢) المشككة : السوار .

(٣ - ٤) ابن هشام : « وأخلف رجل السيف صرير رجل انه وقع وصاح أمية صيحة عظيمة ما سمعت بمثلا قط » .

(٤) هبروها : قطعوا لحمها ؛ تقول : هربت اللحم ، د قطعته قطعاً

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٢ ، ٢٧٣

السكرش . قال : وفي يدي عَنَزَةٌ ^(١) فأطعن بها في عينه ووقع ، وأطوّه برجلي كلّي خذّه ، حتى أخرجت العَنَزَةَ متعققة ، وأخرجت حدقه ، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله تلك العَنَزَةَ ، فكأت تحمل بين يديه ، ثم صارت تحمل بين يدي أبي بكر وعمر وعثمان ^(٢) .

قال الواقدي : وأقبل عاصم بن أبي عوف بن صُبَيْرِ السَّهْمِيِّ ، لما جال الناس واختلطوا ، وكأنه ذئب ، وهو يقول : يا معشر قريش ، عليكم بالقاطع مفرق الجماعة ، ألاي عما لا يعرف ، محمد ، لا نموت إن نحيا ! وبصره أبو دُحَّانَةَ ، فاحتلعا صرّتين ، وبصره أبو دُحَّانَةَ فقتله ، ووقف على سابه يسسه ، فمروا به عمر بن الخطاب ، فقال : دع سلبه حتى يُجْهِضَ ^(٣) العدو ، وأنا أشهد لك به ^(٤) .

قال الواقدي : ويقتل معبد بن وهب ، أحد بني عاصم بن لؤي ، فصرّب أبا دُحَّانَةَ ضربة برك منها أبو دُحَّانَةَ كما برك الحبل ، ثم انتهص ، وأقبل على معبد ، فصر به صرّاب لم يصنع سيئه شيئا ، حتى يقع معبد بحفرة أمامه لا يراها ، ورل أبو دُحَّانَةَ عليه ، فدعاه ذمعا ، وأخذ سلبه ^(٥) .

قال الواقدي : ولما كان يومئذ ، وراّت بسومحروم مقتل من قُتِلَ ، قالت : أبو الحكم ! لا يخلص إليه ، فإنّ ابني ربيعة تجملوا ونظرا ، ولم نحام عليهما ^(٦) عشيرتهما . فاجتمعت بنو محروم ، فأخذوا به ، فجعلوه [في] ^(٧) مثل الحراصة ، وأجمعوا أن يلبسوا لأمة أبي جهل رجلا منهم ، فآلبسوها عبد الله بن المدر بن أبي رفاعَةَ ، فصمد له على عيه السلام ، فقتله وهو يراء أبا جهل ، ومضى عنه وهو يقول : أبا ابن عبد المطلب ! ثم آلبسوها أبا قيس بن

(١) العَنَزَةُ - شبيه العكازة ، أحول من الصا وأقصر من الرمح ، لها راج من أسفلها .

(٢) (٣) الواقدي : « مجهر » .

(٤) معاري الواقدي ٨٠

(٥) معاري الواقدي ٨٠ ، ٨١

(٦) معاري الواقدي ٨١

(٧) كذا في ١ ، وفي ب الواقدي : « عليهما » . (٧) من الواقدي

الفاكه بن المغيرة ، فصمده حمرة وهو يراه أبا جهل ، فصر به فقتله وهو يقول : حذوها وأنا ابن عبد المطلب ! ثم ألبسوها حرمة بن عمرو ، فصمده على عليه السلام فقتله ، ثم أرادوا أن يلبسوها خالد بن الأعم ، فأبى أن يلبسها ، قال معاذ بن عمرو بن الجموح : فظرت يومئذ إلى أبي جهل في مثل الحرجة ، وهم يقولون : أبو الحكم ! لا يخلص إليه ، فمرفت أنه هو ، فقلت : والله لأموتنّ دونه ليوم أو لأحصنّ إليه ، فصمدت له ، حتى إذا أمكنتني منه عرّة حملت عليه ، فصرته ضربة طرحت رجله من الساق ، فشبهتها التواء ترو من تحت المراضخ ، فأقبل الله عكرمة على فصرني على عاتقي ، فطرح يدي من العاتق ، إلا أنه بقيت حلدة ، فذهبت أسمع يدي تلك الحلدة حافى ، فدا آدتني وصعت عليها رجلى ، ثم تمطيت عليها فطعنتها ، ثم لاقيت عكرمة وهو يلوذ كل ملاد ، ولو كانت يدي معي لرجوت يومئذ أن أصيبه . ومات معاذ في زمن عثمان ^(١) .

قال الواقدي : فروى أن رسول الله صلى الله عليه وآله نقل معاذ بن عمرو بن الجموح سيف أبي جهل ، وأنه عند آل معاذ بن عمرو اليوم وبه قل ، بعد أن أرسل النبي صلى الله عليه وآله إلى عكرمة بن أبي جهل ، بأنه من قتل أباك ؟ قال : الذي قطعت يده ، فدفع رسول الله صلى الله عليه وآله سيفه إلى معاذ بن عمرو ، لأن عكرمة بن أبي جهل قطع يده يوم بدر ^(٢) .

قال الواقدي : وما كان بنو المغيرة يشكون أن سيف أبي الحكم صار إلى معاذ بن عمرو بن الجموح ، وأنه قاتله يوم بدر ^(٣) .

قال الواقدي : وقد سمعت في قتله وأخذ سببه غير هذا ؛ حدثني عبد الحميد بن جعفر ، عن عمر بن الحكم بن ثوبان ، عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : عدنا رسول الله صلى الله عليه وآله بليلى ، فأصبحنا ونحن على صفوفنا ، فإذا نغلامين ، ليس منهما واحد إلا قد

ربطت حمائل سيفه في عنقه لصفره ، فالتفت إلى أحدهما ، فقال : يا عم ، أيهم أبو جهل ؟ قال : قلت : وما تصنع به يا ابن أسي ؟ قل : يدعي أنه يسب رسول الله صلى الله عليه وآله ، خلقت : لأن رأيتُه لأخذه أو لأموته دونه . فأشرت إليه ، فالتفت إلى الآخر ، وقال لي مثل ذلك ، فأشرت له إليه ، وقلت له : من أتما ؟ قال : ابنا الحارث ، قال : فجلا لا يطران عن أبي جهل ؛ حتى إذا كان يقتل حصا إليه فقتلاه وقلها^(١) .

قال الواقدي : حدثني محمد بن عوف ، عن إبراهيم بن يحيى بن ريد بن ثابت ، قال : لما كان يومئذ ، قال عبد الرحمن ، وضر إليهما عن يمينه وعن شماله : ليتك كان إلى جبي من هو أندر من هذين الصبيان ! ثم أنشأ أن التفت إلى عوف ، فقال : أيهم أبو جهل ؟ فقلت : ذلك حيث ترى ، فخرج تطو إليه كأنه سجع ، ولحقه أخوه ، فأنا أنظر إليهم يصطرون بالسبوف ؛ ثم نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يمر بهم في القتلى ، وها إلى جانب أبي جهل^(٢) .

قال الواقدي : وحدثني محمد بن رفاع بن نسمه ، قال : سمعتُ أبي ينكر ما يقول الناس في ابني عفران من صعرهما ، ويقول : كانا يوم بدر أصغرهما ابن خمس وثلاثين سنة ، فهذا يرتبط حمائل سيفه ! قال الواقدي : وانقول الأول أثبت^(٣) .

وروى محمد بن عمار بن ياسر ، عن ربيعة بنت معوذ ، قالت : دخلتُ في سورة من الأنصار على أسماء أم أبي جهل في زمن عمر بن الخطاب ، وكان اسمها عبد الله بن أبي ربيعة يبعث إليها بوطر من اليمن ، فكانت تبعه إلى الأعطية ، فكانت تشتري منها ، فلما جعلت لي في قواريري ، وورثت لي كأوزة لصواحي ، قال : اكتبين لي عليكن حق ، قلت : نعم ، اكتب لها على الربيعات معوذ ، فقالت : أسماء خلفي : وإناك

(٢) معاذي الواقدي ٨٣

(١) معاذي الواقدي ٨٢ ، ٨٣

(٣) معاذي الواقدي ٨٣

لاينة قاتل سيده ! قتل : لا ، ولكن ابنة قاتل عبده ، فقالت : والله لا أبيعك شيئا أبدا ، فقلت : أنا والله لا أشتري منك أبدا ، فوالله ما هو بطيب ولا عَرَفَ ؛ والله يا بني ما شممت عطرا قط كان أطيب منه ، ولكي يا بني غصبت ^(١) .

قال الواقدي : فلما وضعت الحرب أوزرها ، أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يلتبس أبو جهل ، قال ابن مسعود : فوجدته في آخر رَمَقٍ ، فوضعت رجلي على عنقه ، فقلت : الحمد لله الذي أحراك ! قال : إني أخشى الله العبد ابن أمّ عبد ! لقد ارتقيت يارويهي الغسم مرتقى صعبا ! لمن الدبرة ؟ قلت : لله ورسوله ، قال ابن مسعود : فأقلع بيصته عن قعاه ، وقلت : إني قاتلك ، قال : لست بأول عبد قتل سيده ، أما إن أشد ما لقيته اليوم لقتلك إناي ؛ ألا يكون أول قتل رجل من الأحلاف أو من المطيبين ! قال : فضربه عبد الله ضربة وقع رأسه بين يديه ، ثم سلبه ، وأقبل سلاحه ودرّعه وبيصته ، فوصمها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال ، أنشِرْ يا بني الله يقتل عدو الله أبي جهل ! فقال رسول الله : أحقّ يعبد الله ! فوالذي نفسي بيده هو أحبُّ إليّ من خمر النعم ! أو كما قال . ثم قال : إنه أصابه جَحَشٌ ^(٢) من دفع دفعته في مأدبة ابن حُدَّان ، فجحشت ركبته فالتصوه ؟ فوجدو ذلك الأثر ^(٣) .

قال الواقدي : وروى أن أبا سعة بن عبد الأسد المخرومي كان عند النبي صلى الله عليه وآله تلك الساعة ، فوجد في نفسه ، وأقبل على ابن مسعود ، وقال : أنت قتلته ؟ قال : نعم ، الله قتله ! قال أبو سعة : أنت ولّيت قتله ؟ قال : نعم ، قال : لو شاء لجلتك في كُتْمِه ! فقال ابن مسعود : فقد والله قتلته وحرّدتُه ؛ فقال أبو سعة : فما علامته ؟ قال : شامة سوداء بيطن فخذ اليمنى ؛ فعرف أبو سعة الممّت ، فقال : أجزدته ، ولم يجرّد قرشي غيره ! فقال

(٢) الجحش : الموش ، أو موقه دون المرح

(١) معارى الواقدي ٨٤

(٣) الواقدي ٨٤ ، ٨٥

ابن مسعود : إنه والله لم يكن في قريش ولا في حُفائِها أحدٌ أعدى لله ولا لرسوله منه ؛ وما أعذر من شيء صنعته به . فأمسك أبو سلمة ^(١) .

قال الواقدي : وسمع أبو سلمة بعد ذلك يستغفر الله من كلامه في أبي جهل ، وقال : اللهم إنك قد أحررت ما وعدتني ، فتمم علي سميتك . قال : وكان عبد الله بن عتبة بن مسعود ، يقول : سيف أبي جهل عندما يحل بفضة ، عمه عبد الله بن مسعود يومئذ ^(٢) .

قال الواقدي : اجتمع قول أصحابنا أن معاذ بن عمرو راسي غمراء أثبتوه ، وضرب ابن مسعود عنقه في آخر رمق ، فكل شرك في قتله ^(٣) .

قال الواقدي : وقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وقف على مصرع ابنه غمراء ، فقال : يرحم الله ابني غمراء ؛ فإيهما قد شركاني قتل فرعون هذه الأمة ، ورأس آله الكفر ، فقيل : يا رسول الله ومن قتله معها ؟ قال : الملائكة ، ودفع عليه ابن مسعود ؛ فكان قد شرك في قتله ^(٤) .

قال الواقدي : وحدثني معمر ، عن الزهري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر : اللهم اكفني نوفل بن العديّة - وهو نوفل بن حويلد ، من بني أسد بن عبد العزى - وأقل نوفل يومئذ يصيح وهو مرعوب ، قد رأى قتل أصحابه ، وكان في أول ما التقوا هم والمسلمون ، يصيح بصوت له رحل ، رافعا عقبرته . يا معشر قريش ، إن هذا اليوم يوم العلاء والرمة . فلما رأى قريشا قد اكشفت جمل يصيح بالأبصار : ما حاجتكم إلى دماءنا ؟ أما ترون من تقتلون ؟ أما لكم في الله من حاجة ؟ فأمره جتار بن صخر ، فهو يسوقه أمامه ، فحل نوفل يقول لحنار ، ورأى عليا عليه السلام مقبلا نحوه : يا أخا الأبصار ، من هذا والثلاث والعري ! إني لأرى رجلا ، إنه يريدني ! قال

جبار : هذا علي بن أبي طالب ، قال يوهل : والله ما رأيتُ رجلاً أسرع في قومه ! فصمد له على عيه السلام فيضربه فيشب سيف علي في حَجَفَتِه ^(١) ساعة ، ثم يدرعه فيضرب به ساقيه ، ودرّعه مشتمرة ، فيقطعها ، ثم أحجز عيه فقتله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : من له علم يوهل من خويلد ؟ قال علي عليه السلام : أما قتلته ، فكبر رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقال : الحمد لله الذي أحاب دعوتي فيه ^(٢)

قال الواقدي : وأقبل العاص بن سعيد بن العاص يبحث للقتال ، فالتقى هو وعلي عليه السلام ، وقتله علي ، فكان عمر بن الخطّاب يقول لاسه سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص : مالي أراك معرضاً ، نطى أتى قتلته أدك ! فقال سعيد : لو قتلته لكان علي الساطل وكنت على الحق ، قال : فقال عمر : إن قريشاً أعظم الناس أحلاماً ، وأكثرها أمانة ، لا يبيعهم أحدٌ العوائل إلا كتبه الله لفيه ^(٣) .

قال الواقدي : وروى أن عمر قال لسعيد بن العاص : مالي أراك معرضاً كأني قتلته أمالك يومئذ ؟ وإن كنت لا أعتذر من قتل مشرك ، لقد قنت حالي بيدي العاص بن هاشم بن المغيرة .

وقنت من غير كتاب الواقدي أن عثمان بن عفان وسعيد بن العاص حضرا عند عمر في أيام خلافته ، فجلس سعيد بن العاص حجرة ^(٤) فطّر إليه عمر ، فقال : مالي أراك معرضاً كأني قتلته أمالك ! إني لم أقتله ، وسكته قتله أبو حسن ! وكان علي عليه السلام حاصراً ، فقال : اللهم عقر أدهب الشرك بما فيه ، وبما الإسلام ما قبله ؛ فلماذا تهاج

(٢) معاري الواقدي ٨٦

(٤) حجرة ؛ أي ناحية .

(١) الملحقة : النرس

(٣) معاري الواقدي ٨٦ ، ٨٧

القلوب ! فسكت عمر ، وقال سعيد : لقد قتله كفاً كريماً ؛ وهو أحب إلى من أن يقتله من ليس من بني عبد مناف .

قال الواقدي : وكان علي عليه السلام يحدث ، فيقول : إني يومئذ بعد ما منع^(١) النهار ونحن والمشركون قد اعتلقت صفوفهم وصعقهم ، خرجت في إثر رجل منهم ، فإذا رجل من المشركين على كثيب رمل وسعد بن خيثمة ، وهما يقتلان حتى قتل المشرك سعد بن خيثمة ، والمشرك مقتنع في الحديد ، وكان فارساً ، فأتته عن فرسه ، فمضى وهو معلم ، فناداني : هلم يابن أبي طالب إلى لبراز اصطمت إلى البرار ، فمطعت عليه ، فاعطتني إلى مقبلاً ، وكنت رجلاً قصيراً ، فامحطت راحمًا لكي يذل إلي ، كرهت أن سولني ، فقال : يابن أبي طالب ، فرددت أفقت : قريب مغر ابن الشراء ، فلما استغرقت قدمي وثبتت أقبل فلما دنا مني ضربني فالتقيت بالدرقة ، فوقع سيمه ، فطبع^(٢) فأمره على عاتقه وهو دارع ، فارتش ، ولقد قطعت سيفي درعاً ، فظننت أن سيفي سيقتله ، فإذا برين سيف من ورائي ، فطأ طأ رأسي ، ووقع السيف ، فظننت أن سيفي سيقتله ، وهو يقول : خذها وأنا ابن عبد المطلب ، فالتفت من ورائي ، فإذا هو حمزة عمي^(٣) ، والمقتول طعيمة ابن عدي^(٤) .

قلت : في رواية محمد بن إسحاق بن يسار أن طعيمة بن عدي قتل علي بن أبي طالب عليه السلام ، ثم قال : وقيل : قتله حمزة^(٥) . وفي رواية الشيعة قتله علي بن أبي طالب ، شحره بالرمح ، فقال له : والله لا تحاصمنا في الله بعد اليوم أبداً ؛ وهكذا روى محمد بن إسحاق .

(٢) الواقدي : يعني « لرم »

(٤) مغاري الواقدي ٨٧

(١) الواقدي : « ارتفع »

(٣) الواقدي : « حمزة بن عبد المطلب »

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٧

وروى محمد بن إسحاق قال ، وخرج النبي صلى الله عليه وآله من العريش إلى الناس ينظر القتال ، فخرّض النسمين وقال : كل امرئ مما أصاب ، وقال : والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل في جملة ، فيقتل صاراً محتسباً مقبلاً غير مدير ، إلا أدخله الله الجنة . فقال عُمير بن الحُمام أخو بني سكة ، وفي يده تمرات يا كلهن : صحح ! فما يبى وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ! ثم قذف التمرات من يده ، وأخذ سيفه ، فقاتل القوم حتى قُتل ^(١) .

قال محمد بن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمرو بن قتادة أن عوف بن الحارث - وهو ابن عمراء - قال لرسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر : يا رسول الله ، ما يصحكُ الرب من عبده ؟ قال : عمه يده في الصدوق خاسراً . فبرع عوف درعا كانت عليه وقذفها ، ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قُتل ^(٢) .

قال الواقدي وابن إسحاق : وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله كعماً من التلحفاء ، فرماهم بها ، وقال : شأنت الوحوش ^(٣) ! اللهم أرعب قلوبهم ، وزلزل أقدامهم . فانهزم للمشركون لا يثرون على شيء ، والمسلمون يتبعونهم يقتلون ويسرون ^(٤) .

قال الواقدي : وكان هبيرة بن أبي وهب المخرومي لما رأى الهزيمة انحرف طهره فقفر ، فلم يستطع أن يقوم ، فأتاه أبو أسامة الحنسي حليفه ، ففتق درعه واحتمله - ويقال - صر به أبو داود المازني بالسيف فقطع درعه ، ووقع لوحه ، وأخذ إلى الأرض ، وجاوزه أبو داود ونصر به أسا رهير الجشميان مالك ، وأبو أسامة ، وهما حليفاه ، فدنا عنه حتى نجوا به ، واحتمله أبو أسامة ومالك يذب عنه ، حتى حصاه . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : حماء كلباء الخليفان ^(٥) .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٨

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٨

(٣) بعدد في ابن هشام : ثم بهجم بها .

(٤) معرى الواقدي ٨٩ مع اختلاف في الرواية

قال الواقدي : وحدثني عمر بن عثمان عن عكاشة بن محصن ، قال : انقطع سبي يوم بدر ، فأعطاني رسول الله صلى الله عليه وآله عوداً ، فإذا هو سيف أبيص طويل ، فقاتلت به حتى هزم الله المشركين ، ولم ير ذلك السيف عند عكاشة حتى هلك .

قال : وقد روى رجال من بني عبد الأشهل عدة ، قالوا : اكسر سيف سقمة بن أسلم^(١) بن حريش^(٢) يوم بدر ، حتى أعزل لاسلح معه ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله قصيباً كان في يده من عراحين ابن طاب^(٣) ، فقال : اصرب به ، فإذا هو سيف جيد ، فلم يزل عنده حتى قتل يوم جسر أبي عبيد^(٤)

قال الواقدي : وأصاب حارثة بن سراقة ، وهو يكرع في الخوض سهم عرت^(٥) من المشركين موقع في محره ، فمات ، فلقد شرب القوم آحر النهار من دمه ؛ وبلغ أمه وأخته - وهما ببلدية مقتله - فقالت أمه : والله لا أبكي عليه ؛ حتى يقدم رسول الله صلى الله عليه وآله فأسأله ، فإن كان في الجنة لم أبك عليه ، وإن كان في النار فكيفه لعن الله ، فأعولته ؛ فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله من بدر جاءت أمه إليه ، فقالت : يا رسول الله ، قد عرفت موضع حارثة في قلبي ، فزدت أن أبكي عليه ، ثم قلت : لا أمل حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنه ؛ فإن كان في الجنة لم أبكيه ، وإن كان في النار بكيتُه فأعولته ؛ فقال النبي صلى الله عليه وآله : «هُنَاتٍ : أحنة واحدة ! إنها جنات كثيرة ، والذي نفسي بيده إنه لفي الفردوس الأعلى » ، فأت : فلا أبكي عليه أبداً .

قال الواقدي : ودعا رسول الله صلى الله عليه وآله حينئذ بماء في إناء ، فغمس يده فيه ومضمض فاه ، ثم ناول أم حارثة بن سراقة ، فشربت ثم ناولت أسرتها فشربت ،

(١) ب : « أشهل » ، وصوبه من الواقدي واس هشام

(٢) أ : « حريش » ، والصواب ما في ب والواقدي

(٣) في اللسان : « عبد بن طاب شقة بدمه » ، ونقل من كتاب صرب من المرتب هاتك .

(٤) سهم عرت : لا يدرى دامية .

(٥) مقاري الواقدي ٨٨

ثم أمرها ففصحتا في جُيوسهما ، ثم رجعت من عند النبي صلى الله عليه وآله ، وما بالمدينة امرأتان أقرّ عينا منهما ولا أسر^(١) .

قال الواقدي : وكان حكيم بن حرم يقول : أمر ما يوم بدر ، جعلت أسعى وأقول : قاتل الله ابن الحنظلية ! يرغم أن السها قد ذهب ، والله إن السها لكما هو ؛ قال حكيم : وما ذاك بي إلا حسا أن يأتي الليل فيقتصر عنا طلب القوم ، فيدرك حكيم عبيد الله وعبد الرحمن بن العوام على حمل لهما ، فقال عبد الرحمن لأخيه . ازل فاحمل أبا خالد ، وكان عبيد الله رجلا أعرج ، لا رجلة^(٢) به ، فقال عبيد الله : إنه لا رجلة بي كما ترى ؛ وقال عبد الرحمن : والله إن لا بد منه ، ألا تحمل رجلا ، إن متنا كفانا ما خلفنا من عيالنا ، وإن عشنا حملنا كلنا ! فحمل عبد الرحمن وأخوه الأعرج ، فحملاه ، فمكثوا يتعاقبون الحمل ، فلما دنا من مكة وكان بمر الظهران ، قال : والله لقد رأيت هاتين امرأتين كان يخرج علي مثل أحدهما رأي ، ولكنه شؤم ابن الحنظلة ! إن حرورا عجزت هاهنا فلم يبق جناه إلا أصابه من دمها . فقالا : قد رأينا ذلك ؛ ولكن رأيناك وقومك قد مصبتن فصينا معكم ، ولم يكن لنا معكم أمر .

قال الواقدي : حدثني عبد الرحمن بن الحارث عن محمد بن خفاف ، عن أبيه ، قال : كانت الدروع في قريش كثيرة يومئذ ؛ فلما انهزموا حملوا يلقيونها ، وجعل المسلمون ينبعونهم ويلقون ما طرحوا ، ولقد رأيتني يومئذ التفتت ثلاث أدرع حثت بها أهلي ، فكأنت عندنا بعد ، فزعم لي رجل من قريش - ورأى دِرْعًا معها عندنا فعرفها - قال : هذه دِرْع الحارث بن هشام^(٣) .

قال الواقدي : وحدثني محمد بن حميد ، عن عبد الله بن عمرو بن أمية ، قال : أخبرني من اكشف من قريش يومئذ مهرا ، وإنه ليقول في نفسه : ما رأيت مثل هذا فر مني إلا النساء^(٤) !

(٢) الرجلة ؛ بالصم : القوة على الشيء .

(٤) معاري الواقدي ٩٠ .

(١) معاري الواقدي ٨٨ .

(٣) معاري الواقدي ٨٩ ، ٩٠ .

قال الواقدي : كان قباث بن أشيم الكندي يقول : شهدت مع المشركين بدرًا ،
 وإني لأنظر إلى قلة أصحاب محمد في عبي ، وكثرة من مصاص الخيل والزجل ، فانهزمتُ
 فيمن انهزم ، فلقد رأيتهُ وإني لأنظر إلى المشركين في كل وجه ، وإني لأقول في نفسي :
 ما رأيت مثل هذا الأمر فرمته إلا النساء ! وصاحني رجل ، فبينا هو يسير معي إذ لحقنا
 من خلفنا ، فقلت لصاحبي : أبلغك ههنا ؟ قال : لا والله ما لي ! قال : وعقر وترفت ،
 فلقد صحت عتيقة - قال : وعتيقة عن يسار السقي بينها وبين العرع ليلة وبين العرع والمدينة
 نماية برؤد - قبل الشمس ؛ كنت هاديا بالطريق ؛ ولم أسلك الحاج وحيت من الطلَب
 فتسكت عنها ، فلقيني رجل من قومي بعتقة ، فقال : ما وراءك ؟ قلت : لا شيء . فقلنا
 وأسيرنا وانهزمتنا ، فهل عدك من حُلان ؟ قال : لم يخاف على بعير ، وروذني زادا ، حتى
 لقيت الطريق بالبحفة ، ثم مضيت حتى دخلت مكة ؛ وإني لأنظر إلى الخيَّمان بن
 حابس الخراعي مالميم ، فعرفت أنه ندم يعني قريشا بمكة ، فواردت أن أسقه لسقته ،
 فتسكت^(٢) عنه حتى سبقي بعض النهار ، فقدمت وقد انتهيت إلى مكة خير قتلاهم ، وهم يلعبون
 الخراعي ، ويقولون : ما جاءنا بحير افككت بمكة ، فما كان بعد الخندق ، قلت :
 لو قدمت المدينة ، فنظرت ما يقول محمد ! وقد وقع في قلبي الإسلام ، فقدمت المدينة ،
 فسألت عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، فدوا : هو ذلك في طل المسجد مع ملا من
 أصحابه ، فأتيته وأنا لا أعرفه من بينهم ، فلت فقال : يا قباث بن أشيم ، أنت القاتل يوم
 بدر : ما رأيت مثل هذا الأمر فرمته إلا النساء ! قلت : أشهد أنك رسول الله ، وأن هذا
 الأمر ما خرج مني إلى أحد قط ولا ما رمرت^(٣) به ؛ إلا شيئا حدثت به نفسي ، فولا أباك
 نبي ما أظلمك الله عليه ؛ هلم حتى أبايعك فأسمت^(٤) .

(٢) م . د . مكنت ، وأثبت ما لي والواقدي .

(٤) ساري الواقدي ٩٠ ، ٩١ .

(١) الواقدي : « الحاج » .

(٣) ما ترمزت به ؛ أي ما طقت به .

قال الواقدي : وقد روى أنه لما توجه المشركون إلى بدر كان فتيان ممن تحف عنهم بمكة سمدرا يسرون بذي طوى في القمر حتى يذهب الليل ، يتناشدون الأشعار ويتحدثون ، فبهم كذلك إذ سمعوا صونا قريبا منهم ولا يرون القائل ، راعوا صوته يتغنّى :

أراد الحيفيُّون بدرًا مصيبة سيقصّ منها ركنٌ كثيرٌ وقيةً سرًّا
أرت لها صمّ الحبال وأفرعت قبائل ما بين الوثير والخيرة^(١)
أجازت جبال الأحشيش وحردت حرائرُ بصرى التراث حُسرًا^(٢)

قال الواقدي : أشدّ به^(٣) ، ورواه عبد الله بن أبي عبيدة ، عن محمد بن عمار بن ياسر ، قال : فاستمعوا الصوت ، فلا يرون أحدًا ، فراحوا في طلبه ، فلم يروا أحدًا ، فراحوا هريصين ، حتى جاوروا الحِجْرَ ، فوجدوا مشيخةً منهم حلة سمارا ، فأخبرهم الخبر ، فقالوا لهم : إن كان ما تقولون ، فإن محمدا وأصحابه يسمّون الحيفة . قال : فلم يبق أحدٌ من العتيان الذين كانوا بذي طوى إلا وعيك ، فما مكثوا إلا ليلتين أو ثلاثا ، حتى قدم الحِشْمَانُ^(٤) الخزاعي بمصر أهل نذر ، ومن قتل منهم ، فعمل بحرمهم ، فيقول : قتل عتبة وشيبة ابني ربيعة ، وقتل ابنا الحجاج وأبو البختري ، وزمنة بن الأسود . قال : وصعوان بن أمية في الحِجْرَ جالس يقول : لا يعقل هذا شيئا مما يتكلم به أسلوه عتي ، فقالوا : صفوان بن أمية لك به علم ؟ قال : نعم ، هو ذلك في الحِجْرَ ، ولقد رأيت أباه وأخاه مقتولين ، ورأيت سهيل بن عمرو والنضر بن الحارث أسيرين ، رأيتهما مقروبين في الحبال^(٥) .

(١) كذا في الواقدي ، وفي ب : « وخيرة » .

(٢) كذا في أ ، وفي ب : « التراث وحسرا » (٣) الواقدي : « أشدّ به » .

(٤) في الأصول : « الحِشْمَان » ، والصواب ما أنبه من الواقدي واللائري وابن هشام والطبري .

(٥) معاري الواقدي ١١٤

قال الواقدي : وضع النجاشي^(١) مقتل^(٢) قريش وما ظفر الله به^(٣) رسوله ، فخرج في ثوبين أبيصين ، ثم جلس على الأرض ، ودعا حمير بن أبي طالب وأصحابه ، فقال : أيتكم يعرف^(٤) بديراً ؟ فأخبروه ، فقال : أنا عارف بها ، قد رعبت^(٥) الغنم [في] جوابها ، هي من الساحل على بعض نهار ، ولكي أردت أن أتشت منكم ، قد نصر الله رسوله بيدري ، فاحمدوا الله على ذلك . فقال بطارفته : أصلح الله منك ! إن هذا شيء لم تكن تصنعه ، يريدون لبس^(٦) البياض والخلوص على فالأرض ، فقال : إن عيسى بن مريم كان إذا حدثت له نعمة ازداد بها تواضعاً^(٧) .

قال الواقدي : فلما رحت قريش إلى مكة ، قام فيهم أبو سفيان بن حرب ، فقال : يا معشر قريش ، لا تنكروا على قلائكم ، ولا تمنع^(٨) عليهم نائحة ، ولا يندبهم شاعر ، وأنظروا الخلد والعراء ، فإنكم إذا منحتهم عليهم ومكيتهم بأشعر أذهب ذلك عيظكم فكلكم [ذلك]^(٩) عن عداوة محمد وأصحابه ، مع أن محمداً إن يلقه وأصحابه ذلك شمتواكم ، فتكون أعظم المصيبتين ، ولعلكم تدركون تآركم ، فالتدعن ولساء على حرام حتى أعرو محمداً . فكتب قريش شهراً لا يبكهم شاعر ، ولا تنوح عليهم نائحة .

قال الواقدي : وكان الأسود بن المطاط قد ذهب نصره ، وقد كيد على من قتل من ولده ، وكان يحب أن يبكي عليهم فتأني عليه قريش ذلك ، فكان يقول لعلامه بين اليومين : وبلك ! احمل معي خيراً ! واسلك بي لعج^(١٠) الذي سلكه أبو حكيمة - يعني ربيعة - ولده المقتول بيدري - فيأتي به علامه على الطريق عند ذلك العج فيجلس ، فيسقيه الخمر

(١) الواقدي : « بيه » . (٢) الواقدي : « أين يجر » . (٣) من الواقدي

(٤) الواقدي : ١١٥ « نليس ثوبين ونجس على الأرض » فقال : إني من قوم إذا أحدث الله لهم نعمة ازدادوا بها تواضعاً . وقال : إنه قال : إن عيسى بن مريم عليه السلام كان إذا حدثت له نعمة ازداد بها تواضعاً . والمبرق الواقدي ١١٤

(٥) من الواقدي ١١٥ .

حتى ينتشى ، ثم يبكي على أي حَكِيمَة وإحوته ، ثم يحقن التراب على رأسه ، ويقول لعلامه : ويحك !! اكنتم عليّ ، فإني أكره أن تعلم في قریش ، إني أراها لم تجمع السكاء على قتلاها^(١) .

قال الواقدي : حدثني مصعب بن ثابت عن عيسى بن معمر ، عن عباد بن عبد الله ابن الزبير ، عن عائشة قالت : قالت قریش حين رجعوا إلى مكة : لا تبكوا على قتلاكم ، فيبلغ عمدا وأصحابه فيشتوا بهم ، ولا تبعثوا في أسراكم ، فيأرب^(٢)كم القوم ، الأفاكوا عن البكاء .

قال : وكان الأسود بن المطلب أصيب له ثلاثة من ولده : رَمْعَة وعقيل والحارث بن رَمْعَة ، فكان يحب أن يبكي على قتلاه ، فبما هو كذلك إذ سمع بأخيه من الليل ، فقال لعلامه - وقد ذهب نصره - : انظر ، هل بكيت قریش على قتلاها ! لعل أبكي على أي حَكِيمَة - يعني رَمْعَة - فإن حوفي قد احترق ، فذهب الملام ورجع إليه ، فقال : إنما هي امرأة تبكي على نعيها قد أصلت . فقال الأسود :

تَكُنِّيْ أَنْ يَصِلَ لَهَا نَصِيرٌ وَيَمْنَعُهَا مِنَ التَّوْمِ السُّهُودُ^(٣)
فَلَا تَبْكِي عَلَى بَكْرِ وَلَكِنْ عَلَى تَكْرِ تَصَاغَرَتِ الْخُدُودُ^(٤)
فَكُنِّيْ إِنْ بَكَيْتِ عَلَى عَقِيلٍ وَبَكَيْ حَارِثًا أَسَدَ الْأَسُودِ
وَبَكَيْهِمْ وَلَا تَسْمِيْ جَمِيعًا^(٥) فَا لِأَيِّ حَكِيمَةٍ مِنْ تَلِيدِ

(١) معاري الواقدي ١١٤ (٢) فيأرب : فيشتد .

(٣) الخبر والشعر - مع اختلاف الرواية - في سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩١ ، والنصر أيضاً في ديوان الحماسة - بشرح الرزوقي ٢ : ٨٧٢ .

(٤) الحماسة : « تصاغرّت الخدود » ، قال الرزوقي : « هو تعامل من القصور والحر » لا القصير القدي هو صد الطول ، وفي الواقدي عن هشام : سمعت ابن يثمد « تصاغرّت الخدود » ، ولا يسكر « الخدود » .
(٥) لا تسمي ، أي لا تنأي .

على بدر سُرّة بنى مُصيصٍ ومحرّوم ورهط أوى الوليد
ألا قد سادَ سُدُمُ رجالٌ ولولا يومٌ بدرٍ لم يسودُوا

قال الواقدي : ومشت نساء من قريش إلى هند بنت عتبة ، فقلن : ألا تبكين على
أيك وأخيك وعمك وأهل بيتك ! فقالت : حَلّاني ^(١) أن أبكيهم ، فيبلغ محمدا وأصحابه
فيشتموا بنو ساء بنى الحزرج ، لا والله حتى أثار محمدا وأصحابه ، والذهن على حرام إن
دخل رأسي حتى سمروا محمدا ! والله لو أعم أن الحزن يذهب عن قلمي لكيت ، ولكن
لا يذهبه إلا أن أرى ثأري يسي من قتلة لأحبة ، فكنت قلّي حالها لا تقرب الذهن ،
ولا قومت فراش أوى سعيان من يوم حلفت حتى كانت وقعة أحد ^(٢) .

قال الواقدي : وبلغ نوفل بن معاوية الديلي وهو من أهل - وقد كان شهد معهم بدر -
أن قريشا بكت على قتلاها ؛ فقدم مكة ، فقال : يا معشر قريش ، لقد خفت أحلامكم ، وسفه
رأسكم ، وأظلمت ساءكم ، أمثل قتلاكم بسكي عبيهم ! مع أهل من السقاء ، مع أن ذلك
يذهب غيظكم عن عداوة محمد وأصحابه ، فلا يسي أن يذهب النبط عنكم ، إلا أن
تدركوا ثأركم من عدوكم . فسمع أبو سفيان بن حرب كلامه ، فقال : يا أبا معاوية ، علبت ،
والله ما ناحت امرأة من بني عبد شمس على قتيل لها إلى اليوم ، ولا نكاهم شاعر إلا سبته
حتى ندرك ثأرنا من محمد وأصحابه ، وإني لأر لموتور الثأر ، قتل ابني حنظلة ، وسادة أهل
هذا الوادي ؛ أصبح هذا الوادي مقشرا ، بمقدم ^(٣) !

قال الواقدي : وحدثني معاذ بن محمد الأصبري ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال :
لما رجع المشركون إلى مكة ، وقد قتل صناديدهم وأشرافهم ، أقبل عبيد بن وهب بن عمير
الجبلي حتى جلس إلى صفوان بن أمية في الحَجَر ، فقال صفوان بن أمية : قُبِحَ العيش

(٢) مغارى الواقدي ١١٦ ، ١١٧

(١) حَلّاني : مسمى

(٣) مغارى الواقدي ١١٨

بعد قتلى بدر ! قال عмир بن وهب : أحل والله ، ما في العيش بعدهم خير ، ولولا دين علي لا أجده قصاء ، وعيال لا أدع لهم شيئاً ، رحلت إلى محمد حتى أقتله إن ملأت عيني منه ؛ فإنه يلقي أنه يطوف في الأسواق ، فإن لي عندهم علة ، أقول : قدمت على ابني هذا الأسير ، ففرح صفوان بقوله ، وقال : يا أبا أمية ، وهل نراك فاعلاً ؟ قال : إي ورب هذه البنية ! قال صفوان : فعلى دينك ، وعيالك أسوء عيالي ، فأنت تعلم أنه ليس بمكة رجل أشد توسعاً على عياله مني . قال عмир : قد عرفت ذلك يا أبا وهب ، قال صفوان : فإن عيالك مع عيالي ، لا يسمي شيء ونعمر عنهم ، ودينك علي . فحمه صفوان على عمره ، وحمه وأخرى على عياله مثل ما يحري على عيال معه ، وأمر عير سيفه فشجده وسم ، ثم خرج إلى المدينة ، وقال لصفوان : اكتبتم علي أياماً حتى أقدمها . وخرج فلم يدركه صفوان ، وقدم عير ، فدخل على باب المسجد ، فوجد راحته ، وأحد السيف فتغلده ، ثم عمد نحو رسول الله صلى الله عليه وآله ، وعمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون^(١) ، ويذكرون نعمة الله عليهم في بدر ، فرأى عيرا وعليه السيف ، صرع عمر منه ، وقال لأصحابه : دونكم الكلب ! هذا عير بن وهب عدو الله الذي حرّث يوماً بدر ، وحرّثنا للقوم ؛ وصعد فينا وصرخ : يحبر فريث أنه لا عدد لنا ولا كمين . فقاموا إليه فأخذوه ، فانطلق عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : يا رسول الله ؛ هذا عير بن وهب ، ورسول المسجد ومعه السلاح ، وهو العاذر الحبيث الذي لا يؤمن على شيء ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : أدخله علي ، فخرج عمر فأخذ بمائل سيفه ، فقبض بيده عليها ، وأخذ بيده الأخرى قائم السيف ، ثم أدخله على رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلما رآه ، قال : يا عمر ، تأخر عنه ، فلما دنا عير إلى النبي صلى الله عليه وآله قال : أبيع صباحاً ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله : قد أكرما الله عن تحييتك ، وجعل تحييتنا السلام ، وهي تحية أهل الجنة . قال عير : إن عهدك بها لحديث ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : قد أبدلنا

(١) الواقدي : « نظر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو في نفر من أصحابه يتحدثون ،

الله خيراً ، فما أقدمك يا عمير ؟ قال : قدمت في أسيرى عندكم تعادونه وتقار بوننا فيه ، فإنكم المشيرة والأصل ! قال النبي صلى الله عليه وآله . فما بال سيف ! قال عمير : قبضها الله من سيوف ! وهل أغنت من شيء ، إنما سبته حين نزلت وهو في رقتي ، ولمعري إن لي لها غيره ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : أصدق يا عمير . ما الذي أقدمك ؟ قال : ما قدمت إلا في أسيرى ، قال صلى الله عليه وآله : فما شرطت لصفوان بن أمية في الحجر ؟ فصرع عمير ، وقال : ماذا شرطت له ؟ قال : تحملت قتلي ، على أن يصفى دينك ، ويعول عيالك ، والله حائل بينك وبين ذلك ! قال عمير : أشهد أنك رسول الله وأنت صادق ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، كما يارسول الله مكدتك بالوحى ، ونما يتيك من السماء ، وإن هذا الحديث كان بيني وبين صفوان ككافات ، لا يطعم عبيه عميره وعيرى ، وقد أمرته أن يكتبه^(١) ليالى ، فأطعك الله عليه ، فآمنت بالله ورسوله ، وشهدت أن ما حثت به حق . الحمد لله الذي ساقى هذا المساقى وفرح المسلمون حين هداه الله ، وقال عمر بن الخطاب : لخبر ير^١ كان أحب إلى من حين طلع ، وهو الساعة أحب إلى من نصر ولدى . وقال الذى صلى الله عليه وآله : « علموا أساكم القرآن ، وأطيعوا له أسيرى » ، فقال عمير : يارسول الله ، إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله ، فله الحمد أن هدانى ، فأذن لي فألحق قريشا فأدعوهم إلى الله وإلى الإسلام ، فلم الله يهديهم ويستنقدهم من الهلكة - فأذن له فخرج ، فلحق بمكة - وكان صفوان يسأل عن عمير بن وهب - كل راكب يقدم من المدينة ، يقول : هل حدث بالمدينة من حدث ؟ ويقول لقريش : أشيروا بوقعة تنسيكم وقعة بدر - فقدم رجل من المدينة ، فسأله صفوان عن عمير ، فقال : أسلم ، فلعنه صفوان ولعنه المشركون بمكة ، وقالوا : صبا عمير ، وحلف صفوان ألا يكلمه أبداً ، ولا ينفقه ، وطرح عياله . وقدم عمير ، فنزل في أهله ، ولم يأت صفوان ، وأطهر الإسلام ، فبلغ صفوان : فقال : قد عرفت حين لم يبدأ بي قبل منزله ، وقد كان رجل أحبرني أنه ارتكس ، لا أكلمه من رأسى

أبدا ، ولا أنفعه ولا عياله بنافعة أبدا ، فوقع عيه عُقْبَرٌ وهو في الحجر فقال : يا أبا وهب . فأعرض صفوان عنه ، فقال عمير : أنت سيد من ساداتنا ، رأيت الذي كُتِبَ عليه من عبادة حَجَرٍ ، والدَّحْجَ له ! أهدا دين ! أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، فلم يحبه صفوان بكلمة ، وأسلم مع عمير بشر كثير ^(١) .

قال الواقدي : وكان فتية من قرش حصة قد أسلموا ، فاحتسبهم آباؤهم ، فخرجوا مع أهلهم وقومهم إلى بدر ، وهم على اثنتي عشرة رجل ، لم يحاصروا إسلامهم ؛ وهم : قيس بن الوليد بن المغيرة ، وأبو قيس بن الكهك من شعيرة ، والحارث بن ربيعة بن الأسود ، وعلي بن أمية بن خلف ، والعاص بن مته بن الحجاج ، فلما قدموا بدرا ، ورأوا قلة أصحاب النبي صلى الله عليه وآله ، قالوا : عز هؤلاء دينهم ، فقيهم أنزل : ﴿ إِذْ يَقُولُ الْمَشَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ عَزَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ ﴾ ^(٢) ، ثم أزل فيهم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَاهِرِينَ أَن يَقُولُوا قَالُوا قَالُوا كُنتُمْ مُتَنَصِّفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ ^(٣) إلى تمام ثلاث آيات ^(٤) .

قال : فكتب بها المهاجرون بالمدينة إلى من أقام بمكة مسلما ، فقال جندب بن صمرة الخزاعي : لا عند لي ولا حجة في مقام بمكة - وكان مريضا - فقال لأهله : أخرجوني ، لعل أجد رَوْحًا ! قالوا : أي وجه أحست إليك ؟ قال : سم التنعيم ! فخرجوا به إلى التنعيم ، وبين التنعيم ومكة أربعة أميال من طريق المدينة - فقال : اللهم إني خرجت إليك مهاجرا ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُخْرِجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ... ﴾ ^(٥) الآية ، فلما رأى ذلك مَنْ كَانَ بِمَكَّةَ يَمْسُ بِطِيقِ الْخُرُوجِ ، فخرجوا ، فطلبهم أبو سفيان في رجال من المشركين ،

(٢) سورة الأنفال ٤٩
(٤) معارى الواقدي ٦٧

(١) معارى الواقدي ١١٧ - ١٢٣
(٣) سورة النساء ٩٧ وما بعدها
(٥) سورة النساء ١٠٠

فردوهم وسجنوهم ، فاختن منهم ناس ، وكان الذين اختموا إنما اختنوا حين اصابهم البلاء .
 فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً
 لِلنَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ .. ﴾ ^(١) الآية وما بعدها ، فكتب بها المهاجرون بالمدينة إلى من كان
 بمكة مسلما ، فلما حادهم الكتاب بما أنزل فيهم ، قالوا : اللهم إن لك علينا ابن أفلتنا
 ألا تعطل بك أحدا ، فخرجوا الثانية ، فطلبهم أبو سفيان والمشركون ، فأعجروهم هربا في
 الجبال ، حتى قدموا المدينة ، واشتد البلاء على من ردوا من المسلمين ، فصر بوم وآدوم
 وأكرهوم على ترك الإسلام ، ورجع ابن أبي سرح مشركا ، فقال لقريش : ما كان يعم
 محمدا إلا ابن قطرة ^(٢) ، عند نصراني ، لقد كنت أكرهه فأحول ما أردت ، فأنزل الله تعالى
 ﴿ وَقَدْ نَعِمَ أَنتُمْ بِقَوْلِ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَن بَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِيًّا ﴾ ^(٣) الآية ^(٤)



القول في نزول الملائكة يوم بدر ومحاربتهم المشركين

اختلف المسلمون في ذلك ، فقال الجمهور منهم : نزلت الملائكة حقيقة ، كما ينزل
 الحيوان والحجر من الموضع العالي إلى الموضع السفل .
 وقال قوم من أصحاب المعاني غير ذلك .
 واختلف أرباب القول الأول ، فقال الأكثرون : نزلت وحاربت ، وقال قوم منهم :
 نزلت ولم تحارب ، وروى كل قوم في نصرة قولهم روايات .

فقال الواقدي في كتاب " المعاري " : وحدثنني عمر بن حفصة ، عن شعبة مولى
 ابن عباس ، قال : سمعت ابن عباس يقول : لما تواكب الناس أجمع على رسول الله صلى

(١) سورة المائدة ١٠

(٢) كذا في الأصول ومعارى الواقدي ، وفي نسخة الفرعي ١٠ : ١٧٧ ، اسمه حبر ، وقيل اسمه يميني

(٣) سورة اسجد ١٠٣ (٤) معاري الواقدي ٦٧

الله عليه وآله ساعة ، ثم كشف عنه فبشر المؤمنين بمجراييل في جُند من الملائكة في مينة الناس ، وميكائيل في جند آخر في ميسرة الناس ، وإسرافيل في جند آخر في ألف ، وكان إبليس قد تصور للمشركين في صورة مُراقة بن جعشم المدلجي ، يذمر المشركين ، ويحبرهم أنه لا عاص له من الناس ، فما أنصر عدو الله الملائكة نسكص على عقيبه ، وقال : ﴿ إِنِّي تَرَى مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ ﴾ ، فشبث به الحارث بن هشام ، وهو يرى أنه مُراقة لما سمع من كلامه ، فضرب في صدر الحارث ، فقط الحارث ، وانطلق إبليس لا يرى حتى وقع في البحر ، ورفع يديه قائلاً : يا رب موعذك الذي وعدتني ! وأقل أنوجهل على أصحابه يمحصهم على القتال وقال : لا يعرفكم حدلان سراقة بن جعشم إني أكم ، فإما كان على مياد من محمد وأصحابه ، سيعلم إذا رحمتنا إلى قديد ما نصع بقوته ! ولا يهولكم مقتل عُنْثَة وشيبة والوليد ، فإهم عملوا وعلروا حين قاتلوا ، وإيم الله لا يرجع اليوم حتى نفرن محمداً وأصحابه في الجبال ، فلا العين أحدًا منكم قتل منهم أحدًا ، ولكن خذوهم أخذاً تعرفهم بالذي صنعوا ، لفارقتهم ديفكم ورعبتهم عما كان بعد آناؤهم .

قال الواقدي : حدثني عُثْبَة بن يحيى ، عن معاذ بن رفاع بن رافع ، عن أبيه ، قال : إن كنا لنسمع لإبليس يومئذ خواراً ودعاءً ماثبور والويل ، وتصوّر في صورة سراقة ابن جعشم حتى هرب ، فاقضم البحر ، ورفع يديه ماداً لهما ، يقول : يا رب ما وعدتني ! ولقد كانت قریش بعد ذلك تعير سراقة بم صنع يومئذ ، فيقول : والله ما صنعت شيئاً !

قال الواقدي : حدثني أبو إسحاق الأسلمى ، عن الحسن بن عبيد الله ، مولى بني العباس ، عن عمارة الليثي ، قال : حدثني شيخ صياد من الحنّ - وكان يومئذ على ساحل البحر - قال : سمعت صياحاً : يا ويلاه ! يا ويلاه ! قد ملأ الوادي : يا حرباه يا حرباه ! ففطرت فإذا سراقة بن جعشم ، فدبوت منه ، فقلت : مالك فذاك أي وأمي ! فلم يرجع إلى شيئاً ، ثم أراه اقضم البحر ، ورفع يديه ماداً ، يقول : يا رب ما وعدتني ! فقلت

في نفسي : جُنْ وبيت الله سراقه ! وذلك حين راغت الشمس ، وذلك عند انهمامهم يوم بدر^(١) .

قال الواقدي : قالوا : كانت سماء الملائكة عمام قد أرحوها بين أكتافهم ، خصراء وصفراء وحمراء من نور ، والصوف في نواصي حبيهم .

قال الواقدي : حدثني محمد بن صالح ، عن عامر بن عمر ، عن محمود بن لبيد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر : « إن ملائكة قد سوت فسوموا » ، فأعلم المسلمون بالصوف في مغافيرهم وقلانسهم^(٢) .

قال الواقدي : حدثني محمد بن صالح قال : كان أربعة من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله يسمون^(٣) في الرحوف : حمزة بن عبد المطلب كان يوم بدر معيا بريشة نعام ، وكان على عليه السلام معيا مصوفة يديها ، وكان الزبير معيا مصابة صغراء ، وكان أبو دحابة يعمم مصابة حمراء وكان الزبير يحدث أن للملائكة نزلت يوم بدر على حيل بلق عبيها عمام صفر فكات على صورة الزبير .

قال الواقدي : فروى عن سهيل بن عمرو ، قال : لقد رأيت يوم بدر رجلا يديها على حيل بلق بين السماء والأرض معللين يقتعون ويأسرون .

قال الواقدي : وكان أبو أسد الساعدي يحدث بعد أن ذهب بصره ، ويقول : لو كنت معكم الآن بيدرو معي نصرى لأريتكم الشهاب الذي خرجت منه الملائكة ، لا أشك فيه ولا أمتري ! قال : وكان أسيد يحدث عن رجل من بني عفار حدثه ، قال : أقلت أنا وابن عمي يوم بدر ، حتى صعدنا على جبل ، ونحن ؛ ومثد على الشراك تنظر الوقعة وعلى من تكون الدبرة فنذهب مع من ينهب ، ذرأيت معابة دت مناء ، فسمعت منها

(٢) مغازي الواقدي ٧٠

(١) معاذي الواقدي ٧٠

(٣) يقال . رجل معيم بكسر اللام ؛ إذا عم مكانه في الحرب بعلامه أعليا .

مهمة الخيل ، وقمعة الحديد ، وسمعت قائلاً يقول : أقدم حيزوم ! فأما ابنُ عُمى ،
فاكشف قناع قلبه ، فمات ، وأما أنا فكنت أهلك ، فقامت وأتبعته بصرى حيث
تذهب السحابة ، فجاءت إلى النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه ، ثم رحمت ، وليس فيها شيء
مما كنت أسمع .

قال الواقدي : وحدثني خارحة بن إبراهيم بن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس ،
عن أبيه ، قال : سأل رسول الله صلى الله عليه وآله حبرائيل : مَنْ القاتل يوم بدر : أقبل
حيزوم ؟ فقال حبرائيل : يا محمد ، ما كلَّ أهل السماء أعرف .

قال الواقدي : وحدثني عبد الرحمن بن الحارث ، عن أبيه ، عن حذو ، عبدة بن
أبي عبدة ، عن أبي رُهم الغضاري بن ابن عمر ، قال : بينا أنا وابن عمر لي على ماء
بدر ، فلما رأينا قلة من مع محمد وكثرة قريش ، قمنا : إذا التقت العتبان عمدنا إلى عسكر محمد
وأصحابه فانهبناه ، فاطلقنا نحو المحبة اليسرى من أصحاب محمد ، ونحن نقول : هؤلاء
ربع قريش ، فيينا نحن نمشي في الميسرة إذ جاءت سحابة فعشيتنا ، فرفعنا أنصارنا لها ، فسمعتنا
أصوات الرجال وال سلاح ، وسمعنا قائلاً يقول لعمره : « أقدم حيزوم » ، وسمعناهم يقولون :
« رويدا تنادم أحراكم » ، فبرلوا على ميمنة رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم جاءت
أخرى مثل تلك فكادت مع النبي صلى الله عليه وآله ، فنظرنا إلى أصحاب محمد وإذا هم
على الصَّعْف من قريش ، فمات ابنُ عُمى ، وأما أنا فقامت ، وأحبرت النبي صلى الله
عليه وآله بذلك ، وأسلمت .

قال الواقدي : وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال « مارئي الشيطان
يوماً هو فيه أصغر ولا أحقر ولا أذخر ولا أغصب منه في يوم عرفة ، وما ذاك إلا لما رأى
من نزول الرحمة وتجاور الله تعالى عن الذنوب العظام ، إلا مارأي يوم بذرته ، قيل : وما رأي

يا رسول الله يوم بدر؟ قال: أما إنه رأى جبرائيل يوزع للملائكة. قال: وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال يومئذ: «هذا جبرائيل يسوق برمج، كأنه دحية الكلبي، إني نصرت بالصبا وأهيككت عاد بالدبور»^(١).

قال الواقدي: وكان عبد الرحمن بن صوف يقول: رأيت يوم بدر رجلين؛ أحدهما عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم، والآخر عن يساره، يقاتلان أشد القتال، ثم نلها ثالث من خلفه، ثم رتبعها رابع أمامه^(٢).

قال: وقد روى سعد بن أبي وقاص مثل ذلك، قال: رأيت رحلتين يوم بدر، يقاتلان عن النبي صلى الله عليه وسلم، أحدهما عن يمينه، والآخر عن يساره، وإني لأراه ينظر إلى ذا مرة، وإلى ذا مرة، سرورا بما فتحه^(٣) الله تعالى^(٤).

قال الواقدي: وحدثني إسحاق بن يحيى، عن حمزة بن صهيب، عن أبيه، قال: ما أدرى كم يد مقطوعة وضربة جائفة لم يذم كغنها يوم بدر، قد رأيتها^(٥).

قال الواقدي: وروى أبو بريدة بن ريار، قال: جئت يوم بدر بثلاثة رموس فوصفتها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله، أما اثنتان فقتلتها، وأما الثالث فإني رأيت رجلاً طويلاً أبيض ضربه ففدده^(٦) أمامه؛ فأخذت رأسه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ذاك فلان من الملائكة»^(٧).

قال الواقدي: وكان ابن عباس رحمه الله، يقول: لما تقابل الملائكة إلا يوم بدر^(٨).

(٢) معاري الواقدي ٧٣

(٤) معاري الواقدي ٧٣

(٦) تدمية: تدمرج، وفي الواقدي «تدمرج»

(١) معاري الواقدي ٧٢

(٣) الواقدي: «ظفره الله».

(٥) معاري الواقدي ٧٣

(٧) معاري الواقدي ٧٣

قال : وحدثني ابن أبي حبيبة عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان الملك يتصور في صورة من يعرفه المسلمون من الناس ^(١) ليثبتهم ، فيقول : إني قد دنوت من المشركين ، فسمعتهم يقولون : لو حملوا علينا ما تشاؤون ، وليسوا بشيء ، فاجعلوا عليهم ؛ وذلك قول الله عز وجل : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ... ﴾ ^(٢) الآية ^(٣) .

قال الواقدي : وحدثني موسى بن محمد ، عن أبيه ، قال : كان السائب بن أبي حبيش الأسدي يحدث في زمن عمر بن الخطاب ، فيقول : والله ما أسرتني يوم بدر أحد من الناس ، فيقال : من ؟ فيقول : لما أسهرت قريش أسهرت معها فيدركني رجل أبيص طويل ، على فرس أسبق بين السماء والأرض ، فأتقني رباطاً ، وجاء عبد الرحمن بن عوف فوحدني مرسوطاً ، وكان عبد الرحمن ينادي في المعسكر : من أسره هذا ؟ فليس أحد يرعم أنه أسرتني ، حتى انتهى بي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لي رسول الله : يا ابن أبي حبيش ، من أسرك ؟ قلت : لا أعرفه ، وكرهت أن أحبره بالذي رأيت ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « أسره منك من الملائكة كريم ، اذهب يا ابن عوف بأسيرك » ، فذهب بي عبد الرحمن . قال السائب : وما رأت تلك الكلمة أحفظها ، وتأخر إسلامي حتى كان من إسلامي ما كان ^(٤) .

قال الواقدي : وكان حكيم بن حرم ، يقول : لقد رأيتنا يوم بدر ، وقد وقع بوادي حنص بجناد من السماء قد سد الأفق - قال وراوى حنص ناحية الرؤيثة - قال : فإذا الوادي يسيل تملاً ، فوقع في نفسي أن هذا شيء من السماء أيده محمد ، فما كانت إلا الهزيمة ، وهي الملائكة ^(٥) .

(١) الواقدي : « من تعرفون من الناس » .

(٢) سورة الأعراف ١٢

(٣) معاري الواقدي ٧٣ ، ٧٤

(٤) معاري الواقدي ٧٤ ، ٧٥

(٥) معاري الواقدي ٧٤

قال الواقدي : وقد قالوا : إنه لما اتحم افتل ، ورسول الله صلى الله عليه وآله رافع يذبه يسأل الله النصر وما وعده ، ويقول : اللهم إن طهرت علي هذه العصابة ، ظهر الشرك ؛ ولا يقوم لك دين ، وأبو بكر يقول : والله ليصربك الله وليبصن وحبك ، فأنزل الله تعالى ألقا من الملائكة مردفين عند أكتاف العدو ! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « يا أبا بكر ، أنشروا ، هذا حبرئيل معتمر بعمامة صفراء ، آخذ بعمان فرسه بين السماء والأرض » ، ثم قال : إنه لما نزل الأرض تعيب على ساعة ، ثم طلع على ثناباه النقع ، يقول : أتاك النصر من الله إذ دعوته ^(١) .

قال الواقدي : وحدثني موسى بن يعقوب ، عن عمه ، قال : سمعتُ أبا بكر بن سليمان بن أبي حشيشة ، يقول : سمعتُ مروان بن الحكم يسأل حكيم بن حرام عن يوم بدر ، جعل الشيع بكرو ذلك ، حتى ألح عليه ، فقال حكيم : ألقينا فاقتلنا ، فسمعت صوتاً وقع من السماء إلى الأرض مثل وقع الحصاة في العتق ، وقص النبي صلى الله عليه وآله القصة ، فرمى بها فظهر منا .

قال الواقدي : وقد روى عبد الله بن نعيمة بن صفيح ، قال : سمعتُ نوفل بن معاوية الدولبي ، يقول : أنهرنا يوم بدر ، ونحن نسمع كوقع الحصاة في الطساس بين أيدينا ومن خيبتنا ، فكان ذلك أشد الرعب علينا .

فأما الذين قالوا : رأت الملائكة ولم تقاتل ، فقد ذكر الزمخشري في كتابه في تفسير القرآن المعروف " بالكشاف " أن قوم أسكروا قتال الملائكة يوم بدر ؛ وقالوا : لو قاتل واحد من الملائكة جميع الشر لم يشئوا له ولا متأصدهم بأجمعهم سفع قوته ، فإن حبرئيل عليه السلام دفع مدائن قوم لوط - كما جاء في الخبر - على حافطة من حناجه ،

حتى بلغ بها إلى السماء ، ثم قلبها فجعل أعينها سافها ، فما عسى أن يبلغ قوة ألف رجل من قريش ليحتاج في مقاومتها وحررها إلى ألف ملك من ملائكة السماء مصافين إلى ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا من بني آدم ، وجعل هؤلاء قوله تعالى : ﴿ فَأَصْرَبُوا قُوَّةَ الْأَعْنَاقِ ... ﴾ ^(١) أمرا للمسلمين لا أمرا للملائكة .

وروي في بصرة قولهم روايات ، قالوا : وإنما كان يرول الملائكة ليكثرُوا سواد المسلمين في أعين المشركين ، فيهم كانوا يؤمنهم في مبدأ الحال قبيلين في أعينهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَنُقَلِّبُكُمْ ... ﴾ ^(٢) ، ليعطع المشركون فيهم ويحتروا على حرهم ، وما نشأت الحرب كثرتهم الله تعالى بالملائكة في أعين المشركين ليعزوا ولا يثبتوا . وأيضا فإن الملائكة رلت وتصورت بصور البشر الذين يعرفهم المسلمون ، وقالوا لهم ما جرت العادة أن يقال مثله من تثبت القلوب يوم الحرب ، نحو قولهم : ليس المشركون بشيء ، لا قوة عديم ، لا قلوب لهم ، لو حلتهم عليهم لمزمتهم . . . وأمثال ذلك .

ولقد أن يقول : إذا كان قادر على أن يقتل ثلثمائة إنسان في أعين قريش حتى يبطونهم مائة ، فهو قادر على أن يكثرهم في أعين قريش بعد التقاء حلقتي البطان ، فيظنونهم أميين وأكثر من غير حاجة إلى إزال الملائكة .
 فإن قلت : لعل في إزالهم لطفا للمكافئين .

قلت : ولعل في محاربتهم لطفا للمكافئين ؛ وأما أصحاب المعاني فإنهم لم يحملوا الكلام على ظاهره ، ولم في تأويله قول ليس هذا موضع ذكره .

القول فيما جرى في الغنيمة

والأسارى بعد هزيمة قريش ورجوعها إلى مكة

قال الواقدي - لما تصافى المشركون والمسلمون ، قال اسبي صلى الله عليه وآله : « مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ كَذَا وَكَذَا ، وَمَنْ أَسْرَأَ سِيرًا فَلَهُ كَذَا وَكَذَا » ، فلما انهزم المشركون كان الناس ثلاث فرق ؛ فرقة قامت عند خيعة رسول الله صلى الله عليه وآله - وكان أبو بكر معه في الخيعة - وفرقة أعارت على النهب تنهب ، وفرقة طبخت العدو فأسروا وعموا ، فتكلم سعد بن معاذ - وكان ممن أقام على خيعة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : يا رسول الله ، ما منعنا أن نطلب العدو رهادة في الأحرار ، ولا حين عن العدو ، ولكننا خف أن نعرى موصعتك ، فيبيل عليك حيل من حيل المشركين ورجال من رجالهم ، وقد أقام عند خيعتك وحوه الناس من المهاجرين والأنصار ، والناس كثير ، ومنى تعطى هؤلاء لا يبقى لأصحابك شيء ، والقتلى والأسرى كثير ، وسعيمة قليلة ، فاحتلفوا فأنزل الله عز وجل : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ الآية ، فرجع المسلمون ، وليس لهم من السعيمة شيء ثم أمر الله فيما بعد : ﴿ وَاعْمَلُوا آثِمًا غِيْمَتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُسْنَهُ وَ لِلرَّسُولِ ... ﴾ ^(١) فقسمة عليهم بينهم .

قال الواقدي : وقد روى عمادة بن الوليد بن عمادة عن حمزة بن الصامت ، قال : سلمنا الأنفال يوم بدر لله وللرسول ، ولم يحمس رسول الله صلى الله عليه وآله بدرأ ، وبرت بعد : ﴿ وَاعْمَلُوا آثِمًا غِيْمَتُمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ، فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وآله بالمسلمين

أُخمس فيما كان من أول غنيمة بعد بدر .

قال الواقدي : وقد روى عن أبي سبيد الساعديّ مثله .

وروى عكرمة ، قال : احتفب الناس في العائِم يوم بدر ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بالقسَم أن تردّ في المقسم ، ولم يبقَ منها شيء إلا ردّ . وظن أهل الشجاعة أنه صلى الله عليه وآله يحصّهم بها دون غيرهم من أهل الصّعب ، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن تقسم بينهم على سواء ، فهد سعد بن أبي وقاص : يا رسول الله تعطى فارس القوم الذي يحصّهم مثل ما تعطى الصّيف ؟ فقال صلى الله عليه وآله : « شككتك أمك ! وهل تُنصرون إلا بصفتكم ! » .

قال الواقدي : فروى محمد بن سهل بن حبيمة ، قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن تردّ الأسرى والأسلاب ، وما أخذوا من المعتم ، ثم أقرع بينهم في الأسرى ، وقسم أسلاب المعنواين الذين تعرف قائلهم بين قائلهم ، وقسم ما وحده في العسكر بين جميع المسلمين عن فراق .

قال الواقدي : وحدثني عبد الحميد بن حنفر ، قال : سألت موسى بن سعد بن زيد ابن ثامت . كيف فعل النبي صلى الله عليه وآله يوم بدر في الأسرى والأسلاب والأشغال ؟ فقال : نادى صاديه يومئذ : مَنْ قتل قتيلا فله سلته ، ومن أسر أسيرا فهو له ، وأمر بما وحده في العسكر وما أحد غير قتال ، فقسّمه بينهم عن فراق . فقلت لعبد الحميد : فلم أعطى سبب أبي جهل ! فقال : قد قيل . إنه أعطاه مُعاد بن عمرو بن الجموح ، وقيل : أعطاه ابن مسعود .

قال : وأحد عليّ عليه السلام درّع الوليد بن عُتبة وبيسته ومعه فرسه ، وأخذ حمزة سلاح عُتبة ، وأحد عبيدة بن الحارث سلاح شيبه ، ثم صار إلى ورثته .

قال الواقدي : فكانت القسمة على ثمانية وسبعة عشر صبيها ، لأن الرجال كانت ثمانية وثلاثة عشر رجلا ، وكان معهم فرسان لهم أربعة أسهم ، وقسم أيضا فوق ذلك ثمانية أسهم ، لم يحرصوا ، صرب لهم بسهامهم وأحورهم ، ثلاثة من المهاجرين لأحلاف فيهم ، وهم : عثمان بن عفان حنفة رسول الله صلى الله عليه وآله على ابنه ربيعة وماتت يوم قدم زيد بن حارثة بالبشارة إلى المدينة ، وطلحة بن عبيد الله وسعد بن زيد وعمرو بن مئيل ، نعمهما رسول الله صلى الله عليه وآله يتحسنان خير الغير . وخمسة من الأنصار هم : أبو لبابة بن عبد المنذر ، حنفة على المدينة ، وعاصم بن عدي ، حنفة على قباء وأهل العالية ، والحارث بن حاطب أمره بأمر بني عمرو بن عوف ، وحوات بن خبير كسيرة المروحاء ، والحارث بن الصمة مثله ، فلا اختلاف في هؤلاء . واختلف في أربعة غيرهم ، روى أنه صرب لسعد بن عباد سهمه (أجره ، وقال) . ثم لم يشهدا لقد كان فيها راءيا ، وذلك أنه كان يحضر انتحى على الخروج إلى بدر ، ففُش سهمه ذلك من الخروج .

وروى أنه صرب لسعد بن مالك الساعدي سهمه وأجره ، وكان نخبه إلى بدر ، فخرض بالمدينة ، فمات حلاف رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأوصى إليه عليه السلام

وروى أنه صرب لرجلين آخرين من الأنصار ولم يستهما ، الواقدي وقال : هؤلاء الأربعة غير جمع عليهم كبايعهم على النهاية .

قال : وقد اختلف : هل صرب سهمي العمية تقتل بدر ؟ فقال الأكتون : لم يصرب لهم ، وقال بعضهم : بل صرب لهم ؛ حدثني ابن أبي شبرة ، عن يعقوب بن زيد ، عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله صرب لشهداء بدر أربعة عشر رجلا قال : وقد قال عبدالله ابن سعد بن حنيفة : أحدنا سهم أي الذي صرب له رسول الله صلى الله عليه وآله حين

قسم الغنائم ، وحماله إليسا عويمر بن ساعدة . قال : وقد روى السائب بن أبي لبابة ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله أسهم لمشر بن عبد المذر ، قال : وقد قدم سهمه علينا معن بن عدي .

قال الواقدي : وكانت الإبل التي أصابوا يومئذ مائة وحسين نبيراً ، وكان معه آدم كثير ، حملوه للتجارة ، فعنه المسعود يومئذ ، وكان فيما أصابوا قطيفة حراء ، فقال بعضهم : مالنا لا نرى القطيفة ! ما نرى رسول الله صلى الله عليه وآله إلا أحدها ، فأمر الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلَ ﴾ ^(١) . وجاء رجل رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقال : يا رسول الله ، إن فلانا علّ قصيفة ، فسأل رسول الله صلى الله عليه وآله الرجل ، فقال : لم أفعل ، فقال له قال : يا رسول الله ، اسفروا هاهنا ، فخرجنا فاستخرجت القطيفة ، فقال قائل : يا رسول الله ، استعمر لفلان مرةً ثين ؟ أو مراراً ، فقال عليه السلام : دعونا من أبي حرة .

قال الواقدي : وأصاب المسلمون من حيولم عشرة أفراس ، وكان حمل أبي حنبل فيما غسوه ، فأحده النبي صلى الله عليه وآله ، فلم يزل يحده يصرب في إبله ويعرو عليه حتى ساقه في هذلي الحديبية ، فسأله يومئذ المشركون الحمل عانة نعيم ، فقال : لولا أنا سميتاه في الهذلي لفعلا .

قال الواقدي : وكان لرسول الله صلى الله عليه وآله صفي ^(٢) من العنيفة قبل الفسمة ، فتفنل سيده ذا الفقار يومئذ ، كان لمسه بن الحجاج . وكان رسول الله صلى الله عليه وآله قد عزأ إلى بدر بسيف وانه له سعد بن عبادة يقال له العصب .

قال : وممعت ابن أبي سبرة ، يقول : ممعت صالح بن كيسان ، يقول : خرج رسول

(١) سورة آل عمران ١٦٦

(٢) الصفي من العنيفة : أصيب الرئس

الله صلى الله عليه وآله يوم بدر ، وما معه سيف ، وكان أول سيف قلده سيف منبه بن الحجاج غنمه يوم بدر .

وقال البلاذري : كان ذو النفر للعاص بن مبه بن الحجاج ، ويقال : لمبه ، ويقال لشيبة ، والثبت عندنا أنه كان للعاص بن منبه .

قال الواقدي : وكان أبو أسيد الساعدي يد ذكر الأرقم بن أبي الأرقم ، يقول : ما يومى منه بواحد ، فيقال . ما هذا هو ؟ فيقول : أمر رسول الله صلى الله عليه وآله المسلمين أن يردوا يوم بدر ما في أيديهم من النعم ، فرددت سيف أبي عائد الهرومي - واسم السيف المرربان ، وكان له قيمة وقدس - وأأأ أطلع أن يرد إلى ، فسلم الأرقم رسول الله صلى الله عليه وآله فيه - وكان رسول الله صلى الله عليه وآله لا يمنع شيئاً ياله - فأعطاه السيف . وخرج بنى له يعة^(١) ، فاحتمله العول ، فصبته به متوركة ظهرا ، فقيل لأبي أسيد : وكانت الميلان في ذلك الزمان ؟ فقال : نعم ، ولكنهما قد هلكتا ، فلقى بنى الأرقم بن أبي الأرقم ، فهش^(٢) إليه ما كيا مستحيرا به ، فقال : من أنت ؟ فأخبره ، فقالت العول : أبا حاضته ، فلها عه والصبي يكذب ، فلم يرج عليه حتى الساعة ، فخرج من دارى فرس لى ، فقطع راسه ، فنقيه الأرقم بالساعة فركبه ؛ حتى إذا دما من المدينة أفلت منه فتعذر إلى أنه أفلت منى ، فلم أقدر عليه حتى ساعة .

قال : وروى عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر سيف العاص بن منبه ، فأعطاه ، قال . وأحد عليه السلام محاليك حصروا بدرأ ، ولم يسهم لهم وهم ثلاثة أعبد ، علام يذهب بن أبي بلتعة ، وعلام لعبد الرحمن بن

(١) علام يبع ويعة ، إذا كان مدحرجاً .

(٢) هش إليه : جف إليه .

عوف ، وعلام سعد بن معاذ ، واستعمل صلى الله عليه وآله شُقران علامه على الأسرى ، فأخذوا من كل أسير ما لو كان حُرًّا ما أصابه في النُقم .

وروى عامر بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه ، قال : رميتُ سهيل بن عمرو يوم بدر فقطعت نساءه ، قانتعت أثر اللحم حتى وحشته فذاً أخذته مالك بن الدحشم ، وهو عمك ناصيته ، فقلت : أسيرى رميته ! فقال : أسيرى أحدثه ! فأتينا رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذه ما جميعاً ، وأفلت سهيل بالروحاء ، فصاح عليه السلام بالناس ، فخرجوا في طلبه ، فقال صلى الله عليه وآله : مَنْ وحده ديفته ، فوجدته هو صلى الله عليه وآله ولم يقتله .

قال الواقدي : وأصاب أبو بردة بن نيار أسيراً من المشركين ، يقال له سعد ابن وقت ، من بني سعد بن يث ، فلقبه عمر بن الخطاب وكان عمر يحصر على قتل الأسرى ، لا يرى أحداً في يديه أسير إلا أمر بقتله ، وذلك قبل أن يتعرف الناس ، فلقبه معبد وهو أسير مع أبي بُردة ، فقال : أنرون يا عمر أأنكم قد علمتم ! كلاً واللات والعزى ! فقال عمر : عباد الله المسلمين ، أنكلم وأنت أسير في أيدينا ! ثم أخذه من أبي بُردة فصرّب عنقه - ويقال : إن أبا بُردة قتله .

قال الواقدي : وروى أبو بكر بن إسحاق ، عن أبيه ، عن عامر بن سعد ، قال : قال النبي صلى الله عليه وآله يومئذ : « لا تحبوا سعداً يقتل أخيه فيقتل كل أسير في أيديكم » .

قال الواقدي : ولما جرى بالأمرى كره ذلك سعد بن معاذ ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : كأنه شق عليك أن يؤمروا ! قال : نعم يا رسول الله ، كانت أول

وقفة التقينا فيها بالمشركين فأحببت أن يُذلتهم الله ، وأن يتحنن فيهم القتل .

قال الواقدي : وكان البصر بن الحارث أمّره المقداد يومئذ ، فمّا خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من بدر ، فكان الأثيل عُرِض عليه الأسرى ، فطُور إلى البصر بن الحارث فأئذه البصر ، فقال لرجل إلى حبه : محمد والله قاتلي ! لقد نظر إلى بعينين فيهما الموت فقال الذي إلى حبه : والله ما هما منك إلا رعب ، فقال البصر لمصعب بن عمير : يا مصعب ، أنت أقرب من هاهنا في رحماً ؛ كَلَمْ صاحبك أب يحملني كرجل من أصحابي ، هو والله قاتلي إن لم تفعل . قال مصعب : إنك كدت تقول في كتاب الله كذا كذا ، وتقول في سيرة كذا وكذا ، قال : يا مصعب ؛ فليحملني كذا أحد أصحابي . إن قتلوا فقلت ، وإن منّ عليهم من علي . قال مصعب : إنك كدت تعدّ أصحابه ، قال : أما والله لو أسرتك فريش ما قتلت أبداً وأباً حتى . قال مصعب والله في لأرئ صادقا ، ولكن لست مثلك قطع الإسلام اليهود .

قال الواقدي : وعرضت الأسرى على رسول الله صلى الله عليه وآله ، فرأى البصر ابن الحارث ، فقال : اضربو عنقه ، فقال المقداد : أسبري يارسول الله ! فقال اللهم أعز المقداد من فصلك ، قم يا علي فاصرب عنقه ، فقام علي فاصرب عنقه بالسيف صبرا ، وذلك بالأثيل ، فقالت أخته^(١) :

يأرا كبا إن الأثيلَ مَظِنَّةٌ مِنْ صُبْحِ حَامِسةَ وَأَتِ مَوْقُوقُ^(٢)
بَلَّغْ بِهِ مَيْتًا فَإِنَّ نَحْيَةً مَا إِنْ تَرَالُ بِهَا الرِّكَابُ تَحْفِيقُ
مَنْى إِلَيْهِ وَعِبرةٌ مَسْفُوحَةٌ جَدْتُ لِمَا نَحَى ، وَآخِرَى تَحْقُوقُ

(١) واسمها خبلة ، ذكرها الضرري في الحماسة .

(٢) الأبيات في ديوان الحماسة ٣ : ١٧ - بشرى الضرري

فليسمعن النضر إن ناديته إن كان يسمع ميت أو ينطق
 ظلت سيوف بني أمية تنوشه لله أرحام هناك تمرق^(١)
 صبرا يقاد إلى المدينة راغما رشف المقيد وهو عان مؤثق^(٢)
 أحمد ولأت تجل نجبة في قومها، والفعل فحل معرق^(٣)
 ما كان صرك لو مننت وربما من الفتى وهو المعيط الحنق
 والنصر أقرب من فتت وسيلة وأحقهم إن كان عنق يعتق

قال الواقدي : وروى أن النبي صلى الله عليه وآله لما وصل إليه شعرها رق له ، وقال :
 « لو كنت سمعت شعرها قبل أن أقطعه لما قتلته » .

قال الواقدي : ولما أيسر سهيل بن عمرو ، قال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، ارجع
 نيتيه يدلع لسانه ، فلا يقوم عليك خطيبا أبدا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله :
 « لا أمثل به فيمثل الله بي وإن كنت نيا ، ولعله يقوم مقام لا شكره » . فقام سهيل بن
 عمرو بمكة حين جاءه وفاة النبي صلى الله عليه وآله بحطة أبي نكر بالمدينة ، كانه كان
 بسمعها ، فقال عمر حين بلغه كلام سهيل : أشهد أنك رسول الله - يريد قوله صلى الله
 عليه وآله : « لعله يقوم مقام لا شكره » .

قال الواقدي : وكان على عليه السلام يحدث ، فيقول : أتى جبريل النبي صلى الله
 عليه وآله يوم بدر ، فخيره في الأسرى أن يصرب أعناقهم ، أو يأخذ منهم العدا ،
 ويستشهد من المسلمين في قاتل عدتهم ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه ، وقال :
 هذا جبريل يخبركم في الأسرى ، بين أن تصرب أعناقهم أو تؤخذ منهم القدية ويستشهد

(٢) لم يرد في رواية الحماسة .

(١) الحماسة : « تشفق »

(٣) في الحماسة : « من كربة » قال في شرحه : « سن نخبة » أي ولدها . ومعرق : له عرق في
 الكرم .

منكم قابلاً عدتهم . قالوا : بل تأخذ العِذَّةَ وتستعين بها ، ويستشهد ما من يدخل الجنة ،
فقتل منهم العداة وقتل من المسلمين قابلاً عدتهم تأخذ .

قلت : لو كان هذا الحديث صحيحاً لما عوتبوا ، فويل لهم : ﴿ مَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يَكُونَ
لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُشْحَرَ فِي الْأَرْضِ تَرْيَدُونَ عَرْضَ لَدُنِّيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ ^(١) ،
ثم قال : ﴿ لَوْ لَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَخَقَ لَمَّا كُنْتُمْ فِيهَا أُحْدِثْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ... ﴾ ^(٢) ، لأنه
إذا كان حبرهم ، فقد أباحهم أخذ العداة ، وأحرم أنه حسن ، فلا يجوز فيما بعد أن يسكره
عليهم ، ويقول إنه قبيح .

قال الواقدي : لما حبس الأسرى وحمل هيبهم شُقران مولى رسول الله صلى الله عليه
وآله طيعوا في الحياة ، فقالوا : لو أُنشد إلى أبي بكر ! فإنه أوصل قريش لأرحامنا ! فمشوا
إلى أبي بكر ، فأنام فقالوا : يا أبا بكر ، إنَّ فينا الآباء والأبناء والإخوان ، والمُؤمنة وبنو
العم . وأعدنا قريش ، كَلِمَ صَاحِبِكَ فَلْيَمْنُ عَلَيْنَا وَيُقَادِمَا ، فقال : نعم إن شاء الله ،
لا آلوكم خيراً . ثم انصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وآله . قالوا : وانصتوا إلى عمر بن
الخطاب ، فإنه من قد علمتم ، ولا يؤمن أن يفيد عليكم لعله يكف عنكم ! فأرسلوا إليه ،
فجاءهم فقالوا له مثل ما قالوا لأبي بكر ، فقال : لا آلوكم شراً ! ثم انصرف إلى النبي صلى الله
عليه وآله ، فوجد أبا بكر عنده ، والناس حوله ، وأبو بكر يُبَلِّغُهُ وَيُشَاءُ ، ويقول :
يا رسول الله ، بأبي أنت وأُمِّي ! قومك فيهم الآباء والأبناء والمُؤمنة والإخوان وبنو العم ،
وأعدهم عنك قريش ! فأمِنَ عَلَيْهِمْ ، من الله عليك ، أوفادهم قوة لسمعين ، فلمل الله
يقبل بقلوبهم إليك ! ثم قام : ففتحت ناحية ، وسكت رسول الله صلى الله عليه وآله فلم
يجبه ، فجاء عمر بن الخطاب مجلس أبي بكر ، فقال : يا رسول الله ، هم أعداء الله ، كذبوك

وقاتلوك وأخرجوك ، اضرب رقبتهم ، فهم رموس الكفر وأئمة الضلالة ، يوطىء الله بهم الإسلام ، ويدل بهم الشرك ! فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يجبه ، وعاد أبو بكر إلى مقعده الأول ، فقال : ماى أنت وأمتى ! قومك فيهم الآباء والأبناء والعمومة والإخوان وبنو العلم ، وأسدهم منك قريب ! فامن عليهم أوفادهم . هم عشيرتك وقومك لا تكن أول من يسهأهم ، وأن يهديهم الله خير من أن يهلكهم . فسكت صلى الله عليه وآله عنه فلم يرد عليه شيئاً ، وقام باحياً . فقام عمر لحسن محبته ، فقال : يا رسول الله ، ما تنتظر بهم ! اضرب أعناقهم ، يوطىء الله بهم الإسلام ، ويدل أهل الشرك ، هم أعداء الله ، كذبوك وأخرجوك يا رسول الله ، اشف صدور المؤمنين ، لو قدر وأمتا على مثل هذا ما أقالوا أبداً . فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يجبه ، فقام باحياً ، فجلس وعاد أبو بكر ، فسكته مثل كلامه الأول فلم يجبه ، ثم نعتى ، شاء عمر فسكته بمثل كلامه الأول فلم يجبه ، ثم قام رسول الله صلى الله عليه وآله ، فدخل قنوته ، فسكث فيها ساعة ، ثم خرج ، والناس يحوضون في شأنهم ، يقول بعضهم : القول ما قال أبو بكر ، وآخرون يقولون : القول ما قال عمر . فلما خرج قال للناس : ما تقولون في صاحبتيكم هذين ؟ دعوها فإن لهما مثلاً ، مثل أنى نكر في الملائكة كيكائيل ينزل برضا الله وعموه على عباده ، ومثله في الأنبياء كمثل إبراهيم كان أنيباً على قومه من العسل ، أوقد له قومه النار فطرحوه فيها ، فما راد على أن قال : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ لَكُمْ وَلِيّاً تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (١) وقال : ﴿ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّهُ كَفَرٌ لَا يَهْدِي اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴾ (٢) ومثل عمر في الملائكة كمثل جبريل ينزل بالتحط من الله والنفقة على أعداء الله ، ومثله في الأنبياء كمثل نوح ، كان أشد على قومه من الحديدة ، إذ يقول : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِى عَلَى

(١) سورة الأنبياء ٦٧ .

(٢) سورة إبراهيم ١٤ .

الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿١﴾ فدعا عليهم دعوة أغرق الله بها الأرض جميعا ، ومثل موسى إذ يقول : ﴿ رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَيَّ أَمْرًا لِيَهْمَ وَأَشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ ﴿٢﴾ وإنَّ مَكْمَ عَيْلَةٍ ، فلا يفوتكم رحل من هؤلاء إلا بقدره أو ضربة عنق . فقال عبد الله بن مسعود : يا رسول الله ، ألا سهيل بن بيضاء .

قال الواقدي : هكذا روى ابن أبي حنيفة ، وهذا وهم ، سهيل بن بيضاء سلم من مهاجرة الحبشة ، وشهد بدرًا ، وإنما هو أح له ويقال له سهيل . قال : قال عبد الله بن مسعود : فإني رأيته يُظهر الإسلام بمكة - قال : فسكت النبي صلى الله عليه وآله ، قال عبد الله : فما مرت على ساعة قط كانت أشدَّ حلي من تلك الساعة ، جمات أنظر إلى السماء أتمحرف أن تسقط على الحجرة لتفدني بين يدي الله ورسوله بالكلام ، فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله رأسه ، فقال : « لَا سُهَيْلَ مِنْ بَيْضَاءَ » ، قال : فما مرت على ساعة أقرَّ لعيني منها ، إذ قالها رسول الله صلى الله عليه وآله : « إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَيَشْدُدَ الْقُلُوبَ حَتَّى يَكُونَ أَشَدَّ مِنَ الْحَجَارَةِ ، وَإِنَّهُ لَيُبَيِّنُ الْقُلُوبَ حَتَّى يَكُونَ أَلْيَنَ مِنَ الزَّبَدِ » ، فقبل العداء ثم قال بعد : « لَوْ رَأَى عَذَابُ يَوْمٍ بَدْرًا لَمَا بَحَا مِنْهُ إِلَّا عَمْرٌ » ، كان يقول : اقتل ولا تأخذ الفداء . وكان سعد بن معاذ يقول : اقتل ولا تأخذ الفداء .

قلت : عدى في هذا كلام ، أما في أصل الحديث فلا فيه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال ، ومثله كعبى إذ قال : ﴿ إِنْ تَدَّيْتُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَعَفَّرْتَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ، وهذه الآية من المائدة والمائدة أنزلت في آخر عمره ، ولم ينزل بعدها إلا سورة براءة ، وبدر كانت في السنة الثامنة من الهجرة ، فكيف هذا اللهم إلا أن يكون قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَنْتَ قُتِلَ لِلنَّاسِ أَتُحْذِرُونِي وَأُمِّي إِلَهُينِ . . . ﴾ الآيت ، قد كانت أنزلت إما بمكة أو بالمدينة قبل بدر ،

فلما جمع عثمان القرآن صتها إلى سورة مائة ، فلعنه قد كان ذلك فيبقى أن ننظر في هذا ،
هو مشكل !

وأما حديث سهيل بن بيضاء فإنه يؤم مذهب موسى بن عمران في أن النبي صلى
الله عليه وآله كان يحكم في الوقائع بما يشاء ، لأنه قيل له : احكم بما تشاء ؛ فإنك لا تحكم
إلا بالحق ، وهو مذهب متروك إلا أنه يمكن أن يقال : لعنه لما سكت صلى الله عليه وآله
عند ما قال ابن مسعود ذلك القول ، بل عليه في تلك السكتة الوحي وقيل له : إلا سهيل
ابن بيضاء ، فقال حينئذ : « إلا سهيل بن بيضاء » ، كما أوحى إليه .

وأما الحديث الذي فيه : « لو رل عذاب لما بحاصه إلا عمر » ، فالواقدي وغيره
من الحديثيين اتفقوا على أن سعد بن معاذ كان يقول مثل ما قاله عمر ؛ بل هو المشدق
بتلك الرأي ، ورسول الله صلى الله عليه وآله بعد في العريش ، والمشركون لم يسمعوا
جمعهم كل ذلك الانعصاف ؛ فكيف حصن عمر بالثبته وحده دون سعد ؛ ويمكن
أن يقال : إنه كان شديد التأليب والتحريض عليهم ، وكثير الإلحاح على رسول الله
صلى الله عليه وآله في أمرهم ، فبسبب ذلك الرأي إليه لاشتهاره به ، وإن شركه
فيه غيره .

• • •

قال الواقدي : وحديثي معمر عن الزهري ، عن محمد بن حنبل عن مطيع ، عن أبيه ،
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر : « لو كان مطعم بن عدي حياً لو هبت له
هؤلاء الننى »^(١) . قال : وكانت مطعم بن عدي عند النبي صلى الله عليه وآله يد أجاره
حين رجع من الطائف .

(١) قال ابن الأثير في النهاية : ١٢٤ . يعني أسارى بدر ، واحدهم ندى ؛ كرم ورمي ، سماهم
ننى لكفرهم ؛ كقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نجس ﴾ .

قال الواقدي : وحدثني محمد بن عبد الله ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، قال :
 آمن رسول الله صلى الله عليه وآله من الأسرى يوم بدر أبا عزة عمرو بن عبد الله بن
 عمرو الجهمي ، وكان شاعرا ، فأعطته رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقال له : إن لي خمس
 بنات ، ليس لمن شيء ، فتصدق بي عليهن يا محمد ، ففعل رسول الله صلى الله عليه وآله
 ذلك . وقال أبو عزة : أعطيت موثقا ألا أقاتك ، ولا أكره عليك أبدا . فأرسله رسول الله
 صلى الله عليه وآله ، فلما خرجت قريش إلى أحد ، جاء صفوان بن أمية ، فقال : اخرج
 معنا ، قال : إني قد أعطيت محمدا موثقا ألا أقاتك ، ولا أكره عليه أبدا . وقد منعت
 ولم يمت علي عيرى حتى قتله أو أحد منه العدا . فصير له صفوان أن يحمل بناته مع سانه
 إن قتل ؛ وإن عاش أعطاه مالا كثيرا لا يأكله عياله . فخرج أبو عزة يدعو العرب
 ومحشرها ، ثم خرج مع قريش يوم أحد ، فالتقى بالمسلمين ، فقاتلهم ، فقتلوه . فقال :
 يا محمد ، إنما خرجت كرهاً ولي مات ، فامتنع مني . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله
 « أير ما أعطيتني من العهد والميثاق لا والله لا تمسح عارضيك بمسكة تقوى . سحرت
 بمحمد صريتين »^(١) . فقتله .

قال : وروى سعيد بن المسيب أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال يومئذ : « إن
 المؤمنين لا يلدع من حنجر مرنين ، يا عاصم بن ثابت ، قدّمه فاصرب عنقه » ، فقدّمه
 عاصم فاصرب عنقه .

قال الواقدي : وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر بالقلب أن تعوز^(٢) ثم
 أمر بالقتل ، فطرحوا فيها كلهم إلا أمية بن خلف فإنه كان مسيماً^(٣) انتص من يومه . فما
 أرادوا أن ينقوه ترايل لجه ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : اتركوه^(٤)

(٢) تعوز : تفلأ بالراب

(٣) مسيماً : مذكوراً

(٤) (١٢ - ١٣ - ١٤)

(١) معاري الواقدي ١٠٥

(١) المسس : المسس خلفة .

وقال ابن إسحاق : انتفع أمية بن حنف في دِرْعِهِ حتى ملأها ؛ فلما ذهبوا يجرّ كونه
تزال ، فأهزّوه وألقوا عليه من التراب والحجارة ما عيَّه ^(١) .

قال الواقدي : وطر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى عتبة بن ربيعة يجرّ إلى القليب .
وكان رجلاً حسياً ، وفي وجهه أثر الحَدَرِيّ . فتعير وجه ابنه أبي حذيفة بن عتبة ، فقال له :
البي صلى الله عليه وآله : مالك ! كأنك ساء ^(٢) ! ما أصاب أمك ! قال : لا والله يا رسول الله ،
ولكني رأيت لأبي عقلاً وشرفاً ، كنت أرحون يهديه ذلك إلى الإسلام ، فما أخطأه
ذلك ، ورأيت ما أصابه غاطي . فقال أبو بكر : كان والله يا رسول الله أنبي في العشيرة من
عبد ، وقد كان كارهاً لوجهه ، ولكن حين ومصرع السوء . فقال رسول الله صلى الله
عليه وآله : « الحمد لله الذي حمل حذو أبي جهل الأسفل وصرعه وشعاعاً منه » . فلما توافوا في
القليب وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يطوف عليهم وهم مصرعون ، حمل أبو بكر
يحميهم رجلاً رجلاً ، ورسول الله صلى الله عليه وآله يحميهم الله ويشكرهم . يقول : الحمد لله الذي
أحمركم لي ما وعدني ، فقد وعدني إحدى الصائفتين ، ثم وقف على أهل القليب فناداهم رجلاً
رجلاً : « يا عتبة بن ربيعة ، يا شبة بن ربيعة ، يا أمية بن حلف ، يا أبا جهل بن هشام !
هل وجدتم ما وعدكم حقاً ؟ فبني وجدت ما وعدني في حقاً ؟ شس القوم كنتم لبيسكم !
كدتموني وصدقني الناس ، وأحرجتموني وآذاني الناس ، وفانتموني ونصرتني الناس ،
فقالوا : يا رسول الله ، أتنادي قوماً قد ماتوا ؟ فقال : « لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حق » ^(٣) .
وقال ابن إسحاق في كتاب « المعاري » : إن عائشة كانت تروى هذا الخبر ، وتقول :
فالناس يقولون : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . قال : « لقد سمعوا ما قلت لهم » ،
وليس كذلك ، إنما قال : « لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حق » ^(٤) .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٩ . (٢) ابن هشام : « قد دخلت من أمر أبيك شيء » .

(٣) معاري الواقدي ١٠٦ : وسيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٢ .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٠ .

قال محمد بن إسحاق : وحدثني حميد الطويل ، عن أس بن مالك ، قال : لما ناداهم رسول الله صلى الله عليه وآله قال له المسلمون : يا رسول الله : أتأذى قوما قد ألتنوا ؟ فقال : « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يستطيعون أن يخبوني » .

فت : لقائل أن يقول لعائشة : إذا جاز أن يملأوا وهم موتى ، حار أن يسموا وهم موتى ؟ فإن قالت : ما أحبرت أن يملأوا وهم موتى ، ولكن تعود الأرواح إلى أبدانهم ، وهي في القيب ، ويرزق المدا ، فيعلمون أن ما رعدم به الرسول حق ! قيل لها : ولا مانع من أن تعود الأرواح إلى أبدانهم وهي في القيب ؟ فيسموا موت رسول الله صلى الله عليه وآله ، فإن لا وحة لإسكارها ما يقوله الناس !

ويمكن أن يُتصّر لقول عائشة على وحة حكى ، وهو أن الأسم بعد المعركة تعلم ولا نسمع ؛ لأن الإحساس إنما يكون بواسطة الآلة ، وبعد الموت بعد الآلة ؛ فاما الدم فإنه لا يحتاج إلى الآلة ؛ لأن العس ندم بحورها فقط .

قال الواقدي : وكان انهرام قريش وتولييه حين رالت الشمس ، فأقام رسول الله صلى الله عليه وآله بدر ، وأمر عبد الله بن كعب بنقص المعائم وحملها وأمر نفر من أصحابه أن يسيروا ، فصلّى العصر بيدرت ثم راح فمرّ بالأثيل قبل غروب الشمس فمرّ به ، وبات به وبأصحابه جراح ، وليست بالكثيرة ، وقد : من رجل يحفظ الليلة ؟ فأسكت القوم ، فقام رجل فقال : من أنت ؟ قال : دكر بن عبد قيس ، قال : اجلس ، ثم أعاد القول الثانية ، فقام رجل ، فقال : من أنت ؟ قال : ابن عبد القيس ، فقال : اجلس ؛ ثم مكث ساعة وأعاد القول ؛ فقام رجل فقال : من أنت ؟ قال : أبو سبيح^(٢) ، فسكت ثم

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٠

(٢) في الأصول : « سبيح » ، وصوابه « في لو فدى » وأظهر ما في الاستيعاب .

مكث ساعة ، وقال : قوموا لائتكم فقام دكوان بن عبد قيس وحده ، فقال له :
وأين صاحبك ؟ قال : يا رسول الله ، لى كنت أحبك الليلة ، فقال رسول الله صلى
الله عليه وآله : حفظك الله ، فمات دكوان بخرس لم يسمع تلك الليلة ، حتى كانت آخر
الليل فارتحل ^(١) .

قال الواقدي : وروى أن رسول الله صلى الله عليه وآله صلى العصر بالأنيل ، فأتى
صلى ركعة تسبم ، فما سمى سئل عن تسبمه فقال : مرتى ميكائيل وعلى صاحبه النقع ، فتبسم
إلى ، وقال : لى كنت فى طلب القوم ، وأتى حذير بن قيس حتى فرس أتى معقود الناصية ،
قد عم شيبته العمار فقال : يا محمد بن دى اعنى إياك ، وأمرى ألا أهارقك حتى
ترضى ، هل رصيت ؟ فقلت : سم ^(٢) .

قال الواقدي : وأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله بالأسرى ، حتى إذا كان بمرق
الطبيعة أمر عاصم بن ثابت بن أبي أنس بن بصرى عرق عقبة بن أبى معيط بن أبى
عمرو بن أمية بن عبد شمس وكان أسيراً عند الله بن سمة المخزومي ، فحمل عقبة يقول :
يا ويلي ! أقتل يا معشر قريش من بين من هاهنا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه
وآله : لعداوتك لله ورسوله ، فقال : يا محمد ، ذلك فصل ، فأحصى كرحل من قومي إن قاتلهم
قتلتى ، وإن سبقت عليهم مننت على ، وإن أحدث منهم العدا ، كنت كأحمد ، يا محمد ،
من للصية ؟ فقال : الدر ، قدمه يا عاصم ، وضرب عنقه ، فقدمه عاصم فحارب عنقه ،
فقال النبي صلى الله عليه وآله : نفس لرحل كنت والله ما علمت كافر بالله ورسوله ،
وكتابه مؤدباً له ، فأحمد الله الذى قتلتك وأقر عبي ملك ^(٣) .

قال محمد بن إسحاق : وروى عنكرمة مولى ابن عباس ، عن أبى رافع ، قال : كنت
غلاماً للعباس بن عبد المطلب ، وكان الإسلام قد وشا فبنا أهل البيت ، فأسلم العباس ،

(٢) معارى الواقدي ١٠٧

(١) معارى الواقدي ١٠٧

(٣) معارى الواقدي ١٠٨ ، ١٠٧

وأسمت أم الفصل روحته ، وكان العباس بهاب قومه ، ويكره حلافهم ، فكان يكتم إسلامه ، وكان ذا مال كثير مفرق في قومه ؛ وكان عدو الله أبو لهب قد تخلف عن بدر ، وبعث مكانه العاص بن هشام بن العبرة ، وكذلك كانوا صنعوا ، لم يتخلف رجل إلا بعث مكانه رجلاً ، فمات حواء الخبر عن مصاب فمضت بدر من قريش ، كبتة (١) الله وأحراره ووجدنا في أنفسنا قوة وعزاً

قال : وكنت رجلاً صعيص ، وكنت أعمل بفتح (٢) ، أختها في حجره رمرم ، فوالله إني لمأس أبحث قديسي ، وعندي ثم الفصل حاسة ، وقد سرتنا ما جاءنا من الخير ، إذ أفل الفاسق أبو لهب بحر رحابه شر ، حتى جلس إلى صلب (٣) الحجر ، وكان ظهره إلى طهرى ، فمات هو جلس إذ قال للناس : هذا أبو سبيح بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم - وكان شهد مع الشركين بدر - فقل أبو لهب لهم يس أحي فعدك والله الخير ، قال خمس إليه والباس قم حوله ، فعد . من أحي ، أخبرني كيف كان أمر الناس ؟ قال : لا شيء ، والله إن هو إلا أن لقيهم ثم جهم كذب ، فعدوا كف شاءوا ، وأسروا كيف شاءوا ، وبهم الله مع ذلك علمت لئس ، فنبذ رجلاً بيضا على حبل يثق بين السماء والأرض . لا والله ما نطق (٤) شيئاً ، ولا يقوم له شيء . قال أبو رافع : فرست طرب الحجر ، ثم قت . ثلاث والله الملائكة ، قال : فرمع أبو لهب يده ، فصر في الأرض ثم ترك على يصرى (٥) ، وكنت رجلاً صعيصاً ، فعدت أم الفصل إلى عود من عمود الحجر ، فأحدثه فصرته على (٦) رأسه ، فشخت شجرة مكورة ، وقالت : استصعفت إذ عاب

(١) كتبه الله . دله وأحراره

(٢) صلب حجره . صرهما

(٣) ابن هشام : الأقداح .

(٤) ابن هشام : « ما تلى شيئاً » ، أى ما نطق شيئاً .

(٥-٥) عبارة في ابن هشام . « فرمع أبو لهب يده ، فصر بها وجهي صرته شديدة » ، قال : وثأوره ، فاحسنى فصر في الأرض ، ثم ترك على يصرى « وثأوره ، أى وثب إليه .

(٦) ابن هشام : « فصرته به صرته فعدت في رأسه شجرة مكورة » ، وقلع ، أى شقت .

سيده ، فقام موليا ذليلا ، فوالله ما عاش إلا سبع ليال ، حتى رماه الله بالعدسة ^(١) فقتله ^(٢) .

وقد تركه أثناء ليتين أو ثلاثا وما يدسه ، حتى أنين في بيته - وكانت قريش تتقى العدسة وعدواها ، كما يتقى الناس الصاعون - حتى قال لها رجل من قريش : ويحك ! ألا نستحي أن أبا كاد أنين في سته لا تعسبه ! قالوا : إن نحشى هذه القرحة ، قال : فاطلقوا وأما معكم ، فوالله ما عدوه إلا قد فاعيه بالماء من صيد ، ما يمتونه : وأحرقوه فالتقوه بأعلى مكة إلى كناس هناك ، وقدفوا عليه بالحجارة حتى واروه .

قال محمد بن إسحاق : حصر العباس مدرا ، فأبصر فمض أسير ، وكان الذي أسره أبو اليسر كعب بن عمرو أحد بني سيدة ، فعنا أسرى القوم والأمازي محبسون في الوثاق ، وبات رسول الله صلى الله عليه وآله تلك الليلة ساهرا ، فقال له أصحابه : مالك لا تنم يا رسول الله ؟ قال : « سمعت أبي العباس من وثاقه » ، فقاموا إليه فطلقوه ، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله ^(٣) .

قال : وروى ابن عباس رحمه الله ، قال : كان أبو اليسر رجلا مجموعا ، وكان العباس طويلا جسيما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا أبا اليسر ، كيف أسرته العباس ؟ قال : يا رسول الله ، لقد أعاسى عليه رجل مارأبته من قبل ، من هيئته كذا ، قال صلى الله عليه وآله : « لقد أعانك عليه ملك كريم » .

قال محمد بن إسحاق : قد كان رسول الله صلى الله عليه وآله في أول الواقعة ، فمضى أن يقتل أحد من بني هاشم ، قال : حدثني بذلك الزهري ، عن عبد الله بن ثعلبة حليف بني زهرة ، قال : وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس ، عن بعض أهله ، عن عبد الله بن عباس رحمه الله ،

(١) العدسة ، قال أبو جر الحشى : « من فرحة فأنث كالطاعون ، وقد عدس الرجل ، إذا أصابه ذلك » .

(٢) الخبر في هنا في سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٩ ، ٢٩١ .

(٣) تاريخ الطبري ٢ : ٤٦٢ (طبعة المعارف) ، والأمازي : ٤ : ٢٠٦ ، ٢٠٧ (طبعة دار الكتب) .

قال : وقال النبي صلى الله عليه وآله لأصحابه : إني قد علمت أن رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهًا ، لا حاجة لنا بقتلهم ، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله ، ومن لقي أبا الحخرى فلا يقتله ، ومن لقي العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وآله فلا يقتله ، فإنه إني أخرج مستكرها ، فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة : أنقض آباءنا وإخواننا وعشورنا ونقر العباس ! والله لئن لقيته لألحته ^(١) السيف ، فسميها رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال لعمر بن الخطاب يا أبا حصص . يقول عمر : والله إنه لأول يوم كسني فيه رسول الله صلى الله عليه وآله بأبي حصص - أبصرته وجهه عم رسول الله صلى الله عليه وآله وأنه سلف ؟ فقال عمر : يا رسول الله ، دعني أضرب عنقه بالسيف ، فوالله لقد باقني ، قال : فسكان أبو حذيفة يقول : والله ما أبا بآمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ ، ولا أزال معها خائفاً أبداً إلا أن يكفرها الله عني شهاده ، فقتل يوم النيام شهيدا ^(٢) .

قال محمد بن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وآله لما سار أنا بكر وعمر وصعد من معادني أمر الأسارى ، عبط عمر عليهم عبطة شديدة ، فقال - يا رسول الله أطعني فيما أشير به عليك ، فإني لا آلوك نصحا ، فقدم عمتك العباس فاضرب عنقه بيدك ، وقدم عقيلا إلى علي - أحيه بضرب عنقه ، وقدم كل أسير منهم إلى أقرب الناس إليه يقتله ، قال : فكبره رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك ولم يعصه .

قال محمد بن إسحاق : فمما قدم بالأسرى إلى المدينة قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

(١) لألحته ، أي لأطعن لحته بالسيف ، ولألحطه ، وقيل ابن هشام : لألحته بالسيف ، أي لأضربه

به في وجهه .

(٢) تاريخ الطبري ٢ : ٥٠ طبعه المطابع : وسيرة ابن هشام

أَفَدْتِكَ بِاعْتِمَالِ أَبِي أَحْوَيْكَ عَقِيلَ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَبُوْفَلِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَحَلِيفَتِكَ عُقْمَةَ بْنِ عَمْرٍو ، فَإِنَّكَ ذُو مَالٍ ، فَقَالَ الْمُبَسِّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي كُنْتُ مَلْأًا ، وَلَكِنَّ الْقَوْمَ اسْتَكْرَهُوْنِي ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِسْلَامِكَ ، إِنْ يَكُنْ مَا قَدْتِ حَقًّا فَبِإِذْنِ اللَّهِ يَخْرِبُكَ بِهِ ، وَأَمَّا مَا هَرَأَمْرُكَ فَقَدْ كَانَ عَمِينًا ، فَافْتَدِي نَفْسَكَ ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَحَدَ مِثْرَيْنِ أُوقِيَةٍ مِنْ ذَهَبٍ أَصَابَهَا مَعَهُ حِينَ أُسِيرَ ، فَقَالَ الْعِمَاسُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، احْبِسْهَا لِي مِنْ فِدَائِي ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : ذَلِكَ شَيْءٌ أَعْطَانَا اللَّهُ مِنْكَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لِي مَالٌ ، قَالَ : فَأَيْنَ الْمَالُ الَّذِي وَصَعْتَهُ شَمَكَةً حِينَ خَرَجْتَ مِنْ أُمِّ الْمُفَضَّلِ بِنْتِ الْحَارِثِ ، وَلَيْسَ مَعَكَ أَحَدٌ ، ثُمَّ قَدْتِ : إِنْ أَصِيتُ فِي سَعْرِي هَذَا فَلِلْمُفَضَّلِ كَذَا وَكَذَا ، وَلِعَدِ اللَّهُ كَذَا وَكَذَا ، وَلَقُمْتُ كَذَا وَكَذَا ! فَقَالَ الْعِمَاسُ : وَالَّذِي نَعُشُّكَ بِالْحَقِّ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا عَلِمْتُ هَذَا أَحَدٌ عِزِّي وَعِزِّي ، وَيَتَى لَأَعْمُرَ أُمَّتَكَ رَسُولَ اللَّهِ ، ثُمَّ قَدَى نَفْسَهُ وَأَبَى أَحْوَيْهِ وَخَلَّاهُ .

قَالَ الْوَاقِدِيُّ : قَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنَ الْأَثِيلِ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ وَعَدِ اللَّهُ أَنْ يَرْوَاهُ شَرَّاءُ النَّاسِ بِمَدِينَةِ نَجْدٍ يَوْمَ الْأَسَدِ فِي الصَّحَى ، وَفَارَى عَبْدُ اللَّهِ رِيدًا بِالْعَقِيقِ ، لِيَجْعَلَ عَدِ اللَّهِ يَنَادِي عَوَالِي الْمَدِينَةِ : يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، أَشْرُوا بِإِسْلَامَةِ رَسُولِ اللَّهِ وَقَتْلِ الْمُشْرِكِينَ وَأَسْرِهِمْ ، قُتِلَ إِسَارُ رِبِيعَةَ ، وَأَمَّا الْحِجَاجُ ، وَأَمُو حَجَلٌ ، وَرَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ ، وَأُمَيَّةُ بْنُ حَجَلٍ ، وَأُسَيْرُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو دُو الْأَيَّابِ ؛ فِي أَسْرَى كَثِيرٍ . قَالَ عَاصِمُ بْنُ عَدِيٍّ : فَكُنْتُ إِلَيْهِ مَسْعُوتَهُ ، فَقُلْتُ : أَحَقًّا مَا تَقُولُ يَا بْنَ رَوَاحَةَ ؟ قَالَ : إِي وَآلِهِ ، وَغَدَاً يَقْدُمُ رَسُولُ اللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَمَعَهُ الْأَسْرَى مَقْرَبِينَ ، ثُمَّ تَتَّبِعُ دَوْرَ الْأَنْصَارِ بِالْعَالِيَةِ يَبْشُرُهُمْ ، دَارًا دَارًا ، وَالصَّبْيَانُ يَشْتَدُونَ مَعَهُ ، وَيَقُولُونَ : قُتِلَ أَبُو جَهْلٍ الْعَاسِقُ ، حَتَّى اتَّهَمُوا إِلَى

دُور بن أمية بن زيد ، وقدم زيد بن حارثة على مائة النبي صلى الله عليه وآله القُصَّوَاء ،
 يشر أهل المدينة ، فلما جاء المصطفى صاحب على راحلته : قتل عترة وشيبة ابنا ربيعة ، وابنا
 الحجاج وأبو جهل ، وأبو السخري ورمعة بن الأسود وأمينة بن حلف ، وأسير سهيل بن
 عمرو وذو الألياب في أسرى كثيرة ، فحمل الناس لا يصدقون زيد بن حارثة ، ويقولون :
 ما جاء زيد إلا قلاً ، حتى عاظم المسلمين ذلك ، وحذروا ، قال : وكان قدوم زيد حين سوتوا
 على رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وأمه ثواب ما لم يبيع ، هذا رجل من السابقين
 لأسامة بن زيد : قتل صاحبكم ومن معه ، وقد راحل من السابقين لأنى أمية بن عبد المطلب :
 قد مرت في أممكم تمرق لا يجمعون معه أحد ، وقد قتل عتبة بن أبي شيبة ، وقتل محمد ، وهذه
 بؤس ما فيها ، وهذا زيد بن حارثة لا يدري ما يقول من رعب ، وقد جاء قلاً ، فقل
 : والله : كذب الله قولك ، وقاتل يهود : ما جاء زيد إلا قلاً ، قال أسامة بن زيد :
 كذب حتى جوبت ربي ، فقلت : به نسب ، حق ما قول : فقال لي والله حقاً أمي ،
 وقوت نفسي ، فرحمت إلى ذلك السابق ، فقلت : أنت سرحت رسول الله وباللهين !
 فقدمت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله إذ قدم ، فبصر بن عتقك ، فقال :
 يا أبا محمد ، إنما هو شيء سمعت الناس يقولونه

قال أبو أفيدي : فقدم بالأسرى وعيهم سفراً وهم تسعة وأربعون رجلاً الذين
 أحصوا ، وهم سبعون في الأصل ، جمع عيه لاشك فيه ، إلا أنهم لم يحص سائرهم ، وبقي الناس
 رسول الله صلى الله عليه وآله بأرواحهم يهشون بهفتح الله عليه ، فلقية وحده أخرج ،
 فقال سعة بن سلامة بن وقش : ما الذي تهشون ؟ فوالله ما قتلنا إلا عترة صُدعا ! فتسهم لبي
 صلى الله عليه وآله فقال : يا ابن أخي ، أولئك مدأ ، لو رأيتمهم يهشهم ، ورواؤك لأطعتمهم ،
 ولو رأيتمهم مع معاليهم لاحقرتهم ! وشن تقوم كانوا على ذلك لنبيهم ! فقال سعة :
 أعوذ بالله من غصبه وغضب رسوله ، إنك يا رسول الله لم تزل عني مع صامد كما بالزواجاء

في مدائننا ، فقال صلى الله عليه وآله : أما ما قلت للأعرابي : وقعت على ناقك فهي حبل منك ، ففحشت وقت ما لا علم لك به ، وأما ما قلت في القوم ؛ فإنك عمدت إلى نعمة من نعم الله ترهدها ، فقل رسول الله صلى الله عليه وآله معدرته ، وكان من عليه أصحابه .

قال الواقدي : روى الزهري ، قال : نفي أبو هند البياضي مولى عمرو بن عمرو رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه سميت بمؤه حديث^(١) أهداه له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « إنما أبو هند رجل من الأنصار فسكحوه وأسكحووا إليه » .

قال الواقدي : ولقيه أسد بن حضير ، قال : يا رسول الله ، الحمد لله الذي طهرك وأقر سمك ، والله يا رسول الله ، ما كان نعتني عن بدر وما أضرتك أنتك نبي عدوا ، ولكن طنت أسها الصير ، ولو طنت أنه عدو لما تخلفت ، فقال رسول الله : صدقت .

قال : ولقيه عبد الله ابن عيسى بن مزيان ، قال : يا رسول الله الحمد لله على سلامتك وطهرتك ، كمت يا رسول الله ليالي خرجت موزود أي محمومًا - فلم تفارقني حتى كان بالأمس ، وقيلت إليك ، فقال : آحرك الله .

قال الواقدي : وكان سهيل بن عمرو كان شموكة بين الصفا وميل ، كان مع مالك ابن الدحشم الذي أسره ، فقال له : حل سبي للعائط ، فقام معه ، فقال سهيل : يا أحنشم فاستأخر عني ، فاستأخر عنه ، فصلى سهيل على وجهه ، اتمرع يده من القران ، ومضى ، فلما أبطأ سهيل على مالك بن الدحشم ، أقبل فصاح في الناس ، فخرجوا في طلبه ، وحرر النبي صلى الله عليه وآله في طلبه بنفسه ، وقال : من وجد فليقتله ، فوجده رسول الله

(١) الحيت الزق يحمل فيه السم والصل والترت والحس . ثم يحمله بسن وأفه فيمض ويترك شديداً حتى يخرج ، ثم يدر بواه ، وقد يحمل فيه سويق .

صلى الله عليه وآله بنفسه أخفى نفسه بين شجرات ، فأمر به فربطت يده إلى عنقه ، ثم قرنته إلى راحلته ، فلم يركب سهيل خطوة حتى قدم المذبة^(١) .

قال الواقدي : فحدثني إسحاق بن حارم بن عبد الله بن مقسم ، عن حابر بن عبد الله الأنصاري ، قال : تلقى رسول الله صلى الله عليه وآله أسامة بن زيد ، ورسول الله صلى الله عليه وآله على مائة القصوي ، فجلس بين يديه وسهيل بن عمرو محبوس ، ويده إلى عنقه ، فلما نظر إلى سهيل قاتا : يا رسول الله ، أبو يزيد اقل : هم ، هذا الذي كان يطعم الحمر نمكة .

وقال الملادري : قال أسامة - وهو يومئذ غلام - يا رسول الله ، هذا الذي كان يطعم الناس نمكة السريد - يعني الثريد^(٢) -

قلت : هذه نمكة مقبوه ، لأن الأثم يدل المين ثاء ، وهذا أدل ، اناء سيب ، ومن الناس من يرويها : « هذا الذي كان يطعم الناس نمكة السريد » .

قال الملادري : وحدثني مصعب بن عبد الله الزبيري ، عن أشياحه أن أسامة رأى سهيلاً يومئذ ، فقال : يا رسول الله ، هذا الذي كان يطعم السريد نمكة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « هذا أبو يزيد الذي يطعم الطعام ، ولكنه سعى في إطفاء نور الله ، فأمكن الله منه » .

قال : وفيه يقول أمية بن أبي الصلت النقي :

يا أبا يزيد رأيت سيبك واسعاً وسما حودك تسهل فتطر

(١) أساب الأشراف ١ : ٣٣ (طعة المعارف) .

(٢) أساب الأشراف ١ : ٣٠٤ .

قال : وفيه يقول مالك بن الدحشم^(١) ، وهو الذي أسره يوم بدر :

أسرتُ سهيلاً فلا أنفي به غيراً من جميع الأمم
وخسدتُ نعم أن التي سهيلاً فتأبها إذا ظلم
ضربت بدي الشفر حتى انثى وأكرهت نفسي على دى العلم

أي على دى العلم سكور اللام ، ولكنه حرّكه للضرورة .

وكان سهيل أعم مشقوق أشعة العيا ، فكانت أليانه نادية ، فذلك قالوا : دوا الأليان .

قال الواقدي : ولما قدم بالأمرى كانت سودة بنت ربيعة رويح إلى صلى الله عليه وآله عند آل عقرأ في مباحثهم على سوف ومعوذ ، وذلك قبل أن يصرب الخجائب ، قالت سودة : وثيبا فليل لنا : هؤلاء الأسرى قد أتى بهم ، فخرجت إلى بيتي ورسول الله صلى الله عليه وآله فيه ، وإذا أبو يزيد مجموعة يدها إلى عنقه في ناحية البيت ، فوالله ما ملكت نفسي حين رأيته مجموعة يدها إلى عنقه أن قلت : أبا يزيد ، أعطيتهم بأيديكم ألا تم كراما ، فوالله ما راعى إلا قول رسول الله صلى الله عليه وآله من البيت : « يا سودة ، أعلى الله وعلى رسوله » ، فقلت : يا بني الله ، واهدي بعنك ما لحقني إني ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد مجموعة يدها إلى عنقه أن قلت ما قلت .

قال الواقدي : وحدثني خالد بن إلياس ، قال : حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي حمزة ، قال : دخل يومئذ خالد بن هشام بن المغيرة وأمّية بن أبي حذيفة منزل أم سلمة وأم سلمة في مناحة آل عقرأ ، فليل لها : أتى بالأسرى ، فخرجت فدخلت عليهم فلم تكلمهم حتى

(١) اللاتري : « مالك بن الدحشم بن مالك بن الدحشم بن مرصعة بن عزم وهو قوقل بن عوف ابن الحرّج .

رجعت ، فتجد رسول الله صلى الله عليه وآله في بيت عائشة ، فقالت : يا رسول الله ، إن
 بي عمتي ظلموا أن يدخل بهم عليّ فاضيمهم ، وأدهن رموسهم وألم من شعهم ، ولم
 أحب أن أفعل شيئاً من ذلك حتى استأمرتك ، فقال صلى الله عليه وآله : « لست أكره
 شيئاً من ذلك ، فافعل من هذا ما بدا لك » قال الواقدي : وحدثني محمد بن عبد الله ،
 عن الزهري ، قال . قال أبو العاص بن الربيع : كنت مستأسراً مع رَهْط من الأنصار حرام
 الله حبراً ، كتبنا إذا تعشبنا أو تعدينا آثروني بانحر ، وأكلوا الثمر ، والحبز عندهم قليل
 والتمر رادهم ، حتى إن الرجل لضع في يده الكسرة فيدفعها إلى ، وكان الوليد بن الوليد بن
 المعبره يقول مثل ذلك ويزيد قال : وكانوا يحموسا ويمشون .

وقال محمد بن إسحاق في كتابه : كان أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ختن
 رسول الله صلى الله عليه وآله روحاً استه ريب ، وكان أبو العاص من رجال مكة المدودين مالاً
 وأمانة وتجارة ، وكان أمّاً لهالة بنت حوييد أخت حديجة بنت حويل ، وكان الربيع بن
 عبد العزى نعل هذه ، فكانت حديجة حليته ، فسألت حديجة رسول الله صلى الله عليه
 وآله أن يزوجها ريب ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله لا يخالف حديجة ، وذلك
 قبل أن يبرل عليه الوحي ، فزوجها بها ، فكان أبو العاص من حديجة بمنزلة ولدها ،
 قلت أكرم الله رسوله سموتته آمنت به حديجة وساتته كلهن وصدقته وشهدن أن ما جاء به
 حق ، وذن نديه ، وثقت أبو العاص على شركه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله قد
 زوج عتبة بن أبي لهب إحدى ابنتيه رقية أو أم كلثوم ، وذلك من قبل أن ينزل عليه ،
 فلما أنزل عليه الوحي وما دى قومه بأمر الله ، عدوه ، فقال بعضهم لبعض : إنكم قد فرغتم
 محمداً من همه ، أخذتم عنه مناته وأحرحتموهن من عياله ، فردوا عليه مناته ، فاشعلوه بهن ،
 فمشوا إلى أبي العاص بن الربيع ، فقالوا : فارق صاحبك بنت محمد ، ونحن نزوجك أمة

امرأة شئت من قریش ، فقال : لاها الله ! ^١ بن لا أفارق صاحبتی ، وما أحب أن لی
 بها امرأة من قریش ! فكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا ذكره شئ عليه حبرا
 في صهره ، ثم مشوا إلى العاصق عثمة بن أبي لهب ، فقالوا له : طلق بنت محمد ، ونحن
 سكرانك أي امرأة شئت من قریش ، فذر : إن أنتم رؤيتموني الله أنما بن سعيد
 ابن العاص ، أم أمة سعيد بن العاص فارقها ، فزوجوه أمة سعيد بن العاص ، ففارقها ولم
 يكن دخل بها ، فأحرقها الله من يده كرملة لها وهوان له ثم حلف عليها عثمان
 ابن عفان بعد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله معونة على أمره بمكة لا يحل ولا يحرم ،
 وكان الإسلام قد فرق بين ريب وأبي العاص ، إلا أن رسول الله صلى الله عليه وآله
 كان لا يقدر وهو بمكة أن يفرق بينهما ، فقامت معه على إسلامها وهو على شركه ، حتى
 حر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة ، وبعثت ريب بمكة مع أبي العاص ، فلما
 سارت قریش إلى مدبر سار أبو العاص معهم ، فخصب في الأسرى يوم بدر ، فأتى به
 النبي صلى الله عليه وآله ، فكان عنده مع الأسارى ، فماتت أهل مكة في فداء
 أسرارهم ، بعثت ريب في فداء أبي العاص بعينها مال ، وكان فيها بعثت به قلادة كانت
 خديجة أمها أدخلها بها على أبي العاص لينة رافعا عليه ، فلما رآها رسول الله صلى الله
 عليه وآله رق لها رقة شديدة ، وقال للمسلمين : إن رأيتم أن تطلقوها أسيرها ، وتردوا عليها
 ما بعثت به من الفداء فافعلوا ، فقالوا : نعم يا رسول الله ؛ بعديك بأعسا وأموالنا فردوا عليها
 ما بعثت به ، وأطلقوها لها أبا العاص بعير فداء ^(١) .

قلت : قرأت على التقيب أبي جعفر يحيى بن أبي ريد البصري العلوي رحمه الله هذا
 الخبر ، فقال : أترى أنا بكر وعمر لم يشهدا هذا ، نشهد ! أما كان يقتضي التكريم والإحسان

أن يطالب فاطمة بذلك ، ويستوجب له من المسلمين ، أن تقصر منزلتها عند رسول الله صلى الله عليه وآله عن منزلة ربيب أحبها وهي سيدة نساء العالمين ! هذا إذا لم يشت لها حق ، لا بالرحلة ولا بالإرث ، فقالت له : قد شتموا صاحب الخبر الذي رواه أبو بكر قد صار حقاً من حقوق المسلمين ، فلم يحرك له أن يأخذ منهم ، فقال : وفداء أبي العاص بن الربيع قد صار حقاً من حقوق المسلمين ، وقد أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله منهم ، فقالت : رسول الله صلى الله عليه وآله صاحب الشريعة ، وحكم حكامه ، وليس أبو بكر كذلك ، فقال : ما قلت هلاً لأحد من المسلمين فهدى قدمه إلى فاطمة ، وإنما قلت : هدى استمرار المسلمين عنه واستوجهه منهم في كل شئ وهو رسول الله صلى الله عليه وآله المسلمين وفداء أبي العاص ! أنراه لو كان منكم قد حصرت نطل هذه النجالات ، أفتطيقون عنها بها ، أكانوا معروها ذلك ! فقالت له : قد قال قاضي القضاة أبو الحسن عبد الحار بن أحمد نحو هذا ، قائلاً : **تمجيد حكامنا على غير حق** في ذرع التكرام ، وإن كان ما أتاه حسناً في الدين .

قال محمد بن إسحاق . وكان رسول الله صلى الله عليه وآله لما أطلق سبيل أبي العاص أخذ عليه فيما يرى أو شرط عليه في إطلاقه ، أو أن أبا العاص وعد رسول الله صلى الله عليه وآله ابتداء بأن يحمل زينب إليه إلى المدينة ، وبأن يظهر ذلك من أبي العاص ؛ ولما من رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله إلا أنه ما حل سبيله ، وخرج إلى مكة بعث رسول الله صلى الله عليه وآله بعده زيد بن حارثة ورحلاً من لأصار ، فقال لها : كونا بمكان كذا (١) حتى تمر بكما ربيب فتصحبكما حتى تأتيا في بها ، فخرجا نحو مكة ، وذلك بعد بدر بشهر

(١) سيره من هشام : كونا بطن يا حج ، وأخرج اسم مكان أحدهما على ثمانية أميال من مكة ، وتأتيها بعده ، وفيه بي مسجد لعمرة ، وفيه وبين مسجد لتعيم ميلان .

[أوشيمه] ^(١) فلما قدم أبو العاص مكة أمرها بالحقوق بأبيها ، فحذت تنحهر ^(٢) .

قال محمد بن إسحاق : حدثت عن ربيب أمها قالت : يساأنا أنمهرز للحقوق بأبي ، لقيدني هند بنت عتبة ، فقالت : ألم يلعي يا بنت محمد أنك تريدين اللحقوق بأبيك ، فقلت : ما أردت ذلك ، فقالت أي بنت عم لا تفعلين إن كانت لك حاجة في متاع أو هيا يرفق بك في سفرك أو مال تلعين به لي أبيت فإن عدي حاجتك ، فلا تصطلي ^(٣) مني ، فإنه لا يدخل بين النساء ما يدخل بين الرجال ، قالت : وإيم الله ، إني لأظنها حينئذ صادقة ، ما أظنها قالت حينئذ إلا تفعل ، ولكن حقها فأسكرت أن أكون أريد ذلك . قالت : وتجهزت حتى فرغت من حماري ، فحملني أخو نعلي وهو كنانة بن الربيع .

قال محمد بن إسحاق : قدم لها كنانة بن الربيع بغير فركته ، وأحد قوسه وكمانه ، وخرج بها سهاراً بقوده برها ، وهي في هودج لها ، وتحدثت بذلك الرجال من قريش والنساء ، وتلاومت في ذلك ، وأشعقت أن تخرج أمة محمد من بينهم على تلك الحال ، فخرجوا في طلبها سراعاً حتى أدركوها بذي طوى ؛ فكان أول من سمع إليها هتار بن الأسود بن عبد المطلب بن أسد بن عبد المطلب بن قصي ، ورافق من عبد القيس الغنيري ، فزوعها هتار بالرمح وهي في الهودج ، وكانت حاملاً ، فلما رحمت طرحت ما في بطنها ، وقد كانت من خوفها رأت دماً وهي في الهودج ، فذلك أناح رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتح مكة دم هتار ابن الأسود ^(٤) .

(١) من سيرة ابن هشام . وشبهه أي قريب منه

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٧ ، ٢٩٨

(٣) تصطلي ، أي تستحي ، ومنه قول الطرمح :

إذا ذكرت مسعاة والدم اضطلي ولا يصطلي من شتم أهل القصابيل

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٨ ، ٢٩٩

قلت : وهذا الخبر أيضا قرأته على النقيب أبي جعفر رحمه الله ، فقال : إذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله أباح دم هبار بن الأسود لأنه روع ربيب فألقت ذا بطنها ، فظهر الحال أنه لو كان حيا لأباح دم من روع فاطمة حتى ألقت ذا بطنها . فقلت : أروى عنك ما يقوله قوم أن فاطمة روعت فألقت الحسن^(١) ، فقال : لا ترويه عني ولا ترويه عني بطلانه ، يأتي متوقف في هذا الموضع لتعارض الأخبار عندي فيه .

قال الواقدي : فبرك نحوها كنانة بن الربيع ، وثل^(٢) كنانة بين يديه ، ثم أخذ منها سهما فوصمه في كد قوسه ، وقال : أحلف بالله لا يدنو اليوم منها رجل إلا وضمت فيه سهما ، ففكر^(٣) الناس عنه .

قال : وجاء أبو سفيان بن حرب في حلة من قريش ، فقال : أيها الرجل ، اكف صا نثلك حتى مكلمك ، فكف . فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه ، فقال : إنك لم تحسن ولم نصيب ، خرجت المرأة على زوس الدس عناية سهارا ، وقد عرفت مصيبتنا وسكنتنا ، وما دخل علينا من محمد أيها ، فيطن نيس إذا أتت حرحت بابته إليه حمرا أن ذلك عن ذل أصابا ، وأن ذلك منا وهى ، ولمرى مالا في حبسها عن أيها من حاجة ، وما فيها من ثار ، ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هذأت الأصوات ، وتحدث الناس بردها سنها سلا حفي ، فألقها بأيها . مردها كنة بن الربيع إلى مكة ، فأقامت بها ليالى حتى إذا هذأ الصوت عنها حملها على بغيرها ، وخرج بها ليل حتى سلمها إلى ريد بن حارثة وصاحبه ، فقدمها بها على رسول الله صلى الله عليه وآله^(٤) .

قال محمد بن إسحاق : فروى سليمان بن يسار ، عن أبي إسحاق الدؤسي ، عن أبي

(٢) كل كنانة : أخرج ما فيها .

(١) : « محسأ »

(٣) فكر عنه ، أي ترجع ، وروى ابن هشام : « ففكر الناس عنه » .

(٤) اطر سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٩

هزيمة ، قال : نعمت رسول الله صلى الله عليه وآله سرية أنا فيها إلى غير لقريش ، فيها متاع لهم وناس منهم ، فقال : إن طعتم بهتار من الأسود ونافع من عبد قيس ، محرّقوها بالنار ، حتى إذا كانت العدو نعمت فقال لنا . « إني كنت قد أمرتكم بتحريق الرجلين إن أخذتموها ، ثم رأيت أنه لا ينبغي لأحد أن يعذب بالنار إلا الله تعالى ، فإن غفرتُم مَهما فاقتلوهما ولا تحرقوهما » (١)

قلت : لقائل من الحيرة أن يقول : أليس هذا مسح الشيء قبل تقصّي (٢) وقت فعله ، وأهل العدل لا يحجرون ذلك ! وهذا السؤال مشكّل ، ولا جواب عنه إلاّ بدفع الخبر إمّا تضعيف أحد من رواه ، أو إبطال الاحتجاج به لكونه خبر واحد ، أو بوجه آخر ؛ وهو أن يحير للشي الاحتجاج بالأحكام الشرعية كما يذهب إليه كثير من شيوخنا ، وهو مذهب القاضي أبي يوسف صاحب أبي حنيفة ، ومثل هذا الخبر حديث براءة وإفادها مع أبي بكر ، ونعمت على عليه السلام ، فأخذها منه في الطريق ، وقرأها على أهل مكة بعد أن كان أبو بكر هو المأمور بقراءتها عليهم .

فأما البلاذري فإنه روى أن هتار من الأسود كان ممن عرض لزيب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله حين أُجِلّت من مكة إلى المدينة ، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يأمر سراياه أن طفروا به أن يحرقوه بالنار ، ثم قال (٣) : لا يعذب بالنار إلا ربّ النار ، وأمرهم أن طفروا به أن يقطعوا يديه ورجليه ويقتلوه ؛ فلم يظفروا به ، حتى إذا كان يوم الفتح هرب هتار ، ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله بالمدينة . ويقال : أتاه بالحرارة حين فرغ من أمر حنين ، فثُلّ بين يديه ، وهو يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ، فقبل إسلامه وأمر ألا يعرض له ، وحرحت سفي مولاة رسول الله صلى الله عليه وآله

فَقَالَتْ : لَا أَعْلَمُ اللَّهَ بِكَ عَيْبًا ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « مَهْلًا ، فَقَدْ عَمِيَ الْإِسْلَامُ مَاقْبَلَهُ » !

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ : فَقَالَ أَبُو بَرِيرَةَ مِنَ الْعَوَامِ : قَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَعْدَ غُلْظَتِهِ عَلَى هَتَارِ بْنِ الْأَسْوَدِ يَطْلَعُ رَأْسَهُ اسْتَحْيَاءً مِنْهُ ، وَهَبَّارٌ يَتَذَرُّ إِلَيْهِ ، وَهُوَ يَتَذَرُّ إِلَى هَتَارٍ أَيْضًا ^(١) .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : فَاقَامَ أَبُو الْعَاصِ نَمَكَةً عَلَى شِرْكِهِ ، وَأَقَامَتْ رَيْبُ بْنُ أَبِيهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْمَدِينَةِ ، قَدْ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا الْإِسْلَامُ ، حَتَّى إِذَا كَانَ قَبْلَ الْفَتْحِ ، خَرَجَ أَبُو الْعَاصِ تَاجِرًا إِلَى الشَّامِ عَمَلًا لَهُ ، وَأَمْوَالُ لُقَيْرِشٍ أَبْصَعُوا ^(٢) بِهَا مَعَهُ ، وَكَانَ رَجُلًا مَأْمُومًا فَلَمَّ مَرَعَ مِنْ تَجَارَتِهِ وَأَقْبَلَ قَافِلًا لَقِيَتْهُ سُرَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ؛ فَأَصَابُوا مَا مَعَهُ وَأَجْرَمَ هُوَ عَارِبًا ، فَخَرَجَتْ السَّرِيَّةُ بِهَا أَصَابَتِ مِنْ مَالِهِ حَتَّى قَدِمَتْ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَخَرَجَ أَبُو الْعَاصِ تَحْتَ اللَّيْلِ ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى رَيْبِ ابْنَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَرْزَلَهَا ، فَاسْتَجَارَ بِهَا فَأَحَارَتْهُ ، وَإِنَّمَا جَاءَ فِي طَلَبِ مَالِهِ الَّذِي أَصَابَتْهُ تِلْكَ السَّرِيَّةُ ، فَمَّا كَبُرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ ، وَكَبُرَ النَّاسُ مَعَهُ ، صَرَحَتْ زَيْبُ بْنُ صُفْعَةَ النَّسَاءِ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي قَدْ أُجْرِتُ أَبَا الْعَاصِ بْنِ الرَّيِّعِ ، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالنَّاسِ الصُّبْحَ ، فَمَّا سَلِمَ مِنَ الصَّلَاةِ ، أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ ، هَلْ سَمِعْتُمْ مَا سَمِعْتُ ؟ » ، قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : « أَمَّا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا عَمِلْتُ بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ حَتَّى سَمِعْتُمْ ، إِنْهُ يَجِبُ عَلَى النَّاسِ أَدْبَهُمْ » . ثُمَّ انْصَرَفَ وَدَخَلَ عَلَى ابْنَتِهِ رَيْبُ ، فَقَالَ : « أَيُّ بَيْتَةٍ أَكْرَمِي مِنْهَا ، وَأَحْسِنِي قِرَاءَ ، وَلَا يَصْلَحَنَّ إِلَيْكَ ، فَإِنَّكَ

(١) أسباب الأشراف ١ . ٣٩٨ مع اختلاف في الرواية

(٢) ١ : « أَبْصَعُوا مَعَهُ » .

لا تحلين له . ثم بعث إلى تلك السرية لذين كانوا أصابوا مال أبي العاص ، فقال لهم : إن هذا الرجل منا بحيث علمتم ، وقد أصبتم له مالا ، فإن تحسبوا وتردوا عليه الذي له ، فإننا نحب ذلك . وإن أبيتم فهو لله الله الذي أهاء عليكم ، وأنتم أحق به . فقالوا : يا رسول الله ، بل ردّه عليه ، فردّوا عليه ماله ومثله ، حتى إن الرجل كان يأتي بالحنبل^(١) ، ويأتي الآخر بالشاة^(٢) ، ويأتي الآخر بالإداوة^(٣) ، والآخر بالشطاط^(٤) ، حتى ردّوا ماله ومثله بأسره من عند آخره ولم يفقد منه شيئا . ثم احتل إلى مكة ، فمما قدمها أدى إلى كل ذي مال من قريش ماله ممن كان أصعب معه شيء . حتى إذا فرغ من ذلك ، قال لهم : يا معشر قريش ، هل بقي لأحد منكم عدى من ، لم يأخذ ؟ قالوا : لا عدا لك الله حيرا ، لقد وجدناك وهيبا كريما ، قال : فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، والله مامنعني من الإسلام إلا تخوف أن نطعنوا أني أردت أن آكل أموالكم ، وأذهب بها فإد سلمها الله لكم ، وأذاها إليكم ؛ فإني أشهدكم أني قد أسمت واتمت دين محمد ، ثم خرج مريضا حتى قدم على رسول الله المدينة^(٥) .

قال محمد بن إسحاق : حدثني داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله ردّ ريب سعد بن مسعود على أبي العاص بالفكاح الأول لم يحدث شيئا^(٦) .

قال الواقدي : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله من أمر الأسارى ، وفرق الله عزّ وجلّ بين الكفر والإيمان ، أفلّ رقاب المشركين والمناقبين واليهود ، ولم يبق بالمدينة يهودي ولا منافق إلا حصعت عنقه .

(١) ابن هشام : « بالذلو »

(٢) الشاة : السقاء البالي .

(٣) الإداوة : المعصرة التي يتوصأ بها .

(٤) الشطاط : عود يشدّ به قم النمرارة

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٣ ، ٣٠٤

(٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٤ .

وقال قوم من المنافقين : ليتنا خرجنا معه حتى نصيب غنيمة . وقالت يهود فيما بينها : هو الذي نجد نفعه في كتبنا ، والله لا ترفع له راية بعد اليوم إلا ظهرت .

وقال كعب بن الأشرف : نطن الأرض اليوم حبر من ظهرها ، هؤلاء أشراف الناس وساداتهم ، وملوك العرب وأهل الحرم والأمن قد أصبوا . وخرج إلى مكة ، فنزل على أبي وداعة بن صبرة ، وجعله يرسل هجاء المسلمين ، ورثى قتلى بدر من المشركين ، فقال :

طَحَنَتْ رَحَا بَدْرٍ لِمَهْلِكِ أَهْلِهِ وَلِيُمَثِّلَ بَدْرٌ يَسْتَهْلُ وَيُدَمِّعُ ^(١)
فَقَتَلَتْ سِرَاةَ النَّاسِ حَوْلَ حِيَاصِهِ لَا تَعْدُوا إِنَّ لِلَّوْكَ تَصَرَّعُ ^(٢)
وَيَقُولُ أَقْوَامٌ أَذِلَّ مَرْتَمُ ^(٣) : إِنَّ ابْنَ أَشْرَفِ طَنْ كَمَا يَجْرَعُ
صَدَقُوا فَلَيْتَ الْأَرْضَ سَاعَةً قَتَنُوا ظَلَّتْ نَسِيجُ بَاهِيهَا وَتَصَدَّعُ ^(٤)
مُنَّتْ أَنْ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ ^(٥) وَالنَّاسُ بَنَى الصَّالِحَاتِ وَيَجْمَعُ ^(٦)
لِيُرْوَرَ بِزَرْبٍ مَالِجُوعٍ وَإِنْ مَجَّسَا ^(٧) بَسَى عَلَى الْحَسْبِ الْقَدِيمِ الْأَرْوَعُ ^(٨)

قال الواقدي : أملاها على عبد الله بن جعفر ومحمد بن صالح وابن أبي الزناد . فمما أرسل كعب هذه الأبيات أخذها الناس بمكة عنه ، وأظهروا المرائي - وقد كانوا حرموها كيلا يشمت المسلمون بهم - وحصل الصبيان والحواري يشدون بها بمكة ، ففاحت بها قريش

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٤٣١ ، ٤٣٢ ، وأشب الأشراف ١ : ٢٨٤ ، والبيان الأعيان في نسب قریش ١ : ٣ .

(٢) سيرة الناس : خيارهم .

(٣) للنادري : « غوى أمرهم » ، ابن هشام : « أسر بسخطهم » الواقدي : « أذل بسخطهم » .

(٤) بعده في ابن هشام :

صَارَ الَّذِي أَثَرُ الْحَدِيثِ نَطْمَةً أَوْ عَاشَ أَعْمَى مَرَعَشًا لَا يَسْمَعُ
بُنْتُ أَنْ بَنَى الْمَعِيرَةَ كُلَّهُمْ حَسَبُوا الْقَتْلَ أَنَّ الْحَكِيمَ وَجَدُّعُوا
وَأَنَا رَبِيعَةٌ عِنْدَهُ وَمَمَّةٌ مَا نَالَ مِثْلَ الْهَالِكِينَ وَتُبَّعُ

(٥) نسب قریش : « بني الكرامات » :

(٦) نسب قریش . « ليرور أثرب » ، وأثرب لغة في يثرب .

على قتلاها شهراً ، ولم تنق دار مكة ، لا فيها النوح - وجبر النساء شعورهن ، وكان يؤتى
براحلة الرجيل منهم أو نمره ، فتوق بين أطهرهم ، فيسوحون حوضاً ، وخرجن إلى
استكك ، وضربن السور في الأرقه ، [وقطن] ^(١) فخرجن إليها بسخن ، وصدق أهل مكة
رؤيا عائكة وجهم بن الصلت ^(٢) .

قال الواقدي : وكان الأديس قدموا من قريش في فداء الأسرى أربعة عشر رجلاً ،
وقيل خمسة عشر رجلاً ، وكان أول من قدم المطلب بن أبي وداعة ، ثم قدم الباقون بعده
ثلاث ليال .

قال : فحدثني إسحاق بن يحيى ، قال : سألت نافع بن خنبر . كيف كان الفداء ؟ قال :
أرغمهم أربعة آلاف إلى ثلاثة آلاف إلى ألف إلى ألف ، إلا قوماً لا مال لهم من عليهم
رسول الله صلى الله عليه وآله .

وقال الواقدي : وقال رسول الله صلى الله عليه وآله في أبي وداعة : إن له بمكة أسيراً
كيساً له مال ، وهو مغل فداء ، فما قدم فداء أربعة آلاف ، وكان أول أسير افتدى ؛
وذلك أن قريشا قالت لأن المطلب بن أبي وداعة - ورأته يتحجر - يخرج إلى أبيه : لا تعجل ؛
فإننا نحاف أن تفسد علينا في أسرارنا ، ويرى محمد بن الحنفية عابداً الفدية ، فإن كنت
تجد فإن كل قومك لا يحدون من السعة ما تجد . فقال : لا أخرج حتى يخرجوا ، فنادعهم
حتى إذا غفلوا خرج من الليل على راحته ، فسار أربعة ليال إلى المدينة ، فافتدى أباه
أربعة آلاف ، فلامه قريش في ذلك ، فقال : ما كنت لأترك بني أسير في أيدي القوم
وأتم مصحعون ، فقال أبو سفيان بن حرب : إن هذا غلام حدث يصعب بنفسه
وبرأيه ، وهو مفسد عليكم ، إني والله غير مقتدر عمرو بن أبي صفيان ، ولو مكث سنة

أورسله محمد : والله ماأنا بأعوركم ، ولكنى أكره أن أدخل عيكم مايشق عليكم ، ولكن
يكون عمرو كأصواتكم .

قال الواقدي : فأما أسماء القوم الذين قدموا في الأمري ، فإنه قدم من بني عبد شمس
الوليد بن عتبة بن أبي مغيط ، وعمرو بن الربيع أخو أبي العاص بن الربيع . ومن بني نوفل
ابن عبد مناف جبير بن مطعم : ومن بني عبد الدار بن قصي طلحة بن أبي طلحة . ومن بني أسد
ابن عبد العزى بن قصي عثمان بن أبي حبيش . ومن بني محروم عبد الله بن أبي ربيعة
وحالد بن الوليد وهشام بن الوليد والمغيرة وهروث بن السائب وعكرمة بن أبي جهل . ومن
بنو شحاح أبي بن حلف وعمير بن وهب . ومن بني ميمم المطلب بن أبي وداعة وعمرو بن قيس .
ومن بني مالك بن حنن مكر بن حنظل بن الأحمف ، كل هؤلاء قدموا المدينة في عداء
أهلهم وعشائرهم . وكان حيدر بن مطعم يقول : دخل الإسلام في قلبي منذ قدمت المدينة
في العداء ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقرأ في صلاة المغرب : ﴿ وَالطُّورِ ﴾ وَكِتَابِ
مَسْطُورٍ ، فاستمعت قراءته ، فدخل الإسلام في قلبي منذ ذلك اليوم ^(١) .

القول في تفصيل أسماء أسارى بدر ومن أسرم

قال الواقدي : أسير من بني هاشم العباس بن عبد المطلب ، أسره أبو اليسر كعب
ابن عمرو ، وعقيل بن أبي طالب أسره عبيد ^(٢) بن أوس الطعري ، ونوفل بن الحارث

(١) انظر مغازي الواقدي ١٣٣ - ١٤١

(٢) « عبيدة » ، والصواب ما أتت به من الواقدي وابن هشام .

ابن عبد المطلب أمره جبار بن صخر؛ وأمر حليف لبني هاشم من بني فهر، اسمه عتبة فهو لا، أربعة .

ومن بني المطلب بن عبد مناف التائب بن عبيد، وعبيد بن عمرو^(١) بن علقمة، رجلاً من أمرها سلمة بن أسلم بن حريش الأشجلى .

قال الواقدي . حدثني بذلك ابن أبي حشبة، قال : ولم يقدم لهما أحد، وكانا لا مال لهما، فهاك رسول الله صلى الله عليه وآله عنهما بغير فدية .

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف عتبة بن أبي مُعَيْط المقتول صبراً^(٢)، على يد عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح بأمر رسول الله، أسره عبد الله بن أبي سلمة المصلائي، والحارث بن أبي وبرة ابن أبي عمرو بن أمية، أسره سعد بن أبي وقاص، فقدم في فدائه الوليد بن عتبة بن أبي مُعَيْط فافتداه بأربعة آلاف .

قال الواقدي : وقد كان الحارث هذا لما أمر النبي صلى الله عليه وآله برّد الأسارى، ثم أفرغ بين أصحابه عليهم، وقع في سهم سعد بن وقاص الذي كان أسره أول مرة - وعمرو ابن أبي سفيان، أسره علي بن أبي طالب حينه السلام، وحصار بالقرعة في سهم رسول الله صلى الله عليه وآله، فأطلقه بغير فدية، أطلقه سعد بن النعمان بن أكال من بني معاوية، خرج معتصراً، خمس بمكة، فلم يطلقه المشركون حتى أطلق رسول الله صلى الله عليه وآله عمرو بن أبي سفيان .

وروى محمد بن إسحاق في كتاب " المغارى " : أن عمرو بن أبي سفيان أسره علي عليه السلام يوم بدر، وكانت أمه امة عتبة بن أبي مُعَيْط، فشك في يد رسول الله صلى الله عليه وآله، فقتل لأبي سفيان: ألا تعتدي ابنك عمراً؟ قال : أجمع عليّ دمي ومالي اقتلوا حفلة وأهتدي عمراً! دعوه في أيديهم فليمسكوه ما بنا لهم . فبينما هو محبوس بالمدينة، خرج

(١) كذا في الأصول والواقدي، وأسماء الأشراف، وفي ابن هشام : « سفيان بن عمرو » .

(٢) الواقدي : « قتل صبراً » .

سعد بن النعمان بن أكتال أخو بني عمرو بن عوف معتبرا ، ومعه امرأة^(١) له ، وكان شيخا كبيرا لا يحشى ماصدع^(٢) به أبو سفيان ، وقد عهد قريشا ألا يعرض لحاج ولا معتير^(٣) ، فعدا عليه أبو سفيان ، فحسه بمكة بابه عمرو بن أبي سفيان ، وأرسل إلى قوم بالمدينة هذا الشعر :

أرط ابن أكتال أجبيوا دعاءه تماقدنم لا تيلموا السيد الكهل
فإن بني عمرو وثام أدنة لأن لم يفكوا عن أسيرهم الكلا

فشى بنو عمرو بن عوف حين بلغهم الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأخبروه بذلك ، وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان ليعكفوا به صاحبهم ، فأعطاهم إياه ، فبعثوا به إلى أبي سفيان فحلى سبيل سعد . وقال حسان بن ثابت يحيب أبا سفيان :

ولو كان سعد يوم مكة مضيقا لأكثر فيكم قل أن يؤسر القتل
بعض حسام أو بصقراء بقة تمن إذا ما أبصت تحمز السكلا^(٤)

وأبو العاص بن الربيع ، أسره حراش بن الصمة ؛ فقدم في فدائه عمرو بن أبي الربيع أخوه ، وحليف لهم ، يقال له أبو ريشة افتداه عمرو بن الربيع أيضا . وعمرو بن الأرق افتكه عمرو بن الربيع أيضا ، وكان قد صار في سهم تميم مولى حراش بن الصمة ، وعقبة بن الحارث المصري أسره عمارة بن حرم ، فصار في لقرعة لأبي بن كعب ، افتداه عمرو بن أبي سفيان ابن أمية ، وأبو العاص بن نوفل بن عبد شمس ، أسره عمار بن ياسر قدم في فدائه ابن عمه ، فهؤلاء ثمانية .

(٢) ابن هشام : « ماصدع به » .

(١) ابن هشام : « مرية » .

(٣) ابن هشام : « لا يعرضون لأحد جاء حيا أو معتبرا إلا يعير » .

(٤) البص : السيف الفاطم ، وحكمتك الحسام . وصمراء أراد بها قوساً . والنقة : شجرة تست بالمال ؛ تصعب منها النفس . وتمن : تصوته . وأبصت : مدت وترها . والأساس : أن يحرك وتر القوس .

ورعد . والخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

ومن بني نوفل بن عبد مناف عدى بن الحيار ، أسره خراش بن الصمة ، وعثمان ابن عبد شمس ، ابن أخى عتبة بن غزوان ، جميعهم ^(١) ، أسره حارثة بن النعمان ، وأبو ثور ، أسره أبو مرثد العنوى ، فهؤلاء ثلاثة اتدأهم خير بن مطيم .

ومن بني عبد الدار بن قصي أبو عزيز بن عُمير ، أسره أبو اليسر ، ثم صار بالقرعة لحرز ابن نضلة - قال الواقدي : أبو عزيز هذا هو أحو مصعب بن عمير لأبيه وأمه ، وقال مصعب لحرز بن نضلة : أشدد يدك به ؛ فإن له أتما بحكمة كثيرة للال ، فقال له أبو عزيز : هذه وصاتك بي يا أحمى ، فقال مصعب : إنه أحمى دونك ، فبعثت فيه أمه أربعة آلاف ، وذلك بعد أن سألت : ما أعلى ما تُعادي به قريش ؟ فقبل لها : أربعة آلاف والأسود بن عامر ابن الحارث بن السباق ، أسره حمزة بن عبد المطلب ، فهذان اثنان قدم في فدايهما طائفة من أبي طلحة .

ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصي : اسائب بن أبي حنشل بن المطلب بن أسد ابن عبد العزى ، أسره عبد الرحمن بن عوف . وعثمان بن الحويرث بن عثمان بن أسد بن عبد العزى ، أسره حاطب بن أبي بنتمة ، وسالم بن شماس أسره سعد بن أبي وقاص ؛ فهؤلاء ثلاثة قدم في فدايهم عثمان بن أبي حنشل ، أربعة آلاف لكل رجل منهم .

ومن بني تميم بن مرة ، مالك بن عبد الله بن عثمان ، أسره قطمة بن عامر بن حديدة ، فأت في المدينة أسيرا .

ومن بني محزوم خالد بن هشام بن المعيرة ، أسره سواد بن غزمية . وأميمة بن أبي حذيفة ابن المعيرة ، أسره بلال . وعثمان بن عبد الله بن المعيرة ، وكان أفلت يوم نحلة ، أسره واقد بن عبد الله التميمي يوم بدر ، فقال له : الحمد لله الذي أمكنى منك ، فقد كنت أفلت يوم نحلة - وقدم في فداء هؤلاء الثلاثة عبد الله بن أبي ربيعة ، اتحدى كل واحد منهم بأربعة آلاف - والوليد بن الوليدة بن المعيرة ، أسره عبد الله بن جحش ،

(١) الواقدي : « حبيب لهم » .

تقديم في فدائه أخواه خالد بن الوليد وهشام بن الوليد ، فتمتع عبد الله بن حش حتى اعتكاه بأربعة آلاف ، فحل هشام بن الوليد يريد ألا يبلغ ذلك - يريد ثلاثة آلاف - فقال خالد لهشام : إنه ليس بان أمك ، وافته لو أبي فيه إلا كذا وكذا ففعلت ، فلما اقتدياه خرجا به حتى بلغا به ذا الخليفة ، فميت ، فأتى النبي صلى الله عليه وآله فأسلم ، فقبل : ألا أسلمت قبل أن تقتدى ! قال : كرهت أن أسيم حتى أكون أسوة بقومي . - قال الواقدي : ويقال إن الذي أسر الوليد بن الوليد سليط بن قيس المصاري - وقبس ابن السائب : أسره عبدة بن الحبحاس ، فحسه عنده حيا ، وهو يظن أن له مالا ، ثم قدم في فدائه أخوه قزوة بن السائب ، فقام أيضا حيا ، ثم اقتناه بأربعة آلاف فيها عروض .

ومن بني أبي رفاعه ، صبيح بن أبي رفاعه بن عائد بن عبد الله بن عمير بن محزوم ، وكان لا مال له ، أسره رجل من المسلمين ، ثمكث عندهم ، ثم أرسله . وأبو المنذر بن أبي رفاعه بن عائد اقتدى بالعين - ولم يذكر الواقدي من أسره - وعبد الله ، وهو أبو عطاء ابن السائب بن عائد بن عبد الله ، اقتدى بذهب درهم ، أسره سعد بن أبي وقاص ، والمطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمير بن محزوم ، أسره أبو أيوب الأنصاري - ولم يكن له مال فأرسله بعد حين - وحائد بن الأعم القيلي ، حليف لبني محزوم ، وهو الذي يقول :

وَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمَى كُلُّوْمَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقَطَّرُ الدِّمَاءُ^(١)

(١) رواية ابن هشام : ٤ : ٣٦٥ :

وَلَسْنَا عَلَى الْأَذْبَارِ تَدْمَى كُلُّوْمَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا يَقَطَّرُ الدِّمَاءُ

وقال محمد بن إسحاق : روى أنه كان أول المنهزمين ^(١) ، أسره الحباب بن المنذر بن الجموح ، وقدم في فدائه عكرمة بن أبي جهل ، فهؤلاء عشرة .

ومن بني سُحج عبد الله بن أبي بن حلف ، أسره قُرَوة بن أبي عمرو النياضي ، قدم في فدائه أبوه أبي بن حلف فتمتع به قُرَوة حيناً . وأبو عزة عمرو بن عبد الله بن وهب ، أطلقه رسول الله صلى الله عليه وآله شير فدية ، وكان شاعراً خبيث اللسان ، ثم قتله يوم أحد ، بعد أن أسره . ولم يذكر الواقدي أندي أسره يوم بدر - وهب بن عمير بن وهب ، أسره رفاعه بن رافع الزرقى ، وقدم أبوه عمير بن وهب في فدائه ، فأسلم فأرسل النبي صلى الله عليه وآله له ابنه شير فداء ، ورسة بن دراج بن العننس بن وهبان ^(٢) ابن وهب بن حذافة بن سُحج ، وكان لا مال له ، فأخذ منه شيء يسير ، وأرسل به . ولم يذكر الواقدي من أسره - وإنما ذكره مولى أمية بن حلف ، أسره سعد بن أبي وقاص ، فهؤلاء خمسة .

ومن بني سَهْم بن عمرو أبو ذرة بن صبرة ، وكان أول أسير اقتدى ، قدم في فدائه ابنه المطلب ، فاقتداه بأربعة آلاف . ولم يذكر الواقدي من أسره - وقُرَوة بن قيس بن عدي بن حذافة بن سعيد بن سهم ، أسره ثابت بن أقرم ، وقدم في فدائه عمرو ابن قيس ، اقتداه بأربعة آلاف ، وحنظلة بن قبيصة بن حذافة بن سعد ، أسره عثمان ابن مظعون . والحجاج بن الحارث بن قيس بن سعد بن سهم ، أسره عبد الرحمن بن عوف ، فأقلت ، فأخذه أبو داود الناري . فهؤلاء أربعة .

ومن بني مالك بن حنبل سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك ؛ أسره مالك بن الذخشم ، وقدم في فدائه مكرم بن حصص بن الأحنف ، وانتهى في فدائه إلى إرضائهم بأربعة آلاف ، فقالوا : هات المال ، فقال : نعم ، أحملوا رجلاً مكان رجل ؛

(١) ابن هشام : « أول من ولي طاراً منهزماً » . (٢) ابن هشام : « أهل » .

وقوم يروونها : « رِخْلًا مَكَانَ رِجْلٍ » ، غَنُوا سَبِيلَ سُهِيلٍ ، وَحَسُوا مِكَرَ بْنِ حَنْصِ
عَدْمٍ . حَتَّى بَعَثَ سَبِيلُ بَالَالٍ مِنْ مَكَّةَ وَعَدَّ لَهُ بِنَ رَمَّةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَالِكٍ ،
أَسْرَهُ عَمِيرَ بْنَ عَوْفٍ ، مَوْلَى سُهِيلِ بْنِ عَمْرِو . وَعَدَّ الْعَرِيُّ بْنُ مَشْوَرٍ بْنُ وَقْدَانَ بْنِ قَيْسِ
ابْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ وَدَّ سَيَاءَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عِدَّ إِسْلَامِهِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ ،
أَسْرَهُ الْعِمَّانَ بْنَ مَالِكٍ . فَهَؤُلَاءِ ثَلَاثَةٌ .

وَمِنْ بَنِي قَهْرٍ الطَّعِيلِ بْنِ أَبِي قَسِيحٍ ، فَهَؤُلَاءِ سِتَّةٌ وَأَرْبَعُونَ ^(١) أَسِيرًا .
وَفِي كِتَابِ الْوَاقِدِيِّ أَنَّهُ كَانَ الْأَسَارَى تَدْرُسُ أَحْصَاوُا وَعَرَفُوا تِسْعَةً وَأَرْبَعِينَ ، وَلَمْ يَحْدِ
التَّفْصِيلُ يَلْحَقُ هَذِهِ الْجُمْلَةَ ^(٢) .

وَرَوَى الْوَاقِدِيُّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ ، قَالَ : كَانَتِ الْأَسَارَى سَبْعِينَ ، وَإِنْ الْفَتْحَى
كَانَتْ رِيَادَةً عَلَى سَبْعِينَ إِلَّا أَنَّ الْمَعْرُوفِينَ مِنَ الْأَسْرَى هُمُ الَّذِينَ ذَكَرْنَاهُمْ ، وَالْبَاقُونَ
لَمْ يَذْكُرِ الْمُؤَرِّخُونَ أَسْمَاءَهُمْ .

القول في المطعمين في بدر من المشركين

قَالَ الْوَاقِدِيُّ : الْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ وَلَا حِلَافَ بَيْنَهُمْ فِيهِ تِسْعَةٌ : هُمُ بْنُ عَبْدِ صَافٍ الْحَارِثُ
ابْنُ هَامِرِ بْنِ يَوْفَلَ بْنِ عَبْدِ صَافٍ ، وَعَتَّةُ وَشَيْبَةُ ابْنَا رِبْعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ .
وَمِنْ بَنِي أَسَدَ بْنِ عَبْدِ الْعَرِيِّ ، رَمَّةُ بْنُ الْأَسَدِ بْنِ الْمُطَّلَبِ بْنِ أَسَدَ ، وَيَوْفَلَ بْنُ خُوَيْلِدِ
الْمَعْرُوفِ بَابِ الْعَدَوِيَّةِ .

وَمِنْ بَنِي مَحْرُومٍ ، أَبُو جَهْلٍ عَمْرُو بْنُ هِشَامٍ مِنَ الْمُعِيرَةِ .

وَمِنْ بَنِي بُجَاحٍ ، أُمَيَّةُ بْنُ سَلَفٍ

(١) عَشْرَتُهُمْ فِي ابْنِ هِشَامٍ « ثَلَاثَةٌ وَأَرْبَعُونَ » (٢) مَعَارِي الْوَاقِدِيِّ ١٣٢ - ١٣٩ ، وَحَرْفُ

أَسْبَابِ الْأَشْرَافِ ١ : ٣٠٦ - ٣٠٦ ، وَصِغَةُ ابْنِ هِشَامٍ ٢ : ٣٦٤ - ٣٦٧ .

ومن بنى سبهم نبيه ومنبه ابن الحجاج .
فهؤلاء تسعة .

قال الواقدي : وكان سعيد بن المسيب يقول : ما أعلم أحد سدر إلا قتل .
قال الواقدي : قد ذكروا عدة من مطعمين ، احتلف^(١) فيهم ، كسهيل بن عمرو
وأبي السخري وغيرهما^(٢) .

قال : حدثني إسماعيل بن إبراهيم ، عن موسى بن عتبة ، قال : أول من محر لهم
أبو سهل بمر الظهران عشرا ، ثم أمية بن خلف بمسنان تسعا ، ثم سهيل بن عمرو بقديد
عشرا ، ثم مالوا إلى مياه من نحو البحر ضوا الطريق ، فأقاموا بها يوما ، فمحر لهم شيعة
اس ربيعة تسعا ، ثم أصبحوا بالأبواء فمحر لهم قيس الحمصي تسعا ، ثم محر عتبة عشرا ،
ومحر لهم الحارث بن عمرو وتسعا ، ثم محوهم أبو السخري على ماء بدر عشرا ومحر لهم مقيس
اس صباهة على ماء بدر تسعا ، ثم شعفتهم الحرب .

قال الواقدي : وقد كان اس أبي الزناد يقول : والله ما أظن مقيما كان يقدر على
قلوص واحدة .

قال الواقدي : وأما أنا فلا أعرف قيسا الحمصي . قال : وقد روت أم بكر ، عن
المصور بن محرمة أنها ، قال : كان النمر يشتركون في الإطعام ، فيسب إلى الرجل الواحد
ويسكت عن سائرهم^(٣) .

وروى محمد بن إسحاق أن العباس بن عبد المطلب كان من المطعمين في بدر ، وكذلك
طعيمة بن عدي بن نوفل ، كان يعتقب هو وحكيم والحارث بن عامر بن نوفل ، وكان أبو السخري
يعتقب هو وحكيم بن حزام في الإطعام ، وكان النمر بن الحارث بن كلفة بن علقمة بن
عبد مناف بن عبد الدار من المطعمين . قال : وكان النبي صلى الله عليه وآله يكره قتل

(١) ومعارى الواقدي : « وقد احتلف عليا فيهم » (٢) معارى الواقدي « وغيرهم »

(٣) معارى الواقدي ١٢٣ ، ١٢٤

الحارث بن عاصم ، قال يوم بدر : « مَنْ ظَفَرَ بِهِ مِنْكُمْ فَلْيَتْرَكْهُ لِأَيَّتَامِ بَنِي نُوْفَلٍ » ، فقتل في المعركة ^(١) .

القول فيمن استشهد من المسلمين ببدر

قال الواقدي : حدثني عبد الله بن جعفر ، قال : سألت الزهري كم استشهد من المسلمين ببدر ؟ قال : أربعة عشر ^(٢) ، ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار .

قال : فمن بنى المطلب بن عبد مناف عبدة بن الحارث ، قتله شيبة بن ربيعة .

وفي رواية الواقدي قتله عتبة ، فدفعه النبي صلى الله عليه وآله بالصفراء .

ومن بنى زهرة عمير بن أبي وقاص ، قتله عمرو بن عبدود ، فارس الأحراب ، وعمير بن

عبدود ذو الشمالين ، حليف لبني زهرة بن خراعة ، قتله أبو أسامة الجشمي .

ومن بنى عدي بن كعب عاتل بن أبي البكير ، حليف لم من بني سعد بن بكر ، قتله

مالك بن زهير الجشمي ، ومجمع مولى عمر بن الخطاب ، قتله عاصم بن الحضرمي ؛ ويقال :

إن مهجبا أول من قتل من المهاجرين .

ومن بنى الحارث بن فهر صفوان بن بيضاء ، قتله طعيمة بن عدي .

وهؤلاء الستة من المهاجرين .

ومن الأنصار ، ثم من بني عمرو بن عوف ، مبشر بن عبد النذر ، قتله أبو ثور . وسعد

ابن حبيشة ، قتله عمرو بن عبدود — ويقال طعيمة بن عدي — ومن بني عدي بن الحار

حارثة بن سراقه رماه حبان بن العرقعة بسهم فأصاب حنجرته ، فقتله .

ومن بني مالك بن النجار ، عوف وسعد ابنا عفران ؛ قتلها أبو جهل .

(١) سورة ابن هشام ٢ : ٢١١ .

(٢) في معاري الواقدي : « ثم عديم علي ، فهم هؤلاء الذين سميت » .

ومن بني سليمة بن حرام عمير بن الحمام بن الجوح ، قتله خالد بن الأعمى العقيلي - ويقال
لبن عمير بن الحمام أول قتيل قتل من الأنصار ، وقد روى أن أول قتيل منهم حارث
ابن سراقبة .

ومن بني رزيق ، رافع بن الملقى ، قتله عكرمة بن أبي جهل .
ومن بني الحارث بن الخزرج يزيد بن الحارث بن قسح^(١) ، قتله سويل بن معاوية الديلي .
فهؤلاء الثمانية من الأنصار .
قال الواقدي . وقد روى عن عكرمة ، عن ابن عباس أن أمة مولى النبي صلى الله
عليه وآله قتل ببدر .
وروى [أن]^(٢) معاذ بن ماعص حرق ببدر ، فمات من جراحته بالمدينة ،
وأن عبيد بن السكن حرق فاشتكى جرحه ، فمات منه حين قدم^(٣) .

القول فيمن قتل ببدر من المشركين وأسماء قاتليهم

قال الواقدي : فمن بني عبد شمس بن عبد مناف حمظة بن أبي سفيان بن حرب ، قتله علي
ابن أبي طالب عليه السلام ، والحارث بن الحصرمى قتله عمار بن ياسر ، وعامر بن الحصرمى قتله عاصم
ابن ثابت بن أبي الأفلح ، وعمير بن أبي عمير واسمه ، موليان لهم ؛ قتل سالم مولى أبي حذيفة منهم عمير بن
أبي عمير - ولم يذكر الواقدي من قتل أبه - وعبيدة بن سعيد بن العاص ، قتله الزبير بن
العوام ، والعاص بن سعيد بن العاص ، قتله علي بن أبي طالب عليه السلام ، وعقبة بن أبي
معيط ، قتله عاصم بن ثابت صبرا بالسيف بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله .

(١) الواقدي : « يسح » .

(٢) معاري الواقدي ١٤٢ ، ١٤٣ .

(٣) من الواقدي .

وروى البلاذري أن رسول الله صلى الله عليه وآله صلبه بعد قتله ؛ فكان أول

مصلوب في الإسلام. قال : وفيه يقول. صرار بن الحطاب :

عين بكى لعقمة بن أنان^(١) فرع فهير وفارس الفرسان^(٢)

وعتبة بن ربيعة ، قتله حمزة بن عبدالمطلب. وشيبة بن ربيعة ، قتله عبيدة بن الحارث وحمزة
وعلى ، الثلاثة اشتركوا في قتله. والوليد بن عتبة بن ربيعة ، قتله علي بن أبي طالب عليه
السلام. وعامر بن عبد الله حبيب لم من أعمار ، قتله علي بن أبي طالب عليه السلام ، وقيل :
قتله سعد بن معاذ ، هؤلاء اثنا عشر .

ومن بني نوفل بن عبد مناف الحارث بن نوفل ، قتله حُصَيْن بن يساف^(٣) ، وطُعَيْمَة
ابن عدي ، ويكنى أبا الزيان ، قتله حمزة بن عبدالمطلب في رواية الواقدي ، وقتله علي بن
أبي طالب عليه السلام في رواية محمد بن إسحاق^(٤) (وروى البلاذري رواية عريضة ،
أن طُعَيْمَة بن عدي أسر يوم بدر ، فقتله النبي صلى الله عليه وآله صبراً على يد حمزة ،
فهؤلاء اثنان

ومن بني أسد بن عبدالمطلب رمعة بن الأسود ، قتله أبو دُحَّانَة^(٥) ، وقيل :
قتله ثابت بن الحُدَّاع^(٦) ، والحارث بن رمعة بن الأسود ، قتله علي بن أبي طالب
عليه السلام ونعيم بن الأسود بن المصن ، قتله علي وحمزة ، شريكاً في قتله .
قال الواقدي : وحدثنني أبو معشر ، قال . قتله علي بن أبي طالب عليه السلام وحده ،
وقيل : قتله أبو داود الدري وحده . وأبو لمخترى ، وهو العاص بن هشام ، قتله المخزوم بن

(١) أسباب الأشراف ١ : ٢٩٧ ، وفيه « عين بكى » .
(٢) في ابن هشام : « إساف » . بهزة مكسورة ، قال بن حجر في الإصابة : « وقد تبدل
(٣) سره بن هشام ٢ . ٣٥٧ .
تحتايه » .
(٤) دحانة ، كثرمة : هناك بن خرشة .
(٥) الإصابة ، المدح .
(١٤ - ١٥ - ج ٣ - ١٤)

زياد ، وقيل : قتله أبو اليسر . ووفيل بن حويلد بن أسد بن عبد العزى ؛ وهو ابن العدوية ، قتله على عليه السلام ؛ فهؤلاء خمسة

ومن بني عبد الدار بن قصي ، النصر بن الحارث بن كلدة ؛ قتله علي بن أبي طالب عليه السلام صبراً بالسيف بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكان الذي أسره المقداد بن عمرو ، فوعده المقداد - إن استقدم فداء حبيل ، وما قدم ليقتل ، قال المقداد : يا رسول الله ، إني ذو عيال ، وأحب الدين ، فقال : اللهم أعز المقداد من فصلك ! يا علي ، قم فاضرب صفه . ويريد بن مبيص مولى عمرو بن هاشم بن عبد مناف ، من عبد الدار ، قتله علي بن أبي طالب عليه السلام ، وقيل : قتله ملا . فهؤلاء اثنا .

ومن بني تيم بن مرة عمير بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ، قتله علي بن أبي طالب عليه السلام . وعثمان بن مالك بن عبيد الله بن عثمان ، قتله صهيب ، فهؤلاء اثنا - ولم يذكر الملاحدي عثمان بن مالك .

ومن بني محروم بن يقظة ثم من بني معيرة بن عبد الله بن عمر بن محروم ، أبو حوّل عمرو بن هشام بن المعيرة ، خربه معاذ بن عمرو بن الجوح ، ومعوذ وعوف ابنا عمراء ، ودوق^(١) عليه عبد الله بن مسعود . والعاص بن هاشم بن المعيرة ، حاك عمر بن الخطاب ، قتله عمرو بن يزيد بن تميم التميمي ، حبيب لهم ، قتله عمار بن ياسر ، وقيل : قتله علي عليه السلام .

ومن بني الوليد بن المعيرة ، أبو قيس بن الوليد بن الوليد ؛ أخو خالد بن الوليد ، قتله علي ابن أبي طالب عليه السلام .

ومن بني العاكه بن المعيرة أبو قيس بن لعاكه بن المعيرة ، قتله حمزة بن عبد المطلب ، وقيل : قتله الحباب بن المنذر .

(١) أسباب الأشراف للبلاذري ١ : ٢٩٧ . (٢) دفع عليه : أحمر .

ومن بني أمية بن المغيرة مسعود بن أبي أمية ، قتله علي بن أبي طالب عليه السلام .
ومن بني عائد بن عبد الله بن عمر بن محروم ثم من بني رفاعه ، أمية بن عائد بن
رفاعة بن أبي رفاعه ، قتله سعد بن الربيع . وأبو المنذر بن أبي رفاعه ، قتله معن بن عدي
العتلاني . وعبد الله بن أبي رفاعه ، قتله علي بن أبي طالب عليه السلام . ورهير بن
أبي رفاعه ، قتله أبو أسيد الساعدي . والسائب بن أبي رفاعه ، قتله عبد الرحمن بن عوف .
ومن بني أبي السائب المحرومي - وهو صفي بن عائد بن عبد الله بن عمر بن محروم -
السائب بن السائب ، قتله الزبير بن العوام والأسود بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله
ابن عمر بن محروم ، قتله حمزة بن عبد المطلب . وحليف لهم من طيء ، وهو عمرو بن
شدان^(١) ، قتله يزيد بن قيس . وحليف آخر ، وهو حنظل بن سفيان ، أخو عمرو بن سفيان
المقدم ذكره ، قتله أبو بردة بن ريار .

ومن بني عمران بن محروم حاحر^(٢) بن السائب بن عويمر بن عائد ، قتله علي
عليه السلام .

وروى التلادري أن حاحراً هذا وأخاه عويمر بن السائب بن عويمر ، قتلهما علي
ابن أبي طالب عليه السلام^(٣) . وعويمر بن عمرو بن عائد بن عمران بن محروم ؛ قتله
النعمان بن أبي مالك ؛ مهولاً نحة عشر .

ومن بني حجاج بن عمرو بن حصيص ، أمية بن حنظل ، قتله حبيب بن يساف وبلال ،
شريحاً فيه .

قال الواقدي : وكان معاذ بن رفاعه من رفع يقوب : بل قتله أبو رفاعه بن رافع .

(٢) في التلادري : « حابر » .

(١) الواقدي : « سفيان » .

(٣) أسباب الأشراف ١ : ٣٠٠ .

وعلى بن أمية بن حلف ، قتله عمار بن ياسر . وأوس بن العيرة بن لودان ، قتله على عليه السلام ، وعثمان بن مطعون ، شريكاً فيه ؛ فهؤلاء ثلاثة .

ومن بني سهم ، منه بن الحجاج ، قتله على بن أبي طالب عليه السلام ، وقيل : قتله أبو أسيد الساعدي . وسبه بن الحجاج قتله على بن أبي طالب عليه السلام . والعاص بن منه بن الحجاج ، قتله على عليه السلام . وأبو العاص بن قيس بن عدي بن سعد ابن سهم ، قتله أبو دُجاعة - قال الواقدي : وحديثي أبو معشر عن أصحابه ، قالوا : قتله على عليه السلام - وعاص بن أبي عوف بن صبرة بن سعيد بن سعد ، قتله أبو دُجاعة ، فهؤلاء خمسة .

ومن بني عامر بن لؤي ، ثم من بني مالك بن حسل ، معاوية بن عمدة عيس حليف لهم ، قتله عسكاشة بن محص . ومعيد بن وهب ، حليف لهم من كلب ، قتله أبو دُجاعة فهؤلاء اثنان .

جميع من قتل بدر في رواية الواقدي من المشركين في الحرب وصبراً ، اثنان وخمسون رجلاً ، قتل على عليه السلام منهم مع اثنين شرك في قتلهم أربعة وعشرين رجلاً . وقد كثرت الرواية أن المقتولين بدر كانوا سبعين ، ولكن الذين عرفوا وجمعت أسماءهم من ذكرناه ، وفي رواية الشيعة أن رمعة بن الأسود بن المطلب قتل على ، والأشهر في الرواية أنه قتله الحارث بن رمعة ، وأن رمعة قتله أبو دُجاعة^(١) .

القول فيمن شهد بدرًا من المسلمين

قال الواقدي : كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً مع القوم الذين صرّب لهم رسول الله صلى الله عليه وآله تساهمهم وهم عاثبون وعدتهم ثمانية . قال : وهذا هو الأغلب في الرواية ،

(١) انظر نسخة من قتل من المشركين بدر في الوقي ١٤٣ - ١٤١

قال : ولم يشهد مدرا من المسلمين إلا قرشي أو حنيف قرشي أو أنصاري أو حليف لأنصاري أو مولى واحد منهما ، وهكذا من حسب المشركين ، فإنه لم يشهد بها إلا قرشي أو حنيف قرشي أو مولى لهم .

قال : فكانت قريش ومواليها وحلفاؤها ستة وثلاثين رجلا ، وكانت الأنصار ومواليها وحلفاؤها مائتين وسعة وعشرين رجلا^(١) .

وما تفصيل أسماء من شهد بها من المسلمين فله موضع في كتب الحديث أمثلت به من هذا الموضع .

[قصة غزوة أحد]

العصل الرابع : في شرح قصة غزوة أحد . ونحن نذكر ذلك من كتب الواقدي^(٢) رحمه الله على هاتين في ذكر عراه بدر ، ونصيب إليه من الوبائات التي ذكرها ابن إسحاق واللاذري ما يقتضي الحال ذكره .

قال الواقدي : لما رجع من حصر بدر من المشركين إلى مكة وحدوا العير التي قدم بها أبو سفيان من حرب من الشام موقوفة في دار الندوة ، وكذلك كانوا يصمون ، فلم يجر بها أبو سفيان ولم يعرفها لبيعة أهل نضير ، ومشت أشراف قريش إلى أبي سفيان : الأسود بن عبد المطلب بن أسد ، وخيبر بن مطعم ، وصهوان بن أمية ، وعكرمة بن أبي جهل ، والحارث بن هشام ، وعبد الله بن أبي ربيعة ، وحويط بن عبد العزى ؛ فقالوا : يا أبا سفيان ، انظر هذه العير التي قدمت بها وحسبنا^(٣) ، فقد عرفت أنها أموال أهل مكة ولطيمة^(٤) قريش ، وهم طيبو الأنفس ، يهتربون بهذه العير جيشا كثيفا إلى محمد ، فقد

(١) معاري الواقدي ١٥٦ ، ١٥٢ .

(٢) أحبار غزوة أحد في معاري الواقدي ص ١٩٧ وما بعدها .

(٣) اللطيمة : العير بحمل الطيب وبر التجار .

(٤) الواقدي : « حبيبنا » .

تري من قتل من آثا وأبنا وعشائرا . فقال أبو سفيان : وقد طالت أنفس قريش بذلك ؟ قالوا : نعم ، قال : فأنا أول من أحب إلى ذلك وبسوء عبد مناف معي ، فأنا والله الموتور والثائر^(١) ، وقد قيل اني حطلة سدر وأشرف قومي . فلم نزل العير موقوفة حتى تمهزوا للخروج ، فباعوها فصارت ذهبا عينا ، ويقال : إنما قالوا : يا أبا سفيان ، بيع العير ثم أعزل أرباحها ، فكانت العير ألف بعير ، وكان المال لحسين ألف دينار ؛ وكانوا يرمحون في تحارثهم للدينار ديسرا ، وكان متحرفهم من الشام عزرة ، لا يعدونها إلى غيرها ، وكان أبو سفيان ، قد حسس عير بني رهرة ، لأنهم رحلوا من طريق بدر ، وسلم ما كان لمحرمته من بوقل ولسى أبيه وبني عبد مناف بن رهرة ، فأبى محرمته أن ينقل عيرها حتى يسلم إلى بني رهرة جميعا^(٢) . وتكلم الأخنس ، فقال : وما لعير بني رهرة من بين عيرات قريش ؟ قال أبو سفيان : لأنهم رجعوا عن قريش ، قال الأخنس : أنت أرسلت إلى قريش أن ارحموا فقد أحررنا العير ، لا تخرجوا في غير شيء ، فخذت ببو رهرة عيرها وأخذ أقوام من أهل مكة أهل صف لا عشائر لهم ولا مدعة ، كل ما كان لهم في العير .

قال الواقدي : وهذا بين أنه إنما أخرج القوم أرباح العير . قال : وفيهم أزل^(٣) :
(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُبْعِثُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَبْذُلُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ...) الآية

قال : فلما أجمعوا على السير ، قاتوا : سير في العرب فاستنصرهم ؛ فإن عبدة مداة عير متحلفين عتاء ، هم أوصل العرب لأرحامنا ومن اتبعنا من الأحابيش ، فأجمعوا على أن يبعثوا أربعة من قريش يسرون في العرب ، يدعونهم إلى نصرهم ؛ فبعثوا عمرو بن العاص وهبيرة بن وهب وابن الزبير وأبا عزة كهمجي ، فأبى أبو عزة أن يسير^(٤) وقال : من

(١) الثائر : الذي يقوم بالثأر

(٢) ١ : « جمعا » .

(٣) ١ : « أزلت »

(٤) ١ : الواقدي . « فأطاع العير وأبى أبو عزة » .

على محمد يوم بدر ، وحلفت ألا أظاهر^(١) عليه عدوا أبدا . فشئى إليه صفوان بن أمية فقال : أخرج ، فإني ، وقال : عاهدتُ محمدًا يوم بدر ألا أظهر عليه عدوا أبدا ، وأنا أفي له بما عاهدته عليه^(٢) ، مَنْ عليّ ولم يمْ عليّ عيرى حتى قتله أو أحد من العداة . فقل صفوان : أخرج مصا ، فإن نسلم أعطك من أين ما شئت ، وإن تُقتل تكرر عيالك مع عيالي . فإني أبو عرّة ، حتى كان الندى ، وانصرف عنه صفوان بن أمية آيأ منه ؛ فلما كان الغد جاء صفوان وحبير بن مطيم ، فقال له صفوان الكلام الأول فإني ، فقال حبير : ما كنتُ أظن أني أعيش حتى يمسي إليك أبو وهب في أمر تاني عليه ! فأحطه ، فقال : أنا أخرج ، قال : فخرج إلى العرب يجمعها ، ويقول :

إني بي عند مناة الرّام^(٣) أنتم حماء وأموكم حاتم
لا ألدوني لا بعل إسلام لا يظفركم بعد العام^(٤)

وخرج المر مع أبي عرّة ، فالتبوا العرب وجمعوا ، وتبوا قبيضا فوعدوا^(٥) . فأتوا أجمعوا المنبر ونائب مَنْ كان معهم من العرب وحضرُوا ، واحلقت قريش في إخراج الطائفت معهم ، قال صفوان بن أمية : أخرجوا ، طائفت^(٦) فإنا أول من قتل ، فإياه أقن أن يحفظكم ويدرككم قتلى بدر ، فإن العهد حديث ، ونحن قوم ذوو ثورين مسبيتون ، لا يريد أن يرجع إلى دياره حتى يدرك ثور أو يموت دونه . فقال عكرمة بن أبي جهل : أنا أول من أحاب إلى ما دعوت إليه ، وقال عمرو بن أمية مثل ذلك ، فشئى في ذلك

(١) الواقدي : « لا أظاهر » (٢) من الواقدي
(٣) ابن هشام ٣ : « إني بي عند مناة » و « ررام » جمع رارم ؛ وهو يدى نبت في مكانه لا يبرحه ، تقول : روم العير ، إذا نبت في مكانه .
(٤) ابن هشام : « لا ألدوني » .
(٥) م : « أخرجوا » ، وأنت م في الواقدي ، و « ووعوا » أي خرجوا ليعرو
(٦) الطائفت : جمع طليفة ؛ وهي الرأه في اليهود ؛ وأصل طعيه اليهودج ، سميت لرأه به لغربها منه في السفر ؛ وقيل : سميت طعيه لأنها طعن مع روحها

بوقل بن معاوية الدَّيْلِيّ ، فقال : يا معشر قريش ، هذا ليس برأى ، أن تعرّضوا حرّمكم لعدوكم ؛ ولا آمن أن تكونوا الدَّيْرُ^(١) لهم فتقتصحوها في سائكم . فقال صفوان : لا كان غير هذا أبدا ! فعاء بوقل إلى أبي سفيان بن حرب فقال له تلك المقالة ، فصاحت هند بنت عتبة : إني والله سليت يوم بدر ، فرجعت إلى سائك ؛ نعم نخرج فنشهد القتال ، فقد رُدّت القيان من الحجة في سفرهم إلى بدر ، فقتلت الأختة يومئذ . فقال أبو سفيان : لست أخالف قريشا ، أنا رجلٌ منها ؛ ما فعلتُ ففعلتُ ، فخرجوا بالظُّنن ، وخرج أبو سفيان بن حرب بامرأتين : هند بنت عتبة بن ربيعة وأميمة بنت سعد بن وهب بن أشيم بن كنانة ، وخرج صفوان بن أمية بامرأتين : برة بنت مسعود الثقفي وهي أم عبد الله الأكبر والعموم بنت المعدل من كنانة ، وهي أم عبد الله الأصغر ، وخرج طلحة بن أبي طلحة بامرأته سُلَاقَة بنت سعد بن شهيد ، وهي من لؤس ، وهي أم بنيه : مسافع ، والحارث ، وكلاب والحلاس بن طلحة بن أبي طلحة ، وخرج عكرمة بن أبي جهل بامرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام ، وخرج الحارث بن هشام بامرأته فاطمة بنت الوليد بن المغيرة ، وخرج عمرو بن العاص بامرأته هند بنت منبّه بن الحجاج ، وهي أم عبد الله بن عمرو بن العاص . وقال محمد بن إسحاق اسمها : ربيعة . وخرجت حُاس بنت مالك بن المصرت إحدى نساء بني مالك بن حنبل مع أسد أبي عريز بن عير ، أخى مُضَنب بن عير من بني عبد الدار ، وخرج الحارث بن سفيان بن عبد الأسد بامرأته رَمْلَة بنت طارق بن علقمة الكمانية ، وخرج كنانة بن عليّ بن ربيعة بن عبد العزّي بن عبد شمس من عبد مناف بامرأته أم حكيم بنت طارق ، وخرج سفيان بن عوف بامرأته قُتَيْلَة بنت عمرو بن هلال ، وخرج العنات بن عمرو وحابر مسك اللذئب أخوه ؛ بأمهما

(١) الدَّيْرَة : العاقبة .

(٢) من أوالوالدي .

الدُّعْنِيَّة ، وخرج غراب بن سفيان بن عوف بامرأته حمرة بنت الحارث بن علقمة الكناينة ، وهي التي رفعت لواء قريش حبيب سقط حتى تراحت قريش إلى لوائها ، وفيها يقول حسان :

ولولا لواء الحارثية أصبحوا يسعون في الأسواق بالنمن البغس
قالوا : وخرج سفيان بن عوف بعشره من ولده ، وحشدت منوكماته . وكانت
الألوية يوم حرحوا من مكة ثلاثة عقدوها في در الندوة ؛ لواء يحملة سفيان بن عوف
ابن كنانة ، ولواء الأحابيش يحملة رجل منهم ، ولواء قريش يحملة ^(١) طلحة بن
أبي طلحة .

قال الواقدي : ويقال خرجت قريش ولها ^(٢) كلمهم ؛ من كنانة والأحابيش وغيرهم
على لواء واحد ، يحملة طلحة بن أبي طلحة . وهو الأنثى عندما .

قال : وخرجت قريش وهم ثلاثة آلاف من صوي إليها ^(٣) ، وكان فيهم من ثقيف
مائة رجل ، وخرجوا بعدة سلاح كثير ، وقادوا مائتي فرس ، وكان فيهم سبعة دراع
وثلاثة آلاف غير . فلما أحجموا على السير كتب العباس بن عبد المطلب كتاباً ، وحتمه ،
واستأجر رجلاً من بني عمار ، وشرط عليه أن يسير ثلاثاً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله
يحبره أن قريشاً قد اجتمعت ^(٤) للسير إليك ؛ فكتب صاعداً إذا حووا ^(٥) بك فاصعه .
وقد وحبوا وهم ثلاثة آلاف ، وقادوا مائتي فرس ، وفيهم سبعة دراع ، وثلاثة آلاف
غير ، وقد أوعوا من السلاح . فقدم العماري فمخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بالمدينة ،
وجده يقبض ، فخرج حتى وجد رسول الله صلى الله عليه وآله على باب مسجد قباء يركب

(١) ب : « يحملة » ، وأثبت ما في الواقدي .

(٢) لها ، أي من أحجم إليها من الناس .

(٣) صوي إليها : أحجم إليها ، ولأبي عوف في « هم » .

(٤) أ : « أجمت السير » (٥) ب : « حلوا » ، وأثبت ما في الواقدي .

حاربه ، فذفع إليه الكتاب ، فقرأ عليه أي سر كعب ، واستكنتم أيًا مافيه ، ودخل منزل سعد بن الربيع ، فقال : أي البيت أحد ؟ فقال سعد : لا ، فكنتم بمحاجتك ، فأخبره بكتاب العباس بن عبد المطلب ، فعمل سعد يقول : يا رسول الله ، والله إنني لأرجو أن يكون في ذلك خير ، وأرجفت ^(١) يهود المدينة واساقفون ، وقالوا : ما جاء محمدًا شيء إلا يحته ، وانصرف رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة ، وقد استكنتم سعد بن الربيع الخبر . فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من مكة ، خرجت امرأة سعد بن الربيع إليه ، فقالت : ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : مالك ولداك ، لا أم لك ! قالت : كنت أستمع عليكم ، وأخبرت سعدًا خبري ، فاسترح سعد ، وقال : لا أراك تستمعين عبيدًا وأنا أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم : **تكنتم محاجتك !** ثم أخذ يجمع لمتها ^(٢) ، ثم خرج يمدوها حتى أدرك رسول الله صلى الله عليه وآله بالحسر ، وقد بلغت ، فقال : يا رسول الله ، إن امرأتى سألتني عما قلت فكنتها ، فقالت : قد سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جاءت بالحدث كله - فثبتت يا رسول الله أن يظهر من ذلك شيء فظننت أي أفشيت سرّك ، فقال صلى الله عليه وسلم . حلّ سديها . وشاع الخبر بين الناس بمسير قريش . وقدم عمرو بن سالم الحرابي في نفر من حراقة ، ساروا من مكة أربعين يومًا ، فماتوا قريشًا وقد عسكروا بذي طوى ، فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وآله الخبر ، ثم انصرفوا واتموا قريشًا بطن رابع ، وهو أربع لئال من المدينة ، فكنّبوا عن قريش .

قال الواقدي : فلما أصبح أبو سفيان بالأواء أخبر أن عمرو بن سالم وأصحابه راحوا أمس مُحسّنين إلى مكة ، فقال أبو سفيان : أحلف بالله أنهم جاءوا محمدًا فخبروه بمسيرنا وعددنا ^(٣) ، وحذّروه منا ، فهم الآن يلومون صياصيتهم ، فما أرانا نصيب منهم شيئًا في وجهنا . فقال صفوان بن أمية : إن لم يصحروا ^(٤) لنا محمدًا إلى محل الأوس والخرج قطعناه ،

(٢) أكلتها

(٤) أصحروا : خرجوا إلى الصحراء ؛ وهو الفناء

(١) الواقدي : « وقد أرجفت » ،

(٣) الواقدي : « فأخبروه سعدًا »

فتركناهم ولا أموال لهم ، فلا يحترقوها أبداً ، وإن أصبحوا لما فعددنا ، أكثر من عددهم ، وسلاحنا أكثر من سلاحهم ، ولنا خيل ولا حيل معهم ، ونحن نقاتل على وتر عندهم ولا وتر لهم عندنا .

قال الواقدي : وكان أبو عامر الأسدي قد خرج في خيـن رجلا من الأوس ، حتى قدم بهم مكة حين قدم النبي صلى الله عليه وآله بمحرمها ويعلمها أنها على الحق ، وماحاهه محمد باطل ، فسارت قريش إلى بدر ، ولم يسر معها ، فصا حرجت قريش إلى أحد سار معها ، وكان يقول لقريش : إني لو قدمت على قومي لم يختلف عليكم منهم اثنان ، وهؤلاء معي غيرهم خمسون رجلا . فصدقوه بما قال ، وطيعوا في نصره .

قال الواقدي : وخرج النساء معهن الذخوف بمحرم الرجال ويدكرتهم قتلى بدر في كل منزل ، وجعلت قريش تدر كل منزل ، ينحرون ما منحروا من الجرار مما كانوا جمعوا من العين ، ويتقوون به في مسيرهم ، وناكلون من أروادهم مما جمعوا من الأموال .

قال الواقدي : وكانت قريش لما مرت بالأبواء ، قالت : إنكم قد خرجتم بالطعن معكم ونحن نخاف على نساءنا فتعالوا ننش قبر أم محمد ، فإن النساء عورة ، فإن يصب من نساءكم أحداً قاتم هذه رمة أمك ، فإن كان برأ أمه - كما يزعم - فلعمري لنعاديهم رمة أمه ، وإن لم يظفر بأحد من نساءكم فلعمري ليعدين رمة أمه بما كان كثير إن كان بها برأ . فاستشار أبو سفيان بن حرب أهل الرأي من قريش في ذلك ، فقالوا : لا تدكر من هذا شيئا ، فلو فعلنا بهشت بنو بكر وحراة موتنا .

قال الواقدي : وكانت قريش بذى الحليفة يوم الخميس صبيحة عشرين من محرمهم من مكة : وذلك لخمس ليال مصين من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهرا من الهجرة ، فلما

أصبحوا بذى الخليفة خرج فرسان منهم فأنزلوهم الوطاء^(١) ، وبث النبي صلى الله عليه وآله عينين له . آسا ومؤسا انى فصالة ليلة الخميس ، فاعتصموا لقريش بالعقيق ، فسارا معهم ، حتى نزلوا الوطاء ، وأنيا رسول الله صلى الله عليه وآله فأحرأه ، وكان المسلمون قد ارددعوا العريض^(٢) . والارض ما بين الوطاء بأحد إلى الجرف إلى العريضة ، عريضة البقل اليوم ، وكان أهله بنو سلمة وحارثة وطلحة وعبد الأشهل ، وكانت الماء يومئذ بالحرف نشطة لا يرم سائق الناضح محلسا واحدا يفتل الجمل في ساعته ، حتى ذهب بيماءه عيون العامة التي حفرها معاوية بن أبى سفيان^(٣) ، وكان المسلمون قد أدموا آلة زرعهم ليلة الخميس المدينة ، فقدم المشركون على ردهم فخلوا فيه إبلهم وحيولهم ، وكان لأسيد بن حضير في العريضة عشرون باصحا تسقى شعيرا ، وكان المسلمون قد حذروا على جهلم وعمسلم وآلة حرثهم ، وكان المشركون يرقون يوم الخميس ، فلما استأوا جمع الإبل وقصلوا عيها التفصيل ، وقصلوا على حيولهم ليلة الجمعة ، فلما أصبحوا يوم الجمعة حثوا طهرهم في الزرع وحيولهم ، حتى تركوا العريض ليس به خصراء .

قال الواقدي : فلما نزلوا وخلوا العقد ، واطمأنوا بث رسول الله صلى الله عليه وآله الخدب من المذر بن الجوح إلى القوم ، فدخل فيهم وحرر ونظر إلى جميع ما يريد ، وكان قد نعه سرا ، وقال له : إذا رجعت فلا تحذرني بين أحذمن المسلمين إلا أن ترى في القوم قلة ، فرجع إليه فأخبره خائيا ، وقال له : رأيت عددا حزرتهم ثلاثة آلاف يزيدون قليلا أو ينقصون قليلا ، والحيل مائتي فرس ، ورأيت دروعا ظاهرة حرثها سبعمائة درع . قال : هل رأيت غلما ؟ قال : نعم رأيت النساء معهن الدفاف والأكبار - وهى الطبول - فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : أردن أن يحترضن القوم ويذكرنهم قتلى بدر ، هكذا

(١) الوطاء : ما يحصن من الأرس (٢) العريضة : الوادى .

(٣) كذا وردت العبارة في الأصول وفي الواقدي وبها عموم .

جاءني حبرم لا تذكر من شأنهم حرفاً ، حسنت الله ونعم الوكيل ! اللهم بك أحول ،
وبك أصول !

قال الواقدي : وخرج سبعة بن سلامة بن وفس يوم الجمعة ، حتى إذا كان بأدى العرض
إذا طلّمة خيل المشركين عشرة أراس ركضوا في أثره ، فوقف لهم على نثر^(١) من
الحرّة ، فرشقهم بالسبل مرة ، وبالجماعة أخرى حتى اكثموا عنه ، فلما ولّوا جاء إلى
مزرعته بأدى العرض ، فاستخرج سيقاً كان له ، ودرع حديد كان له ، فلما في
ناحية المزرعة ، وخرج بها يسدّو ، حتى أتى بني عبد الأشهل ، فخرّ قومه
بما لقي .

قال الواقدي : وكان مقدم فريش يوم الخميس طمس حلون من شوال ، وكانت الواقعة
يوم السبت لسبع حلون من شوال ، وكانت وحوه الأوس والخزرج : سعد بن معاذ وأسيد
ابن حُصير ، وسعد بن عباد ، في عدّة منهم ليلة الجمعة ، عليهم السلاح في المسجد بباب
النبي صلى الله عليه وآله خوفاً من تبليت المشركين ، وحُرست المدينة تلك الليلة ، حتى
أصبحوا ، ورأى رسول الله صلى الله عليه وآله رؤيا ليلة الجمعة ، فلما أصبح واجتمع
المسلمون حطهم .

قال الواقدي : حدثني محمد بن صالح ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن
لبيد ، قال : ظهر النبي صلى الله عليه وآله أمير الحيد لله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ،
إني رأيتُ في منامي رؤيا ؛ رأيتُ كأنّي في درع حصينة ، ورأيتُ كأنّ سبي ذالفقار
انقسم^(٢) من عند طيّته ، ورأيتُ بقرا تدبج ، ورأيتُ كأنّي مرديف كدشا ، فقال الناس :
يا رسول الله ، فما أولتها ؟ قال : أما الدرع الحصينة فالمدينة ، فامكثوا فيها ، وأما

(١) ب : « مشرة »

(٢) أ والواقدي : « انقسم » .

انقسام^(١) سيفي عند خَلَّتِهِ فصيبة في نفسي ، وأما البقر المذبح فقتل في أصحابي ؛ وأما أني مردف^(٢) كبشا فكش السكتبة فقتله إن شاء الله .

قال الواقدي : وروى عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « أما انقسام سيفي فقتل رجل من أهل بيتي » .

قال الواقدي : وروى للمور بن تحرمة ، قال : قال النبي صلى الله عليه وآله : ورأيت في سيفي آتلاً فكرهته ، هو الذي أصاب وجهه عليه السلام .

قال الواقدي : وقال النبي صلى الله عليه وسلم . أشيروا علي ، ورأى صلى الله عليه وآله ألا يخرج من المدينة لهذه الرؤيا ، ورسول الله صلى الله عليه وآله يحتم أن يوافق على مثل ما رأى ؛ وعلى ما تروى عليه الرؤيا ، فقام عبد الله بن أبي ؛ فقال : يا رسول الله ، كما نقاتل في الجاهلية في هذه المدينة ، ونحمل النساء والدراري في هذه الصياصي ، ونعمل معهم الحجارة ، والله ربنا مكث الأولاد شهرا سقون الحجارة ، إعداداً لعدونا ، ونشكك المدينة بالبيان فتكون كالخص من كل ناحية ، وترى المرأة والصبي من فوق الصياصي والأطام ، ونقاتل نساءنا في السكك يا رسول الله إن مدينتنا عذراء ما قصت عينا قط ، وما خرجت إلى عدو قط إلا أصاب منها ، وما دخل عليها قط إلا أصدهم ، فدعهم يا رسول الله ، فبهم إن أقدموا أطاموا شر محبس ، وإن رجعوا رجعوا حاسرين معلولين ، لم ينالوا خيراً . يا رسول الله ، أظنني في هذا الأمر ، واعلم أني ورثت هذا الرأي من أكابر قومي وأهل الرأي منهم ، فهم سكاووا أهل الحرب والتجربة .

قال الواقدي : فكان رأي رسول الله صلى الله عليه وآله مع رأي ابن أبي ، وكان ذلك رأي الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من المهاجرين والأنصار

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : امكنوا في المدينة ، واجعلوا النساء والذراري في الآطام ، فإن دُخِلَ علينا قاتلناهم في الأرقعة ، فنحن أعلم بها منهم ، ورُموا من فوق الصياصي والآطام . وكانوا قد شكوا المدينة بأسيا من كل ناحية ، فهي كالحصن . فقال قتيان أحداث لم يشهدوا بئرا ، وطمعوا من رسول الله الخروج إلى عدوهم ، ورعوا في الشهادة ، وأحتوا لقاء العدو ، وقالوا : اخرج بنا إلى عدونا ، وقال رجال من أهل السنة^(١) وأهل السن ، منهم حمزة بن عبد المطلب ، وسعد بن عذرة ، والعم بن مالك بن ثعلبة وغيرهم من الأوس والخزرج : إنا نحشى بإرسال الله ، أن يطلع عدونا أننا كرهنا الخروج إليهم جُشًا عن أقاتهم ، فيكون هذا حراء منهم علينا ، وقد كنت يوم بدر في ثلثمائة رجل ، قطمرك الله بهم ، ونحن اليوم شر كثير ، وكنا نمتي هذا اليوم ، وندعو الله به ، فقد ساقه الله إلينا في ساحتنا هذه . ورسول الله صلى الله عليه وآله لما رأى من إلحاحهم كاره ، وقد لبسوا السلاح يحطرون سيوفهم ، يتساقطون كثيرون الدحول . وقال مالك بن سنان أبو أبي سعيد الخدري : بإرسال الله ، نحن والله بين إحدى الحسين ، إنا بطمركنا الله بهم ، فهذا الذي نريد ، فيذهب الله لنا ، فتكون هذه وقعة مع وقعة بدر ، فلا يبقى منهم إلا لشريد ، والأخرى بإرسال الله يرقنا الله الشهادة ، والله بإرسال الله ، ما سأل أيهما كان ، إن كلاً لعينه الخير . فلم يلبث أن النبي صلى الله عليه وآله رجع إليه قولا ، وسكت وقال حمزة بن عبد المطلب : والذي أرى عليه الكتاب ، لا أطمع اليوم طعاما حتى أجالدهم حتى يخرجوا من المدينة ، وكان يقال : كان حمزة يوم الجمعة صائما ، ويوم السبت ، فلاقام وهو صائم .

وقال العم بن مالك بن ثعلبة أخو بني سالم : بإرسال الله ، أنا أشهد أن البقر للذبيح قتل من أصحابك ، وأنى منهم ، فلم تحرمنا الجنة ؟ هو الله الذي لا إله إلا هو

(١) السنة : النقلة ، وفي : « السنة » .

لأَدْخُلُهَا . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : سَمِ ؟ قَالَ : إِنِّي أَحْبَبْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَلَا أُهْرُكُ يَوْمَ الرَّحْبِ .
فَقَالَ : صَدَقْتَ ، فَاسْتَشْهِدْ يَوْمَئِذٍ .

وَقَالَ أَيَّاسُ بْنُ أَوْسٍ مِ عَتِيكَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَمَّا بَوَّعَ عَبْدُ الْأَشْهَلِ مِنَ الْبَقَرِ الْمَذْبُوحَ ،
تَرَحُّوْا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ نَذْبَحَ فِي الْقَوْمِ ، وَيُدْبَحَ فَيْسَا ، فَمَصِيرٌ إِلَى الْحِجَّةِ ، وَبَصِيرُونَ إِلَى
النَّارِ ، مَعَ أَنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا أَحْبَبُ أَنْ تَرْجِعَ قَرِيشَ إِلَى قَوْمِهَا ، فَتَقُولَ : حَصْرٌ مَا مُحَمَّدٌ
فِي صِيَامِي يَثْرِبَ وَأَطَامِهَا ، فَتَكُونُ هَذِهِ جُرْأَةُ نَفَرِيشَ ، وَقَدْ وَطِنُوا سَعَفَنَا ؛ فَيَدَا لَمْ نَذْبُ
عَنْ عَرَضِنَا ، هَلْ نَذْرِعُ ؟ وَقَدْ كُنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي جَاهَاتِنَا ، وَالْعَرَبُ يَأْتُونَا ، فَلَا يَطْمَعُونَ
مَهْدًا مَّا حَتَّى مَحْرُوحٍ إِلَيْهِمْ بِأَسْيَافِهِمْ فَدَنُّوْا ، فَحَصْرُ الْيَوْمِ أَحَقُّ إِذَا أَمَدَّكَ اللَّهُ مَكَ ،
وَعَرَفْنَا مَصِيرَنَا ، لَا مَحْصَرَ أَنْفُسَنَا فِي الْيَوْمِ .

وَقَامَ خَيْثَمَةُ ، أَبُو سَعْدِ بْنِ خَيْثَمَةَ قَالِي : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ قَرِيشًا مَكَتَتْ حَوْلًا نَجْمُ الْجَمْعِ
وَأَسْتَحْبِبُّ الْعَرَبَ فِي بَوَادِيهَا وَمَنْ اتَّعَمَّ مِنْ أَحَدٍ بَيْتَهَا نَمَّ حَامِدًا قَادِرًا وَالْحَيْلَ ، وَاعْتَلَوْا
الْإِمْلَ حَتَّى نَزَلُوا سَاحَتَنَا ، فَيَحْصِرُونَا فِي بَيْتِنَا وَصِيَا صِيَا ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ وَافِرِينَ لَمْ يَكْلُمُوا ،
فَيَحْرُسُهُمْ ذَلِكَ عَلَيْنَا حَتَّى يَشْتَوْا الْعَارَاتِ عَيْبَ ، وَبَصِيْبُوا أَطْلَالًا وَيَصْعُقُوا الْعِيُونَ وَالْأَرْصَادَ
عَيْنَا ، مَعَ مَا قَدْ صَعِقُوا بِحُرُوتِنَا ، وَيَخْتَرِي عَيْبَ الْعَرَبِ حَوْلَنَا حَتَّى يَطْمَعُوا هَيْبًا إِذَا رَأَوْا لَمْ
يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ ، فَدَنُّهُمْ عَنْ حَرِيمَتِنَا ، وَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَغَامِرَ مَا بِهِمْ ، فَتَكُنْ عَادَةُ اللَّهِ عَمْدًا ، أَوْ تَكُونُ
الْأُخْرَى ، فَهِيَ الشَّهَادَةُ . لَقَدْ أَحْطَيْتَنِي وَقْعَةً نَدْرَ ، وَقَدْ كَتَّ عَلَيْهَا حَرِيصًا ؛ لَقَدْ بَلَغَ مِنْ
حَرِيصِي أَنْ سَاهَمْتُ أَبِي فِي الْخُرُوجِ ، فَخَرَجَ سَهْمُهُ ، فَرُرِقَ الشَّهَادَةُ وَقَدْ كَتَّ حَرِيصًا عَلَى
الشَّهَادَةِ ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَبِي الْبَارِحَةَ فِي النَّوْمِ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ يَسْرَحُ فِي ثَمَارِ الْحِنَةِ وَأَنْهَارِهَا ،
وَهُوَ يَقُولُ الْحَقَّ مَّا تَرَاقَصْنَا فِي الْحِنَةِ ، فَقَدْ وَحَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا ، وَقَدْ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ
اللَّهِ أَصْبَحْتُ مُشْتَاقًا إِلَى مُرَافَقَتِهِ فِي الْحِنَةِ ، وَقَدْ كَثُرَتْ سَتِي ، وَدَقَّ عَظْمِي ، وَأَحْبَبْتُ

ثقاء رقي، فادعُ الله يا رسول الله أن يرزقني الشهادة، ومرافقة سعد في الجنة؛ فدعاه رسول الله بذلك، فقتل بأحد شهيداً.

قال أس بن قتادة: يا رسول الله: هي إحدى الحبش، إما الشهادة وإما العيمة واعطهم بقتلهم. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إني أخافُ عليكم المريمية

فما أبوا إلا الخروج والجهاد، صلى رسول الله يوم الجمعة بالناس، ثم وعظهم، وأمرهم بالخذ والاجتهاد، وأحرمهم أن لهم المشر ما صبروا؛ صرح الناس حيث أعطهم رسول الله صلى الله عليه وآله بالشحوص إلى عدوهم، وكره ذلك المخرج شر كثير من أصحاب رسول الله، وأمرهم بالتهيب لعدوهم، ثم صلى العصر بالناس، وقد حشد الناس وحصر أهل العوالي، ورفعوا النساء إلى الأطلال، فحشرت سو عمرو بن عوف بيدها، والنسيت ولحمها؛ ولمسوا السلاح، فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله بيته، ودخل معه أبو بكر وعمر فعمماه ولنساء وصف [الناس] ^(١) له ما من حجرته إلى منبره " يستطرون " ^(٢) خروجهم، فحاربهم سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير، فقال لهم قتلتم رسول الله ما قتلتم، واستنكرهم ثموه على الخروج، والأمر يقتل عليه من السماء، فردوا الأمر إليه، فأمركم فامضوه، وما رأيتم فيه [له] ^(٣) هوئى أو أدما وطميموه. فب ^(٤) تقوم على ذلك من الأسر، وبعض القوم يقول: القول ما قال سعد، وبعضهم على البصيرة على الشحوص، وبعضهم للخروج كاره؛ إذ خرج رسول الله صلى الله عليه وآله قد لفس لأمتة، وقد لفس الدرع فطهرها، وحرم وسطها بمنطقة من حمائل سيف من آدم كانت بعد عبد آل أنى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعتيم، وتقتد السيف. وما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله بدموا جميعا

(٢) كذا في الواقدي، وفيه " يستطرون "

(١) من الواقدي

(٣) ١ : " منها " ، وهي رواية الواقدي

على ما صنعوا ، وقال الدين يدعون على رسول الله صلى عليه وآله : ما كان لنا أن نحالفك ، فاصنع ما بدا لك ، وما كان لنا أن نستكرهك والأمر إلى الله ثم إليك ، فقال : قد دعوتكم إلى هذا الحديث فبينتم ، ولا يسمى لبي إذا لئس لأمته أن يصعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه . قال : وكانت الأنبياء قسمة إذا لئس النبي لأمته ، يصعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه . ثم قال لهم : انظروا ما أمرتكم به فاتبعوه ، امضوا على اسم الله : فلكم المصير ما صبرتم .

قلت . فمن تأمل أحوال المسلمين في هذه العرابة ، من قتلهم وحرقهم واحتلالهم في الخروج من المدينة والنعم بها ، وكراهة النبي صلى الله عليه وآله للخروج ، ثم حروجه على مصص ، ثم دم القوم الذين أشاروا بالخروج ، ثم انحلال طائفة كثيرة من الحبش عن الحرب ، ورجوعهم إلى المدينة ، علم أنه لا انتصار لهم على العدو أصلاً ، فإن المصير معروف بالمرم والخذ والبصيرة في الحرب ، واتفاق الكلمة ومن تأمل بصا هذه الأحوال ، علم أنها صد لأحوال التي كانت في عرابة بدر ، وأن أحوال قريش لم تحرجت إلى دركات مماثلة لأحوال المسلمين لما خرجوا إلى أحد ؛ ولذلك كانت الفثرة في بدر على قريش .

قال الواقدي : وكان مالك بن عمرو سقري مات يوم الجمعة ، وقد دخل رسول الله صلى الله عليه وآله فليس لأمته وخرج وهو موصوع عند موضع الحمار صلى^(١) عليه ، ثم دعا بدائنه ، فركب إلى أحد .

قال الواقدي : وجاء حميل بن شريقة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوجه إلى أحد ، فقال : يا رسول الله ، قيل لي . بث ثقل عدا . وهو يفسس مكرونا . فصرب النبي صلى الله عليه وآله بيده إلى صدره ، وقال : أليس الدهر كله عدداً ! قال : ثم دعا بثلاثة أرماح ، فعقد ثلاثة ألوية ، فدفع لواء الأوس إلى أسيد بن حصير ، ودفع لواء الخرج إلى الحباب بن المذخر بن الحنموح . ويقال إلى سعد بن عاذة . ودفع لواء المهاجرين

(١) ب : صلى ، والصواب ما أنبه من الواقدي .

إلى علي بن أبي طالب عليه السلام - ويقال إلى مصعب بن عمير - ثم دعا فرسه، فركبه؛
وتقعد القوس وأخذ بيده قنابة - رجّ الرمح يومئذ من شتر - والمهرون متنبسون السلاح،
قد أظهِروا الدروع، فهم مائة دارع؛ فلما ركب صلى الله عليه وآله خرج القعدان أمامه
يعدّوان: سعد بن معاذ وسعد بن عباد؛ كل واحد منهما دارع، والناس عن يمينه وشماله
حتى سلك على الدائع، ثم رفاق الحنّى، حتى أتى الشّيعين - وهما أطمأنّ كأنا في الجاهلية
فيهما شيخ أعمى وعمور عمه يتحدّثان، فسمّى لأطمن الشّيعين - فلما انتهى إلى رأس
الشيّة، لعت فطر إلى كتيبة حشاء لها رحل^(١) حنّ، فقال: ما هذه؟ قال: هذه حلفاء^(٢)
من أئمة من اليهود، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تفتبر بأهل الشرك على
أهل الشرك. ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله وعرض عسكره بالشّيعين، فمرّ من
عليه علهان، منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب، وزيد بن ثابت، وأسامة بن زيد، والنعمان
بن بشير، وزيد بن أرقم، والبراء بن عازب، وأسيد بن طهير، وعروة بن أوس،
وأوسعيد الحدرى، وسمرة بن حبيب، ورافع بن خديج.

قال الواقدي: فرّدهم رسول الله صلى الله عليه وآله، قال رافع بن خديج: فقال
ظهير بن رافع: يا رسول الله، إنه رام بعينى. قال: وحملت أنطاول، وعلى خمان لى،
فأحارنى رسول الله صلى الله عليه وآله، فمت حدرى فان سمرة بن جندب لمرى بن سنان
الحارنى - وهو روح أمه: يا أمية، أحار رسول الله صلى الله عليه وآله رافع بن خديج، وردنى
وأما أصرع رافعا! فقال مرّى: يا رسول الله، رددت أبى، وأجرت رافع بن خديج
وأبى يصرعه! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: تصارعا، فصرع سمرة رافعا، فأحاره
رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال الواقدي: وأقبل أس' أبى، فمرّ ناحية المسكر، فحمل حلفاؤه ومن معه^(٣) من
النافقين يقولون لاس أئمة: أشرت عليه بالرّى، وصحّته وأحبرته أنت هذا رأى من

(١) الرحل، بحركة. رجع الصوت والخلة (٢) ما - و حلفاء . . .

(٣) كذا في الواقدي و . . . ربه .

معه من آبائك ، وكان ذلك رأيه مع رأيك ؛ فإني أن يقبله ، وأطاع هؤلاء العلماء الذين معه . قال : فصادفوا من ابن أبي نفاقة وغشاً ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله بالشَّيْخَيْن ، وابت ابنُ أبي نفاقة ، وفتح رسول الله صلى الله عليه وآله من عَرْض مَنْ عَرَضَ ، وعاتت الشمس ، فأذن بلال بن رباح ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأله ما أصحاه ، ثم أذن بالعشاء ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأله ما أصحاه ، ورسول الله صلى الله عليه وآله نازل في بني النخار ، واستمع على الحرس محمد بن مسلمة في حين رحلوا يُطِيفُونَ بِالْمَكْرِ ، حتى أَدْلَحَ^(١) رسولُ الله صلى الله عليه وآله ، وكان المشركون قد رأوا رسول الله صلى الله عليه وآله حيث أَدْلَحَ ، ورأى الشَّيْخَيْن ، فحموا حينهم وطهرهم ، واستعملوا على خراسهم عِكرمة بن أبي جهل في حيل من المشركين ، وابت صاحبة حياهم لا تهدأ ، تدعو طلائعهم ؛ حتى ناصق بالحرّة ، فلا تصدقها حتى ترجع حيلهم ، ويهاون موضع الحرّة ، ومحمد بن مسلمة .

قال الواقدي : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله قال حين صلى العشاء : مَنْ يحطما الليلة ؟ فقال رجل : أنا يا رسول الله فقال : مَنْ أمت ؟ قال : ذكوان بن عبد القيس ، فقال : اجلس ، ثم قال ثانية : مَنْ رجلٌ يحطما الليلة ؟ فقال رجل ، فقال : مَنْ أمت ؟ قال : أبو سجع ، قال : اجلس ، ثم قال ثالثة مثل ذلك ، فقال رجل ، فقال : مَنْ أمت ؟ فقال : أنا ابن عبد قيس ؛ فكث رسول الله صلى الله عليه وآله ساعة ، ثم قال : قوموا ثلاثكم ، فقال ذكوان بن عبد قيس ، فقال رسول الله : وابن صاحبك ؟ فقال ذكوان : أنا الذي كنت أحييك الليلة ؟ قال : فذهب حصص الله .

قلت : قد تقدّم هذا الحديث مدانه في عمدة بدر ، وظاهر الحال أنه مكرر ،

(١) الإدلاج : السبر في آخر الليل .

وأنه إنما كان في عرأة واحدة ، ويجوز أن يكون قد وقع في امرأتين ، ولكن على بعد .
قال الواقدي : فبئس دكان دِرْعه ، وشحد دَرَقته ، فكان يطوف على العكر
تلك الليلة ، ويقال : كان يحرم رسول الله صلى الله عليه وآله لم يعارقه .

قال : وبأن رسول الله صلى الله عليه وآله حتى ادخل ، فما كان في السحر ، قال
رسول الله : أين الأدلاء ؟ من رجل يدسأ على لطريق ، ويحرضنا على القوم من
كثب ؟ فقال أبو خثيمة الخارثي ، فقال : أنا يا رسول الله ، ويقال : أوس بن قيطي
ويقال : محبصة .

قال الواقدي : وأنت ذلك عندما أبو خثيمة ، فخرج برسول الله صلى الله عليه وآله ،
وركب فرسه ، فمسلك به في بني جارثة ، ثم أخذ في الأمور حتى مرَّ بحائط مِرْسَع بن قيطي ؛
وكان أعشى النصر مافقا ، فما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله حائطه ، قام يحق
التراب في وجوه المسلمين ، ويقول : إن كنت رسول الله فلا تدخل حائطه ، فلا
أجله لك .

قال محمد بن إسحاق : وقد ذكر أنه أحد حصة من تراب ، وقال : والله لو أعلم أني
لأصيب غيرة يا محمد لصربت بها وجهك^(١) .

قال الواقدي : وصر به سعد بن زيد الأشهلي بقوس في يده فشجّه في رأسه ، فبرل
الدم ، ومصب له بعض بني حارثة ممن هو على مثل رأيه ، فقال :^(٢) هي على عداوتكم
يأبني عند الأشهل ، لاتدعوها أبدأ لها^(٣) فقال أسيد بن حصير : لا والله ، ولكن عاقكم ،
والله لو لا آتي لا أدري ما يوافق النبي صلى الله عليه وآله لصربت عنقه وعنق من هو على
مثل رأيه .

قال : وسهام النبي صلى الله عليه وآله عن الكلام فأسكتوا .

(١) سورة ابن هشام ٣ : ٩ .

(٢ - ٢) الواقدي : هي عد وثكم يا بني عد دشمن لاتدعوها أبدأ .

وقال محمد بن إسحاق : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : دعوه ، فإنه أعمى البصر ، أعمى القلب . يعنى مِرْنَع بن قِيظي^(١) .

قال الواقدي : ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فبينا هو في مسيره إذ دنا فرس أبي ردة بن زياد بدبه فأصاب كلاب سيفه ، فسل سيفه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا صاحب السيف ، شيم^(٢) سيفك ، فإن أحل السيوف مثل اليوم فيكك^(٣) سلفها قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يحث الناس ، ويكره الطيرة ، قال : وليس رسول الله صلى الله عليه وآله من الشيعة درعا واحدة ، حتى انتهى إلى أحد ، فلبس درعا أخرى ، ومغفرا ، وسبعة فوق المعمر ، فلما نهض رسول الله صلى الله عليه وآله من الشيعة ، وحف المشركون على نعيه حتى انتهى إلى موضع أرض ابن عامر اليوم ، فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وآله إلى موضع العطرة اليوم جاءه ، وقد حانت الصلاة ، وهو يرى المشركين ، أمر بالآذان ، وأقام وصلى برفاقه الصوفاء ، وأجمل عبد الله من أنى من ذلك المكان في كتبتة ، كأنه هتق^(٤) ، فأتهمهم عبد الله بن عمرو بن حرام ، فقال : أدرككم الله وديسكم وبيسكم ، وما شرطتم له أن يعموه مما تمنعون منه أنكم وأولادكم وساءكم ! فقال ابن أبي . ما أرى أنه يكون بينهم قتال ، وإن أطلعتي يابها جار لترحمي ، فإن أهل الرأي واجحتي قد رجعوا ، ونحن ناصروه في مدينتنا ، وقد خافنا ، وأشرت عليه بالرأي فأتى إلا طراعية العلمان . فلما أبى على عبد الله بن عمرو أن يرجع ، ودخل هو وأصحابه أرفة للندسة ، قال لهم أبو حابر . أنعمكم الله ! إن الله سيغفر النبي والمؤمنين عن نصركم . فأنصرف ابن أبي ، وهو يقول : أبيضيني وبطيح الولدان ! وأنصرف عبد الله بن عمرو يمدو حتى لحق رسول الله وهو بسوى الصوف ، فلما أصيب أصحاب

(٢) شيم سيفك ، أى اعمده .

(١) سيرة ابن هشام ٣ : ٩

(٣) الملقب : ذكر النعام .

رسول الله صلى الله عليه وآله سُورَ ابْنُ أَبِي ، وَطَهَرَ الشَّامَةَ ، وَقَالَ : عَصَانِي وَأَطَاعَ مَنْ لَا رَأْيَ لَهُ !

قال الواقدي : وحمل رسول الله صلى الله عليه وآله بصف صحابه ، وحمل الزمارة حمسين رجلا على عيين ، عبيهم عبد الله بن حنبل ، ويقال ، سعد بن أبي وقاص - والنسب أنه عبد الله بن حنبل - قال : وحمل أحداً حنبل طهره ، واستقبل المدينة ، وحمل عيين عن يساره ، وأقبل المشركون ، واستدروا المدينة في وادي ، واستقبلوا أحداً ، ويقال : حمل عيين خنبل طهره ، واستدروا الشمس ، واستقبلوا المشركون .

دل : والقول الأول أثبت عدداً ، أن أحداً كان حنبل طهره ، وهو عبد الله - السلام - استقبل المدينة .

قال : وسهى أن يقال أحد حتى يأمرهم ، افتت ، فقال عمره من يريد من لشكس : أتى أمير على رزع بن قتله وأما ، صارباً وأقبل مشركون قد صفوا صفوفهم ، واستعملوا على الميمنة خالد بن الوليد ، وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل ، ولهم بمحنتان ، مائة وس ، وحملوا على الحبل صفوان بن أمية - ويقال عمرو بن العاص - وعلى الزمارة عبد الله بن أبي ربيعة ، وكانوا مائة ام ، ودفعوا اللواء إلى ضجة بن أبي طلحة - واسم أبي ضجة عبد الله^(١) ابن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي - وصاح أبو سفيان يومئذ يابى عبد الدار : نحن نعرف أنكم أحق باللواء منا ، وأنت أنت أئيب يوم بدر من اللواء ، وإمّا يؤتى القوم من قبل لوأنهم ، فالرموا بكم ، وحافظوا عليه ، وحملوا يساراً وبه ، فإباً قوم مستميتون موتورون ، نطلب ذراً حديث العهد . وحمل يقول : إذا رالت الألوة ، فما قوام الناس ويقاؤهم بعدد لها ! فضئت سو عبد الدار ، وقالوا : نحن نسلم لوهانا ! لا كان هذا أبداً ! وأما المحافظة^(٢) عليه فستري . ثم أسدوا الزمارة ، وأحدثت به بنو عبد الدار ،

(١) في الواقدي : عبد العزى بن عثمان .

(٢) في الواقدي : « فأما المحافظة عليه » .

وأغلظوا لأبي سميان بعض الإغلاظ . فقال أبو سفيان : ففعل لواء آخر ؟ قالوا : نعم ، ولا يحمله إلا رجل من بني عبد الدار ، لا كل عمر ذلك أبدا !

قال الواقدي : وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يمشي على رجليه ، يسوي تلك الصفوف ، ويهوي أصحابه مقاعد القتال ، يقول : تقدم يا فلان ، وتأخر يا فلان ، حتى إنه يرى منك الرجل حارحا فيؤخره ، وهو يقوّمهم ، كأنما يقوم القِداح ، حتى إذا استوت الصفوف ، سأل : مَنْ يحمل لواء المشركين ؟ قيل : عبد الدار ، قال : نحن أحق بالوفاء منهم ، أين مصعب بن عمير ؟ قال : ها أبدا ! قال : حذ اللواء ، فأحذه مصعب فتقدم به بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله .

قال البلاذري : أحذه من علي عليه السلام ، فدفعه إلى مصعب بن عمر ، لأنه من بني عبد الدار (١) .

قال الواقدي : ثم قام عليه السلام ، فخطب الناس ، فقال صلى الله عليه وسلم : أيها الناس ، أوصيكم بما أوصاني به الله في كتابه من العمل بطاعته ، والتماسي عن معارضة ، ثم إنكم اليوم بمحل أجر ودخول من ذكر نبي عليه ، ثم وطن حصه على الصبر واليقين والحذّ والنشاط ، فإن جهاد العدو شديد كربه ، قليل من يصبر عليه ، إلا من عزم له على رشد . إن الله مع من أطاعه ، وإن الشيطان مع من عصاه ، فاستمعوا أفعالكم بالصبر على الجهاد ، واتمسوا بذلك ما وعدكم الله ، وعليكم بالندي أمركم به ، فإن حريص على رشدكم . إن الاختلاف والتنازع والتشيط من أمر العثر والصنف ، وهو مما لا يحبه الله ولا يعطى عليه النصر والطفر . أيها الناس إنه قد في قلبي أن من كان على حرام فرغب عنه ابتغاء ما عند الله عمر الله له ذنبه ، ومن صلى على محمد (صلى الله عليه وسلم) وملائكته

(١) أسباب الأشراف ١ : ٣١٧ .

(٢) أ ، والواقدي : « ومن صلى على » .

عشرا ، وَمَنْ أَحْسَنُ؟ من مسلم أو كافر وقع أجره على الله في عاجل دينه أو في آجل آخرته ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَعَلَيْهِ الْجُمُعَةُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، يَلْبَسُ صَبِيحًا أَوْ امْرَأَةً أَوْ مَرِيضًا أَوْ عَبْدًا مَمْلُوكًا ، وَمَنْ اسْتَعَىٰ عَلَيْهَا اسْتَعَىٰ اللَّهُ عَنْهُ ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَأْتِمِرٌ مِنْ عَمَلِ بَقَوَاتِكُمْ إِلَى اللَّهِ إِلَّا وَقَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ ، وَلَا أَعْلَمُ مِنْ عَمَلٍ يَفْرُبُكُمْ إِلَى النَّارِ إِلَّا وَقَدْ مَهَيْتُكُمْ عَنْهُ ، وَإِنَّهُ قَدْ نَفَثَ الرُّوحَ الْأَمِيرُ فِي رُوعِي أَنَّهُ مَنْ تَمُوتُ بِمَنْ حَتَّى تَسُوِيَ أَقْصَىٰ رَدْقِهَا ، لَا يَنْقُصُ مِنْهُ شَيْءٌ وَإِنْ أَطَاعَهَا ، وَتَقَوَّاهُ اللَّهُ رَتَّكُمْ ، وَأَحْبَبُوا فِي طَلَبِ الْكَرْبِ ، وَلَا يَحْمِلُكُمْ اسْتِطَاؤُهُ عَلَىٰ أَنْ تَطْلُبُوا نَعَصِيَّةَ رَبِّكُمْ ، فَإِنَّهُ لَا تُقَدَّرُ عَلَىٰ مَعْسَدِهِ إِلَّا بِطَاعَتِهِ ، قَدْ بَيَّنَّ لَكُمْ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ ، غَيْرَ أَنَّ بَيْنَهُمَا شُتَبًا مِنَ الْأَمْرِ لَا يَعْنِيهَا كَثِيرٌ مِنَ الدِّينِ إِلَّا مَنْ عَصَمَ ، فَمَنْ تَرَكَهَا حَفِظَ غَيْرَ حَرَمِهِ وَدِينِهِ ، وَمَنْ وَفَّعَ فِيهَا كَانَ كَارِئًا عَلَى اللَّهِ حَسَبَ الْحَقِّ أَوْ شَكَّ أَنْ يَقَعَ فِيهِ وَبَعَثَ إِلَيْكُمْ وَلَيْسَ إِلَيْكُمْ إِلَّا وَلَهُ حَقِّي ، إِلَّا وَإِنَّ حَقِّي اللَّهُ بِحَارَمِهِ ، وَالْمُؤْمِنُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ كَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ وَإِنْ أَصَابَكَ بَدَأَتْ لَهُ بِهِ سَائِرُ جَسَدِهِ .
وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ .

قال الواقدي : حدثني ابنُ أبي سَئْرَةَ ، عن جَالِدِ بْنِ رَجَاحٍ ، عن الْمُطَّلِبِ بْنِ هِشَامٍ ، عن أبيه : أَنَّهُ قَالَ : قَالَ أَبُو عَامِرٍ ، طَبَعَ فِي حَسْبِ مَنْ قَوْمِهِ ، مَعَهُ عَيْدُ قُرَيْشٍ فَمَادَى أَبُو عَامِرٍ - وَاسْمُهُ عَبْدُ عَمْرٍو - يَا لَأَوْسٍ : أَيْ أَبُو عَامِرٍ ، قَالُوا : لَا مَرَحَ لَكَ ، وَلَا أَهْلًا ؛ يَا فَاسِقُ ! فَقَالَ : لَقَدْ أَصَابَ قَوْمِي بَعْدِي شَرٌّ . قَالَ : وَمَعَهُ عَيْدُ أَهْلِ مَكَّةَ ، فَنَامُوا بِالْحِجَارَةِ هُمْ وَالْمُسْلِمُونَ ، حَتَّى تَرَاصَعُوا بِهَا سَاعَةً إِلَى أَنْ وَلَّى أَبُو عَامِرٍ وَأَصْحَابُهُ ؛ وَيُقَالُ : إِنْ الْعَبِيدَ لَمْ يَقَاتِلُوا ، وَإِسْلَامُهُمْ أَمْرٌ يَحْمِظُ عِزَّهُمْ .

قال الواقدي : وَجَعَلَ سَاءَ الشَّرِكِينَ قَبْلَ أَنْ يَلْتَقِيَ الْجَمْعُ أَمَامَ صُفُوفِ الشَّرِكِينَ يَصْرَبُونَ بِالْأَكْبَارِ ^(١) وَاللِّدَّافِ وَالْمَرَابِيلِ ^(٢) ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ فَيَكُونُ إِلَى مُؤَخَّرِ الصَّفِّ ؛ حَقٌّ

(١) الْأَكْبَارُ : جَمْعُ كَبَرٍ ، مَفْعُولٌ ، وَهُوَ الْفُلُّ ، مَعْرُوفٌ .

(٢) الْمَرَابِيلُ : جَمْعُ مَرَبَالٍ ، وَهُوَ هَذَا الْكَلِمَةُ .

إذا دنا من المسلمين تأخر النساء ، ففمن حلف الصوف ، وحمل كذا وتجر رجل حرصنه ،
وذكره قتل بدر .

وقال الواقدي : وكان قرمان من المسلمين ، وكان قد تحلف عن أحد ، فلما أصبح
غيره نساء بنى ظفر ، فقلن : يا قرمان ، قد خرج الرجال وبقيت استحي يا قرمان ،
ألا تستحي مما صنعت ! ما أنت إلا امرأة ، خرج قومك وبقيت في الدار ، فأحفظه ،
فدخل بيته ، فأخرج قومه وخمسة وسبعة . وكان يعرف بالشعة - وخرج يعدو ، حتى
انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يسوي صفوف المسلمين ، فلما من حلف
الصف ، حتى انتهى إلى الصف الأول ، فكان فيه ، وكان أول من رمى سهم من
المسلمين ، جعل يرسل سلا كذا الرماح ، وإني ليكت كتبت^(١) الجمل ثم صار إلى السيف ،
فعمل الأفاعيل ، حتى إذا كان آخر ذلك قتل نفسه . وكان رسول الله صلى الله عليه
وآله إذا ذكره قال : من أهل البر ففما اكشف السهم ، كسر حتى سيمه
وحمل يقول : الموت أحسن من الإمراض يا ألاءي ! قاتلوا على الأحساب ، واضموا مثل
ما أصنع . قال : فدخل بالسيف وسط المشركين ، حتى يمان قد دبر ، ثم يطعم فيقول : أما
الغلام الطقري ، حتى قتل منهم سبعة ، وأصابته الحراقة ، وكثرت فيه ، فوقع فرجه
فتادة بن العباس ، فقال له : أما عبيد الله ، قل قرمان . ليك ! قال : هذا لك الإسماء . قال
قرمان . إني والله ما قاتلت يا أما عمرز على دين ، ما كنت إلا على إحباط ، أن تسير قرين
إلى ففتل سيمما ، قال : فدته الحراقة فقتل معه ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : « إن
الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر^(٢) » .

(١) المكتبت : صياح الجمل .

(٢) في ابن هشام ٣ : ٣٧ عن ابن إسحاق : « حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : كان هبار بن
أبي لا يسرى من هو ؟ يقال له قرمان ؟ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا ذكره : « إنه
من أهل النار » ، قال : « فلما كان يوم أحد قاتل قتلاً شديداً ، فقتل وحده ثمانية أو سبعة من
المشركين ، وكان ذا بأس ، فدأبته الحراقة ، فاحتس إلى ذر بن ظفر . قال : حمل رجل من المسلمين
يقولون له : والله لقد ألبس اليوم يا قرمان فأبصر ، قال : « هذا أبصر ! فوافقه إن قاتلت إلا على أحساب
قومي ، ولولا ذلك ما قاتلت ، قال : فلما اشتدت عليه حراسته أحد سيمما من كنانته ، فقتل به فف » .

قال الواقدي : وتقدم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الزمّة ، فقال : احبوا لنا ظهورنا ، فإننا نخاف أن نؤتى من وراءنا ، والزموا مكانكم ، لا تبرحوا معه ، وإن رأيتمونا هزمهم حتى ندخل عسكرهم ، فلا تدركوا مكانكم ؛ وإن رأيتمونا تقتل ؛ فلا تغيّبونا ، ولا تدفعوا عنا . اللهم إني أشهدك عليهم ، ارشقوا^(١) حيلهم بالنبل فإن الحيل لا تقدم على النبل ، وكان لعشركين محبتان : ميمّة عليها خالد بن الوليد ، وميسرة عليها عكرمة بن أبي جهل .

قال الواقدي : وعمل رسول الله صلى الله عليه وآله لنفسه ميمّة وميسرة ، ودفع اللواء الأعظم إلى مصعب بن عمير ، ودفع لواء الأوس بن أسيد بن خضير ، ولواء المخرج إلى سعد بن عباد . وقيل : إلى الحباب بن المذخر . فعملت الزمّة تحمي ظهور المسلمين ، وترشق حيل المشركين بالنبل ، فوأت هاربة ، فان بعض المسلمين^(٢) : والله لقد رمتك سنا يومئذ ، مارأيت سهما واحدا مما يرمى به حيلهم يقع في الأرض ، إنما هي عرس أوى رجل ؛ ودنا القوم بعضهم من بعض ، وقدّموا طلحه من أنى مدحة صاحب لوائهم ، وصعقوا صعوفهم ، وأقاموا النساء حنّ الرجال يصرون بين أكتافهم بالأكدار والدقوف ، وهند وصواحبها يحرصن ويدمرن^(٣) الرجال ، ويدكرن من نصيب مدر ، ويقلن :

نحنُ بنات طارقُ عشي على النارِ
إنْ تُقبِلوا مسابقُ أوْ تَدْرُوا مصارقُ
• فراق غيرة وامق •

قال الواقدي : وبرر طلحة ، فصاح : مَنْ يبارر ؟ فقال علي عليه السلام له : هل لك في مبارزتي ؟ قال : نعم ، فبررا بين الصّمين ورسول الله صلى الله عليه وآله جالس تحت

(١) ارشق الراي - رى وجها ، أى أطلق السهم إلى المكان المواجه له

(٢) يدمرن الرجال . يمحسونهم على القتال

(٣) الواقدي : « الزمّة » .

الرأية ، عليه درعان ومغفر ويصته ، فالتقى ، فبدره على عليه السلام^(١) نصربة على رأسه ، فضى السيف حتى فلق هامته إلى أن انتهى إلى خيته فوق ، وانصرف على عليه السلام ، فقيل له : هلاً دقت^(٢) عليه ! قال : إيه ، صرع استغلى عورته ؛ فطقتى عليه الرحم ؛ وقد علمت أن الله سيقتله ؛ هو كرش الكتبة .

قال الواقدي : وروى أن طلحة حمل على علي عليه السلام ؛ فصر به بالسيف ، فاتفق بالدرة ، فلم يصع شيئاً ، وحمل على عليه السلام وعلى طلحة درع ومغفر ، فصر به بالسيف ، فقطع ساقه ، ثم أراد أن يدق عليه ؛ فأناله طلحة بالرحم الأيمن ؛ ففركه ولم يذق عليه .

قال الواقدي : ويقال : إن علياً عليه السلام دق عليه ؛ ويقال : إن بعض المسلمين مرّ به في المعركة فدق عليه . قال : فلما قتل طلحة سرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وأكثر تكبيراً عالياً وأكثر المسلمون ؛ ثم شدّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله على كتائب المشركين ؛ فحملوا يصربون وجوههم ، حتى انتقصت صفوفهم ، ولم يقتل إلا طلحة ابن أبي طلحة وحده .

قال الواقدي : ثم حمل لواء المشركين بعد طلحة أخوه عثمان بن أبي طلحة ، وهو أوشية ، فارتجز وقال :

إِنَّ عَلِيَّ رِبَّ السَّوَاءِ حَقًّا أَنْ تُحْصَبَ الصَّعْدَةُ أَوْ تَدَقًّا

فتقدّم باللواء والسوة خلفه ، يخرّصن ويصرن بالدحوف ، فحمل عليه حمزة بن عبد المطلب رحمه الله ، فصر به بالسيف على كاهله ، فقطع يده وكتفه ، حتى انتهى إلى

(١) ب : « بدره » تحريف ، والصواب ما في أ ، والواقدي .

(٢) دقت عليه : أجهز

مؤتزره بهذا سحره^(١) ، ورجع ، فقال . أنا ابن ساقى الحبيج ؛ ثم حمل اللواء أحوها
أبو سعد بن أبي طلحة ، فرماه سعد بن أبي وقاص فأصاب حنجرته . وكان دراعا ، وعليه
معفر لا زهر ف عليه^(٢) ، وعلى رأسه بيصته فادلع لسانه^(٣) إدلاء الكلب .

قال الواقدي : وقد روى أن أبا سعد ما حمل اللواء ، قام النساء خلفه يقين :

صرباً بنى عند الدار صرباً حبة الأذبار

• ضرباً بكل بئاز *

قال سعد بن أبي وقاص : فأجمل عيه فاقطع يده اليمنى ، فأخذ اللواء باليد اليسرى ،
فأصره على يده اليسرى ؛ فقطعتها ، فأخذ اللواء بذرعيه جميعاً وصمته إلى صدره ، وحي
عنه ظهره . قال سعد : فأدجل سية نفوس بين الدرع والمعبر ، فاقطع^(٤) المعبر ، فأرمى به
وراء ظهره ، ثم صرته حتى قتله ، وأحدث أسننه درعه ، فبهض إلى سبيع بن سعد
عوف وفرمه فمغوى ، سله وكان سله أحمود سلب رجل من المشركين : درع
مصاصة ، ومعفر وسيف حديد ، ولكن حين يبى ويه .

قال الواقدي : وهذا أنشأت القواين .

قتل : شتان بين علي وسعد لهذا بمحاش على السلب ويتشك من فواته ، وذلك
بقتل عمرو بن عبد ود يوم الخندق ، وهو فارس قریش وصنديدها ومبارره ، فيعرض عن
سله ، فيقال له : كيف تركت سله وهو أفس سب ؟ فيقول : كرهت أن أرا السي
ثيابه ، فكان حبيباً عنه نقوله :

(٢) الواقدي : • • • •

(٤) الواقدي : • • • •

(١) السحر ما - الرئة

(٣) أدلع لسانه - أخرجه .

إِنَّ الْأَسْوَدَ أَسْوَدُ الْغَابِ هَمَّتْهَا يَوْمَ الْكَرِيهَةِ فِي الْمَلُوبِ لَا السَّلْبِ^(١)

قال الواقدي : ثم حمل اللواء المشركين بعد أي سعد بن أبي طحعة مسافع بن أبي طحعة ، فرماه عاصم بن ثابت بن أبي الأتبع فقتله ، فحمل إلى أمه سلافة بنت سعد بن الشهيد ، وهي مع النساء بأحد ، فقلبت من أوصالك ؟ قال : لا أدري ، سمعته يقول : خذها وأنا ابن الأتبع ، فقلت : أفتحي والله ! أي هو من رهطي - وكانت من الأوس .

قال الواقدي : وروى أن عاصمًا رماه ، قال له : خذها وأنا ابن كسرة ، وكانوا يقال لهم في الحاهية - سوكر الذهب ، فقال لأمه : لا أدري ، إلا أني سمعته يقول : خذها وأنا ابن كسرة ، فقالت سلافة أوسى والله اكسرى ، أي أمه ما هيومئذ بدرت سلافة أن تشرب في فخف رأس عاصم بن ثابت فمسي ، وحميت لمن جاءها به مائه من الإبل .

قلت : ولما قتله المشركون في يوم الرحيم أروا أن يأخذوا رأسه ، فيهدمونه إلى سلافة فحمته الدبر^(٢) يومه ذلك ، فمما جاء الليل فطموا أن لا تدبر لا تحميه ليلا ، جاء الوادي سبيل عظيم ، فذهب رأسه وبذبه . اتفق المؤرخون على ذلك .

قال الواقدي : ثم حمل اللواء سعد الحارث أخوه كلاب بن طحعة بن أبي طحعة ، فقتله الزبير بن العوام ، ثم حمله أخوه العباس بن طحعة بن أبي طحعة ، فقتله طلحة بن عبيد الله ، ثم حمله أوطاة بن عبد شريك ، فقتله علي بن أبي طالب عنه السلام ، ثم حمله شرحبيل بن

(١) ديوانه ١ : ٢١ ، وروايته • ابن الأسود • أسود عيني •

(٢) الدبر : جماعة النحل والنمل

قاط^(١) ، فقتل لا يُدري مَنْ قُتِلَ ، ثُمَّ حَمَّ صُوبَ ، عَلَامَ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ ، فَاحْتَلَفَ
 فِي قَاتِلِهِ فَقِيلَ : قَتَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَقِيلَ : سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ ،
 وَقِيلَ : قُرْمَانٌ ، وَهُوَ أَثْبَتُ الْأَقْوَالِ .

قال الواقدي : انتهى قُرْمَانٌ إِلَى صُوبِ ، فَحُمِلَ عَلَيْهِ ، فَقَطَعَ يَدَهُ الْيُمَى ، فَاحْتَمَلَ
 اللُّوَاءَ الْبَيْسَرَى فَقَطَعَ الْبَيْسَرَى ، فَاحْتَصَنَ اللُّوَاءَ بِذَارِعِيهِ وَتَعَصَّدِيهِ ، وَحَقَّى عَلَيْهِ طَهْرَهُ ، وَقَالَ :
 يَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ ، هَلْ اعْتَدَرْتُمْ ؟ فَحُمِلَ عَلَيْهِ قُرْمَانٌ فَفَتَلَهُ .

قال الواقدي : وقالوا : مَا طَعَّرَ اللَّهُ نَعْلِي سِيَةً فِي مَوْطِنٍ قَطَعَ مَا طَعَّرَهُ وَأَصْحَابَهُ يَوْمَ
 أُحُدٍ ، حَتَّى عَصَا الرُّسُولَ ، وَسَارِعُوا فِي الْأَمْرِ ، فَقَتَلَ أَسْحَابَ اللُّوَاءِ وَاجْتَشَفَ
 الْمُشْرِكُونَ مِنْهُمْ لَا يَلُوبُونَ ، وَسَاؤُهُمْ يَدْعُونَ بِالْوَيْلِ بِحَدِّ صَرْبِ الدَّافِيقِ وَالْعَرِجِ .

قال الواقدي : وقد روى كثير من الصحابة مَنْ شَهِدَ أُحُدًا ، قَالَ كُلٌّ وَاحِدٌ مِنْهُمْ :
 وَاللَّهِ إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى هَذِهِ صَوَاحِبِهَا مَنْهَرَمَاتٍ ، مَا دُونَ أَحَدٍ مِنْ شَيْءٍ لَمْ يَأْرَادَهُ ؛ وَلَكِنْ
 لَا مَرَدَّ لِقِصَاصِ اللَّهِ . قَالُوا : وَكَانَ حَالِدُ بْنُ لُؤَيٍّ كَلَّمَائِي مَنْ قَتَلَ مَيْسِرَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَآلِهِ لِيَحْزُونَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ مِنْ قَبْلِ السَّمْعِ ؛ تَرَدَّدَ الرِّمَاءُ حَتَّى فَعَلَ وَفَعَلُوا ذَلِكَ
 مَرَارًا ، وَلَكِنْ الْمُسْلِمِينَ أَتَوْا مِنْ قَبْلِ الرِّمَاءِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَوْعَرَ إِلَيْهِمْ
 فَقَالَ : قَوْمُوا عَلَى مِصَافِكُمْ هَذِهِ فَاحْبُوا ظُهُورَنَا ، فَإِنْ رَأَيْتُمُوهُمْ فَدَعْهُمْ فَلَا تَشْرِكُوهُمْ ،
 وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُمْ يُقَاتِلُونَ فَلَا تَنْصُرُوهُمْ . فَلَمَّا اسْهَرَمَ لِلْمُشْرِكُونَ ، وَتَبِعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ بِصُحُوفِ
 السَّلَاحِ فِيهِمْ حَيْثُ شَاءُوا حَتَّى أَحْزَمُوهُمْ عَنْ نَحْسِكُمْ ، وَوَقَعُوا بِتَهْبِيبِهِ . قَالَ بَعْضُ الرِّمَاءِ
 لِبَعْضٍ : لَمْ تَقِيمُوا هَاهُنَا فِي عَيْرِ شَيْءٍ ؛ قَدْ هَرَمَ اللَّهُ أَعْدَاؤَكُمْ ؛ وَهَؤُلَاءِ إِخْوَانُكُمْ يَنْتَهَبُونَ
 عَنْكُمْ ، فَادْخُلُوا عَسْكَرَ الْمُرَكَّبِينَ ، فَاعْمُوا مَعَ إِخْوَانِكُمْ ، فَهَلْ نَعَصَهُمْ : أَلَمْ تَعْمُوا
 أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَكُمْ : « إِخْوَانُكُمْ ظُهُورَنَا ، وَإِنْ عَصَا فَلَا تَشْرِكُونَا » ،

فقال الآخرون : لم يُرِدْ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هذا ، وقد أذن الله للمشركين وهمهم ، فدخلوا العسكر ، فانتهبوا مع حوكمهم . فلما احتلوا حطيمهم أميرهم عبد الله ابن حنبل ، وكان يومئذ معاً ثياب بيض ، شجده الله وأمرهم بطاعة رسوله ، وألا يخالف أمره ، فعضوه ، وأطلقوا فلم يبقَ معه إلا عُيُوبُ ما سلحوا العشرة ، منهم الخارث بن أنس ابن رافع ، يقول : يا قوم ، اذكروا عهد ستركُم إليكم ، وأطيعوا أميركم فقتلوا ، ودهسوا إلى عسكر المشركين ينهبون وحتو ختل^(١) ، واشتغبت صفوف المشركين ؛ واستدارت رحالهم ، ودارت^(٢) الریح - وكانت إلى أن انتفض صفهم صفاً ، وصارت دُوراً - فطر خالد بن الوليد إلى حلاء حسن والله أهله ، فسكر بالخييل ، وسماه عكرمة بالخييل ، فطلقا إلى موضع الرماة ، فحملوا عليهم ؛ فزمام القوم حتى أصيبوا ، ورمى عبد الله ابن حنبل حتى قتلته ، ثم طعن بالرمح حتى اسكر ؛ ثم كسر حصى سببه : فعائل حتى قتل ، وأفلت جُفيل بن سراقة وأبو بُردة بن أبي أوفى أن شاهداً قتل عبد الله ابن حنبل ، وكان آخر من انصرف من الحين ، ففتحنا باسمين

قال الواقدي . فزوى رافع بن حجاج . قال ما قتل خالد برماة أقبل بالخييل وعكرمة ابن أبي جهل بنده ، فحاطوا وقد انتفضت صفوفها ، وندى إليهم - ونصوري في صورة جُفيل بن سراقة : إن محمداً قد قُتل ثلاث حركات ، فانتبهي يومئذ جُفيل بن سراقة ببلية عظيمة حين تصور إبليس في صورته ، ورس جُفيل لا ليقابل مع اسمين شدة القتال ، وإنه إلى حسب أي بُردة بن أبي أوفى وحوث بن حنبل قال رافع بن حجاج هو الله ما رأيه دولة كانت أسرع من دولة المشركين عابداً ، وأقبل المسلمون على جُفيل بن سراقة يريدون قتله ، يقولون : هذا الذي صاح أن محمداً قد قُتل ، فشهد له حوث بن حنبل وأبو بُردة ، أنه كان إلى جنبهما حين صاح الصائح ، وأن الصائح غيره .

قال الواقدي : فروى رافع ، قال : أتينا من قتل أضما ، ومعصبة نثينا ، واختلط المسلمون ، وصاروا يقتلون وبصر بعضهم بعضا ، وما يشعرون بما يصنعون من الدّخس والعجل ، وقد جرح يومئذ أسيد بن حصير جرحين ، صر به أحدهما أبو بردة بن ريار ، وما يدرى ، يقول : خذها وأنا العلم الأنصاري ، وكر أبو رعة في حومة القتال : فصرر أما بردة صر تنين ، ما يشعر أنه هو ، يقول : خذها وأنا أبو رعة ، حتى عرفه بعد ، فكان إذا لقيه ، قال : انظر ما صنعت بي ، فيقول أبو رعة : وأنت فقد صررت أسيد بن حصير ولا نشعرا ولكن هذا الجرح في سبيل الله ، قد ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : هو في سبيل الله يا أما برودة ، لك أجره ، حتى كأنك صررت أحد المشركين ، ومن قتل فهو شهيد .

قال الواقدي : وكان الشيعة : حنظلة بن جابر ورعاة بن وقش شيخين كعمرين ، قد رما في الآطام مع النّاء ، فقال أحدهما لصاحبه : لا أبالك ! ما سنق من أمسا ! فوالله ما نحن إلا هامة اليوم أو غد ، وما بقي من أحد قدر ظم^(١) دابة ، فهو أحدا أميا فبحقنا رسول الله صلى الله عليه وآله لعن الله يرقنا الشهادة ! قال : فلحقا رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأما رعاة فقتله المشركون ، وأما حنظلة من حار فالتقت عليه سيوف المسلمين ، وهم لا يعرفونه حين احتلطوا ، ومنه حذيفة يقول : أبي أي حتى قتل ، فقال حذيفة : بعن الله لكم وهو أرحم الراحمين ! ما صرتم ! فرد به عند رسول الله صلى الله عليه وآله خيرا ، وأمر رسول الله بدينه أن تخرج ، ويقال : إن الذي أصابه عتبة بن مسعود ، فتصدق حذيفة ابنه بدمه على المسلمين .

قال الواقدي : وأقبل يومئذ الحباب بن اسد بن الجهم بصيح : يا آل سعة اذهبوا

(١) قال - ما بقي من أحد قدر ظم - دابة : أي لم يبق من عمره إلا اليسير

عُفْقًا^(١) واحداً : لَتَبَيْتُ دَعَايَ اللَّهِ ، لَتَبَيْتُ دَعَايَ اللَّهِ ، فَبَصُرْتُ يَوْمَئِذٍ خُتَارًا مِنْ صُحُفٍ صَرِيحَةٍ فِي رَأْسِهِ مَثْقَلَةٌ وَمَا يَدْرِي ، حَتَّى أَطْهَرُوا لَشَعَارَهُمْ مِنْهُمْ ، ثُمَّ بَايَاصِيحُونَ : أَمِيتُ أَمِيتُ ! فَكَلِمَةً لَمْ يَنْصَرِفْ عَنْ مَعْصٍ .

قال الواقدى : وكان طيس مولى صرا . من أُمِّيَّةٍ مِمَّنْ حَصَرَ أَحَدًا مَعَ امْتِشَاقَيْنِ ، ثُمَّ اسْلَمَ بَعْدَ ، وَحَسَنَ إِسْلَامَهُ ، فَكَانَ يَحْدُثُ ، وَكَانَ كَمَثَلِ مَنْ حَذَفَ فِي الْعَسْكَرِ يَوْمَئِذٍ ، وَلَمْ يَقَاتِلْ مَعَهُمْ عِبْدٌ إِلَّا وَحْشَى وَضُؤَابَ عِلَامَ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ ، فَكَانَ أَبُو سَهِيلٍ صَاحِبَ فِيهِمْ يَنْصَرِفُ فَرَشَ ، حَتَّى^(٢) عَصَاكَ عَلَى مَنَاعِكُمْ بِكُونُوا هُمُ الَّذِينَ يَقُومُونَ عَلَى رَحَابِكُمْ ، فَجَمَعْنَا مَعْصِيَانِي مَعْصٍ ، وَغَنَاتُ لَيْلٍ ، وَاقْتَضَى الْيَوْمَ عَلَى مَعْصِيَانِي ، مَيْمَنَهُ وَمُسْرَهُ وَأَلَسَا الرِّجَالَ الْأَصْبَحَ ، وَكَانَ الْقَوْمُ يَعْصِيهِمْ مِنْ مَعْصٍ ، فَاسْتَوَى سَالِكُهُ ، وَبَارَا أَصْحَابًا مَهْزَمُونَ ، فَدَخَلَ الْمَسْلُوكُونَ الْعَسْكَرَ وَحَسَنَ فِي الرِّجَالِ ، فَجَدُّوا^(٣) بَارَا ، وَكَانَ فِيمَنْ أُسْرِوا ، وَاشْتَبَهُوا بِالْعَسْكَرِ أَقْبَحُ أَتَهَبُ ، حَتَّى بَارَا حُلَا مَعْصِيَانِي . أَسْ مِنْ صَعْوَانِ أُمِّيَّةٍ ؟ فَفَتَتْ : مَا حَلَّ إِلَّا سَفَاةٌ فِي الرِّجَالِ ، فَخَرَجَ يَسُوفِي حَتَّى أَجْرَحَهُ مِنْ الْعَبِيَّةِ حَمِيدٍ وَمِائَةِ مِثْقَالٍ ذَهَبٍ ، وَمِنْ مَعْصِيَانِي وَأَسْمَاءُ مَعْصِيَانِي : وَحَسَنَ الدَّاءُ ، وَفِيهِمْ فِي حُجْرَتِهِمْ سَلَمٌ مِنْ أُرْدَهْنِ ، فَصَارَ أَتَهَبُ فِي أُنْدَى السُّنَيْنِ .

قال السَّعْدِيُّ : فَلَمَّا لَعَلَّ مَا مَعْصِيَانِي مِنْ الْأَسْتَدِ لَمْ ، وَطُفِرَتْ فِي الرِّجَالِ ، وَفِي حَيْلٍ مُقْبِلَةٍ تَرْكُصُ ، فَدَخَلُوا الْعَسْكَرَ ، فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ : ذَهَبُ ، فَدُفِعَتْ أَيْدِيهِمْ إِلَى كُلِّ مِهَابَةٍ مَدْفُوعَةٍ وَجَاءُوا إِلَى الشَّهْبِ وَالرِّمَاءِ يَنْتَهِمُونَ ، وَأَنَا أَصْرُ : سَبِيحٌ مَعْصِيَانِي وَحَدَاهُمُ ، كَلَّ وَحَدَّ مَعَهُمْ فِي يَدِهِ أَوْ حَصَصَهُ شَيْءٌ ، فَدُفِعَ أَحَدُهُ ، وَفِي دَحِيَّةٍ حَيْثُ دَحَبَ عَلَى قَوْمٍ عَارِيَيْنِ أَمْتَيْنِ ، فَوَصَعُوا فِيهِمُ السُّيُوفَ ، فَضَعَوْهُمْ قَدْ دُفِعَ ، وَتَرَفَى الْمَسْلُوكُونَ فِي كُلِّ وَجْهٍ ،

(١) عَفَا : أَخْرَجَهُ مِنَ النَّاسِ . (٢) أَوْ بَرَزَ . (٣) دَخَلُوا : دَخَلُوا أَصْحَابَ الْحَدِّ فِي الرِّجَالِ ، فَجَدُّوا بَارَا .

وتركوا ما انتهوا ، وأحلوا عن أسكركم ، ورتفع ماء بعد ، لم تقدمه شيئاً ، وحقوا
أسرارنا ، ووجدنا الذهب في المعركة ، ولقد رأيت يومئذ حلاً من المسلمين صم صفوان
ابن أمية إليه صمة طبت أنه سيموت ، حتى أدركته وبه رَمَق ، فوحات^(١) ذلك لم
بحجر معي ، فوقع ، فالت عنه ، فقبل ، رجع من بي ساعدة . ثم هداى الله
بعد للإمام .

قال الواقدي : حدثني ابن أبي شجرة : عن إسحاق بن عبد الله ، عن عمر بن الحكم .
قال : ما علمنا أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الذين أعاروا على النهب
فأخذوا ما أخذوا من الذهب بقي منه من ذلك شيء . رجع به حيث عشيا المنركون ،
واحتسوا إلا رجائين أحدهما عاصم بن ثابت بن أبي الأظفر ، جاءه بمصعة وحدها في
أسكر ، فيه خمسون ديناراً ، فشددها على عنقه ، فخرجت ثيابه ، ووجهه عتاد بن بشر
عمره فيها ثلاثة عشر سنة لا يذهب من حبيب فيصده ، وهو فيها للديع وقد حرم وسطه ،
فأما ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يحمله وما به .

قال الواقدي : وروى يعقوب بن أبي صعصعة ، عن موسى بن حمزة ، عن أبيه ،
قال : ما صاح الشيطان أب^(٢) مقة ، أن محمد قد قتل ما أراد الله عز وجل من
من ذلك ، سقط في أيدي المسلمين ، وتدرقوا في كل وجه ، وأصعدوا في الخيل ، فسكن
أول من شترهم يكون رسول الله صلى الله عليه وآله سائلاً كعب بن مالك . قال كعب :
عمره ، فثقت أصبح هذا رسول الله ، وهو شريف يصبه على فيه أن اسكت .

قال الواقدي : وروى عميرة بنت عبد الله بن كعب بن مالك ، عن أبيه ، قالت :
قال لي لما اكشف الناس : كعب أب من عرف رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) وحاته : أي حربه

(٢) أب : مقة : مع شيخان معروف ذكر في حديث مقة . عمر عاموس

وشرت به المسلمين حيًّا سوى ، عرفت عيبه من تحت المعبر ، فادبت : يا معشر الأنصار !
أشروا ، فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله ، وشار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أن
اصمت . قال . ودعا رسول الله صلى الله عليه وآله بكعب ، فمس لأمنته ، وألبس كعباً
لأمة بنيه ، وقاتل كعب يومئذ قتالاً شديداً ، حرج سبعة عشر حرّاً

قال الواقدي : وحدثني ابنُ أبي سنان عن خالد بن رباح ، عن الأعرج ، قال
لما صاح الشيطان إنَّ محمداً قد قُتِلَ ؛ قال أبو سفيان بن حرب : يا معشر قريش ، أياكم قتل
محمداً ؟ قال ابن قينة : أما قتلته . قال : ^(١) سورة ^(١) كما فعل الأعاجم بأطالها ، وحمل أبو سفيان
يطوف ، إلى عامر العاصي في المعركة ؛ هل يرى محمداً بين القتلى ! فرج خارجة من يده
أي رهبر ، فقال : يا أبا سفيان ، هل تدري من هذا ؟ قال : لا ، قال : هذا خارجة من يده
هذا أسيد بن الحارث بن الخزرج ؛ ومرة صاس بن عذرة من صلة إلى حمص ، قال : أفرقه ، قال
لا ، قال : هذا ابن قوقل ؛ هذا الشرف في بيت الشرف ، ثم مرة بدكوان من عبد فليس ،
وقال : وهذا من ساداتهم ، ثم مرة : به حنطة من أبي عامر ، فوقف عليه ، قال أبو سفيان :
من هذا ؟ قال : هذا أعر من همدان ، هذا بني حنطة . قال أبو سفيان : ما يرى
مصرع محمد ؛ ولو كان قتل لأبياه ، كذب ابن قينة ؛ وفي حديث : يزيد ، فقال : هل من
عبدك قتل محمد ؟ قال : لا ، رأيتُه أومى في نحر من تحته مصعدي في أحد ، فقال أبو سفيان :
هذا حق ، كذب ابن قينة ، ثم أنه قتل

قلت : قرأت على النقيب أبي يزيد رحمه الله هذه المرأة من كتاب الواقدي ،
وقلت له : كيف جرى هؤلاء في هذه الواقعة ؟ فإني أسمع ما حكى ابنُ عباس وغير ذلك ؛
ما تستطيع تحمل قلب المسلمين من بعد قتل نبي الأويه على قُبُر المشركين ، فكبره

(١) سورة : فليست سورة ، وهذا من كتاب عمارة الأعاجم .

فلو ثبتت محبتتا رسول الله اللتان فيها أسيد من حُصير وألجباب بن المنذر يراء محبتي
المشركين ، لم ينكسر عسكر الإسلام ؛ ولكن محبتنا المسلمين أطبقت إطباقا واحدا على
قلب المشركين ، مضافا إلى قلب المسلمين ، فصار عسكر رسول الله صلى الله عليه وآله
قلبا واحدا ، وكتيبة واحدة ، فخطمه قلب قريش حطمة شديدة ، فلما رأت محبتنا قريش
أمة ليس يرائها أحد ، استدارت الختنان من وراء عسكر المسلمين ، وصمد كثير منهم
للزماة الذين كانوا يحمون ظهر المسلمين ، فقتلهم عن آخرهم ، لأنهم لم يكونوا ممن يقومون
خلالهم وعسكرهم ، وهما في أثنى رجل ، وإنما كانوا محبين رجلا ، لاسيما وقد ترك كثير منهم
مركره وشره إلى النسيمة ، فأكب على النهب .

قال رحمه الله : والذي كسر المسلمين يومئذ ، وبال كان منال خالد بن الوليد ، وكان
فارسا شجاعا ، ومع حيل كثيرة ، ورعالم أطلن مؤتمروهم ، واستدار حلف الجبل ؛ فدخل
من الثمرة التي كان الزماة عليها ، فأتاه من وراء المسلمين ، وتراجع قلب المشركين بعد
الهربة ، فصار المسلمون بينهم في مثل الحلقة مستديرة ، واحتلط الناس ، فلم يعرف المسلمون
بعضهم بعضا ، وضرب الرجل منهم أحده وأماه بالتيق وهو لا يعرفه لشدة النقع والعبار ،
ولما اعتراهم من الدهش والعجلة والخوف ؛ فكادت الذبرة عليهم ، بعد أن كانت لهم ،
ومثل هذا يجري دائما في الحرب .

فقلت له رحمه الله : فما اكتشف المسلمون ، وقرتهم منهم من قرّة ، ما كانت حال
رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ فقال : كنت في نفر يسير من أصحابه يحامون عنه .

فقلت : ثم ماذا ، قال : ثم ثاب إليهم الأنصار ، وردت إليهم عُنقا واحدا بعد
فرارهم وتفرقهم ، وامتنار المسلمون عن المشركين وكانوا ناجية ، ثم التهمت الحرب ،
واصطدم القيتان^(١)

(١) القيتان ، كصبيح الحبش .

قلت : ثمّ ماذا ؟ قال : لم يزل المسلمون يحامون عن رسول الله صلى الله عليه وآله ،
والشركون يتكاثرون عليهم ، ويقتلون فيهم حتى لم يبقَ من النهار إلا القليل ،
والدّولة للمشركين .

قلت : ثمّ ماذا ؟ قال : ثمّ علم الدين قوا من المسلمين أنّه لا طاقة لهم بالمشركين ،
فأصعدوا في الجبل فاعتصموا به .

قلت له : فرسول الله صلى الله عليه وآله ما الذي صنع ؟ فقال : صدق في الحال .

قلت له : أفيجوز أن يقال : إنه فر ؟ فذر . إنما يكون الفرار ممن أمن في الحرب
في الصحراء والتّيداء ، فأنما من الحبل مطلّ عليه وهو في سعة ؛ فلما رأى ما لا يحسنه
أصعد في الحبل ؛ فإنه لا يسمى فارّاً . ثمّ سكّته يومه الله ساعة ، ثم قال : هكذا وقعت
الحال ؛ فإن شئت أن تسمي ذلك فراراً فسمه ، فقد خرج من مكة يوم المحرمه فارّاً من
المشركين ، ولا وصمة عليه في ذلك .

فقدت له : قد روى الواقدي عن « من أصحابه » ، قال : لما يدرج رسول الله صلى
الله عليه وآله ذلك اليوم شبراً واحداً ، حتى تهاجرت العنتان ؛ فقال : دُع صاحب هذه
الرواية فليقل ما شاء ، فالصحيح ما ذكرته لك . ثم قال : كيف يقال : لم يزل وافقاً
حتى تهاجرت العنتان ؟ وإنما تهاجرا بعد أن ناداه أبو سفيان ، وهو في أعلى الحبل عما ناداه ،
فلما عرف أنّه حيّ وآنه في أعلى الجبل ، وأن الحبل لا تستطيع الصعود إليه ، وأنّ القوم
إن صعدوا إليه رجالة لم يبقوا بالطّربة ؛ لأنّ معه أكثر أصحابه ، وهم مستميتون إن
صعد القوم إليهم ، وأنهم لا يقتلون منهم واحداً حتى يقتلوا منهم اثنين أو ثلاثة ، لأنهم
لا سبيل لهم إلى الحرب ، لكونهم محصورين في درّ واحد ، فالرحل منهم يحامي عن
خيّط رقبته . كفّوا عن الصعود وقسموا عما وصلوا إليه من قتل من قتلوه في الحرب ، وأمّلوا

يوماً ثانياً يكون لهم فيه الظفر الكلى بالنبي صلى الله عليه وآله ، فرجوا عنهم وطلبوا مكة .

وروى الواقدي عن أبي سبرة عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة ، عن أبي الحويرث ، عن نافع بن جبير ، قال : سمعت رجلاً من المهاجرين يقول : شهدت أحداً ، فنظرت إلى السبل يأتي من كل ناحية ، ورسول الله صلى الله عليه وآله في وسطها كل ذلك يصرف عنه ، ولقد رأيت عبد الله بن شهاب الزهري ، يقول يومئذ : دلو بي على محمد ، ولا نحوت إن نحاً ! وإن رسول الله صلى الله عليه وآله إلى حبه ، ماممه أحد ، ثم حاوره ، ولقي عبد الله بن شهاب صفوان بن أمية ، فقال له صفوان : ترحت (١) ! هلا عبرت محمداً ، فضطمت هذه اشقة ، فقد أمكث الله به ! قال ابن شهاب : وهل رأيته ؟ قال : نعم أنت إلى حبه ، قال : والله ما رأيته ~~بما سمعته~~ والله به من المؤمنين ، حار حارعة أما هذا وأما قدما على قتله ، فلم أخلص لي دليلاً .

قال الواقدي : فروى ثمة من أبي ناه - واسم أبي ناه عبد الله بن معبد ، وكان أخوه معبد أحد البراء من مبرور لأمة - قال : لما استكشف رسول الله صلى الله عليه وآله في رسول الله صلى الله عليه وآله وما معه أحد إلا ما قد أخذ قوامه من أصحابه من المهاجرين والأنصار ، فاطلقوا به إلى الشعب ، وما للمسلمين لواء قائم ، ولا راية ، ولا جمع ، وإن كانت شركين لتحوشهم مقلة ومُدرة في الوادي ، يلتقون ويفترقون ما يرون أحداً يرددهم .

قال الواقدي : وحدثني إبراهيم بن محمد بن نرحيل البصري ، عن أبيه ، قال : حمل مصعب اللواء ، فلما حل المسلمون ثبت به مصعب قد ابن قمينة ، وهو فارس فصر به يده مصعب فقطعها ، فقال مصعب : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ وأحد اللواء بيده اليسرى ، وحتى شيه ، فصر به ففضع اليسرى ، فصر به بصره إلى صدره ،

وهو يقول : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ ، ثم حمل عليه الثالثة بالرمح فألقته ، واندق الرمح ، ووقع مُصْعَب وسقط اللواء ، واستدّره رحلان من بني عبد الدار سويبط بن حرملة وأبو الزّوم ، فأحده أبو الزّوم ، فلم يزل بيده حتى دخل به المدينة ، حين انصرف المسلمون .

قال الواقدي : وقالوا : إن رسول الله لما لحه القتال ، وحلص إليه ودّت عنه مصعب بن عمير وأبو دُحّانة ، حتى كثرت به الإحراقة ، حمل رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « مَنْ رَجُلٌ بِشَرِّ نَفْسِهِ » فوثب فئة من الأنصار حمسة ، منهم عُمارة بن زياد بن السّكّ ، فقال حتى أثبت ، وفاءت فئة من المسلمين حتى أحصوا أعداء الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعُمارة بن زياد : ادنُ مني ، حتى وسّده رسول الله صلى الله عليه وآله قدمه ، وإنّ به لأربعة عشر حرّاً حتى مات ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يدمر الناس ويحصدهم على القتال ، وكان رجلاً من مشركين قد أدّنهو ^(١) المصعبين الرّحى : منهم حيّ بن العرفّة ، وأبو أسامة الحُشيميّ ، حمل إلى صلى الله عليه وآله يقول سعد : « ارم فداك أبي وأُمّي » فرمى حيّ بن العرفّة بسهم فاصاب ذيل أمّ أيمن ، وكانت جاءت يومئذ تسقى الحرحى ، فقصها ، واسكشف ذئبُ عبيد ، فاستعرب حيّ بن العرفّة صحكاً ، وشقّ ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله ، فدفع إلى سعد بن أبي وقاص سبعمائة من الغنم ، وقال : ارم به ، فرمى فوضع السهم في ثغرة بئر حيّ ، فوقع مستلقياً ، وبدت عورته . قال سعد : فرأيت النبي صلى الله عليه وآله صبيح يومئذ حتى بدت نواحيه ، وقال : استقاد لها سعد ، أحاب الله دثوثك ، وسدّ رميتك ، ورمى يومئذ مالك بن رهير الحُشيميّ أحوأى أسامة الحُشيميّ المسلمين رهياً شديداً ، وكان هو وريث من العرفّة قد أسرع إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكثر فيهم القتل يستتران بالصخر ، ويرسل ،

(١) أدنوه أو حرمه

فبيناهم على ذلك أبصر سعد بن أبي وقاص مائت بن رهير يرمى من وراء صخرة قد رمى ، وأطعم رأسه ، فبرميه سعد ، فأصاب الشَّهْمُ عَيْنَهُ ، حتى خرج من قَعَاه ، فخرى ^(١) في السماء قائمة ، ثم رجع فسقط ، فقتله الله عزَّ وجلَّ .

قال الواقدي : ورمى رسول الله صلى الله عليه وآله عن قوسه يومئذ حتى صارت شَصِيحاً ، فأحدها قتادة بن النعمان ، وكانت عنده ، وأُصِيبَتْ يومئذ عين قتادة حتى وقعت على وَجْهِهِ . قال قتادة : خُشْتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقلت : يا رسول الله ، إن تعني امرأة شاة حبيبة ، أحب ونحني ، وأنا أحشي أن تغدر مكان عبيتي ، فأحدها رسول الله صلى الله عليه وآله ، وآخى فردها وأصرفها ، وعادت كما كانت ، فلم تضرب عليه ساعة من بين وسهر ، وكان يقول مدأب أسن ، هي أقوى عبيتي وكانت أحسبهما .

قال الواقدي : وشر رسول الله صلى الله عليه وآله لعمال بمكة ، فرمى بالأمم حتى ، ضمت إليه ، وانكسرت سِيَّةُ قَوْسِهِ ، وقس دها انقطع وبره ، ونفيت في يده قطعة تكون شراً في سِيَّةِ القوس ، فأخذ القوس عكاشة بن محصن بوتره به ، فقال : يا رسول الله ، لا يبلغ الرتر ، فقال هذه يبلغ ، قال عكاشة : فومدي معه باحق مددته حتى يبلغ ، وطويت معه يميني أو ثمانية على سِيَّةِ القوس ، ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم راح يرمى انقوم ، وأبو طلحة أمامه يستقره مخرساً عنه ، حتى نظرت إلى سِيَّةِ قَوْسِهِ ود تحصمت ، وأحدها قتادة بن النعمان .

قال الواقدي : وكان أبو طلحة يوم حذر قد نَشَّ كِسْفَتَهُ ^(٢) بين يدي النبي صلى الله عليه وآله ، وكان رامياً ، وكان ضيقت فذر رسول الله صلى الله عليه وآله ، لا صوت أي طلحة في الخيل حين من أربعين رجلاً ، وكان في كسبه حمسون سهم شهاب بين يدي

عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله : يا محمد ، إن هذه الواساة ، لقد عجت
الملائكة من مواساه هذا القتي^(١) فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : وما ينتمه وهو مني
وأنا منه ! فقال جبرئيل عليه السلام : وأنا مكم . قال : وسمع ذلك اليوم صوت من
قيل السماء ، لا يرى شخص الصارخ به ينادى مراراً :

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

فمثل رسول الله صلى الله عليه وآله عنه ، نقل هذا جبرئيل .

فب . وقد روى هذا الخبر جماعة من المحدّثين وهو من الأخبار المشهورة ، ووقعت
عليه في بعض نسخ معاري محمد بن إسحاق ، ورأيت بعضها حايياً عنه ، وسألت شيخي
عبد الوهاب بن سكيمة رحمه الله عن هذا الخبر ، قدس : خبر صحيح ، فقلت : لماذا لا تصحاح
لم تشمل عليه ؟ قال : أو كلما كان تحريكاً ~~نشتغل~~ ~~عليه~~ كتب الصحاح ، كما قد فهم
حاشوا الصحاح من الأخبار الصحيحة !

قال الواقدي : وأقبل عنهم بن عبد الله بن الحيرة المحرومي^(١) يحصر^(٢) فرساً له "بق ،
يرد رسول الله صلى الله عليه وآله ، عليه لأمة كاملة ، ورسول الله صلى الله عليه وآله
متوجه إلى الشعب وهو يصيح لا تحوت^(٣) إن تحوت ! فبق رسول الله صلى الله عليه
وآله ، ويهتف بعمال فرسه في بعض تلك الحفر التي حفرها أبو عاصم الدوسي بمكة ،
فسمع الفرس لهجه ، وسقط عن فرسه ، وخرج يدرس عثراً ، فبأحده بعض أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وآله ، وتبشى إليه الحارث بن الصقة ، فاضطرب ساعة بالسيوف ،
ثم يضرب الحارث رجلاه ، وكانت درعاً مشمراً فبرك ، وذوق^(٤) عليه ، وأخذ الحارث

(١) محصر فرساً بحره ، والمحصر : صرب من الجح .

(٢) دبت عليه ، أحمر .

يومئذ سنه : درعاً جيداً ، ومغفراً ، وسيداً جيداً ، ولم يسمع بأحد من المشركين سلب يومئذ عبره ، ورسول الله صلى الله عليه وآله ينظر إلى قتلهما ، فقال عن ارحل ، قيل : عثمان بن عبد الله بن المديرة ، قال : الحمد لله لدى أحابه ^(١) وقد كانت عبد الله بن جحش أسره من قبل بطن نخلة ، حتى قدم به على رسول الله صلى الله عليه وآله فاقبضه ورجع إلى قريش ، وغزا معهم أحياناً ، فقتل هناك ، ويرى مصرع عثمان عبيد ابن حاجر العامري أحد بني عامر بن نؤى ، فقبل بعدوا كأنه سبع ، فيصرب حارث بن العنقة صرصة على عاتقه ، فوقع الحارث مرميماً حتى احتمله أصحابه ، ويقتل أبو دجانه على عبيد بن حاجر ، فتناوشا ساعة من مهر ، وكل واحد منهما سقى بالدرهم سيف صاحبه ، ثم حمل عليه أبو دجانه فاحصه ، ثم حذره الأرض ، ودعه ناسيف كما تذبح الشاة ، ثم انصرف ، فلاحق رسول الله صلى الله عليه وآله .

قال الواقدي : وروى أن سهيل بن حنيف ، جعل يصيح باسم رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : يا رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أنى الدرداء ، والناس مهيمون في كل وجه . فقال : نعم انصرف عويمر غير أنه لم يشهد أحداً !

قال الواقدي : وروى الحارث بن عبيد الله بن كعب بن مالك ، قال : حدثني من نظر إلى أبي سبرة بن الحارث بن عقيقة ، وفي أحد المشركين ، فاحتدها صرصات ، كل ذلك برؤع أحدهما عن الآخر ، قال : فمضت ناس بهما كأنهما سعدان صاربان نقعان مرته ويفتتلان أخرى ، ثم تعانقا ، فوقعوا إلى أرض حميف ، فعلاه أبو سبرة فذبجه نسيه كما تذبح الشاة ، ونهض عنه فيقتل حنن بن الوليد وهو على فرس أدهم أعز محجل عرقاة طويلة ، فظعن أباسره من حميف ، فمطرت إلى سدن الرمح خرج من صدره ،

(٢) بلوا سهلاً ؟ أي أعصوه الناس .

(١) أحابه أممك

ووقع أبو سبرة ميتاً ، وانصرف حاند بن الوليد ، يقول : أبا أبو سبيان !

قال الواقدي : وقاتل طلحة بن عبيد الله يومئذ عن النبي صلى الله عليه وآله قتالا شديداً ، وكان طلحة يقول : لقد رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله حيث أمرهم أصحابه ، وكثر المشركون ، فأخذوا بالنسي صلى الله عليه وآله من كل ناحية ، فما أدرى أقوم من بين يديه أو من ورائه ؟ أم عن يمينه أم شماله ؟ فاذبت ناسيف عنه ههنا وههنا حتى اكشعوا ، فحمل رسول الله صلى الله عليه وآله يومئذ يقول لطلحة : « لقد أوحب » وروى : « لقد أوحب » أي قصى نذره .

قال الواقدي : وروى أن سعد بن أبي وهب ذكر طلحة فقال : برحه الله ! كان أعظم ما سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله يوم أحد ، قيل : كيف يا أبا إسحاق ؟ قال : لرم النبي صلى الله عليه وآله وكنا متفرق عنه ، ثم شوب إليه ، لقد رأته يدور حول النبي صلى الله عليه وآله يترس من شدة محبة

قال الواقدي : وسئل طلحة : يا أبا محمد ، ما أصاب إصمك ؟ قال : رمى مالك بن رهبير الجشمي سهم يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان لا تحطى رميته . فأنقبت سدي عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ف أصاب جفصري وشق

قال الواقدي وقالوا : إن طلحة قال مرمى حسن^(١) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : لو قال : « بسم الله لدخل الجنة والناس يظفرون [إليه] »^(٢) من أحب أن ينظر إلى رجل مشى في الدنيا وهو من أهل الحق ، فسطر إلى طلحة بن عبيد الله ، طلحة ممن قصى عنه^(٣)

(١) حسن ، ماله على كذا ، كذا ، من يعجزه ، يؤمنه ، وده قولهم : « صرت شاكلاً - حسن » .

(٢) أساس الأشراف ١ - ٣١٨

(٣) في اللسان : « راجع من قصى عنه » النعب : النور ، كانه أرم منه أن يصدق الأعداء في الحرب فوق به ولم يمسح ، وفي : هو من يحب موت ، كانه يرم منه أن يقاتل حتى يموت » .

قال الواقدي : وكان طلحة يحدث يقول : لما حال المسلمون تلك الحولة ، ثم تراجعوا
أقبل رجل من بني عامر بن لؤي يدعى شيبة بن مالك بن المصرب ، يجر رحله ، وهو
على فرس أعرج كسيت مدحج في الحديد ، يصيح . أما أنودات الودع ، دتوني على
محمّد ، ففصرت عرقوب فرسه فاكنسعت^(١) [هـ]^(٢) ثم أسأول رحمه ، هو الله ما أخطأت به
عن حدّثته ، فصار كما يحور النور في رحلت به واضعا رجلي على حذاه حتى أرزاه
شعوب^(٣) .

قال الواقدي . وكان طلحة قد أصابته في رأسه المصيلة صر به رجل من المشركين ،
صر نهين ، صر به وهو مصل ، وصر به وهو ممرص عنه ، وكان تراف منها الدم ، قال
أبو بكر : حدثت النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحُمد ، فقال : عليك يا ابن عمّت ، فأتى
طلحة بن عبد الله ، وقد روى لدم ، فجعلت أنصح في وجهه اداء وهو معشّي عليه ، ثم
أفاق ، فقال : ما من رسول لله صلى الله عليه وآله ففعلت . حرا ، هو أرسلني إليك ، فقال .
الحمد لله ، كل مصيبة بعده حلال .

قال أبو قدي : وكان صرر من خصمات الهزري يقول . فطرت إلى طلحة من
عبد الله قد حاق رأسه عبد البراء في شجرة ، فطرت إلى المصبة و رأسه ، وكان
صرار يقول : أما والله صرته ، هو استغنى وصرته ، ثم كثر عليه ، وقد أعرض ،
فاضربه صرته أخرى .

(١) كذا في اللسان ، وفي أبو قدي « سكعت » ، وفي اللسان : « وفي حديث طلحة
يوم أحد : « فصرت عرقوب فرسه فاكنسعت به ، أي سكعت » .

(٢) من اللسان

(٣) في اللسان : « وفي حديث طلحة : حتى أرزاه شعوب ، أي أوردته إليه برزها شعوب من
أسماء المية .

قال الواقدي : ولما كان يوم الجمل ، قتل علي عليه السلام من قتل من اماس ، ودخل البصرة ، جاءه رجل من العرب ، فسلم بين يديه ، وقال من طليحة ، فمر به علي عليه السلام ، وقال : بك لا تشهد يوم أُخِذ ، وعظم غائته عن الإسلام ، مع مكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسكر الرجل وسكت ، فقال له قاتل من انقوم : وما كان غاؤه ، ولاؤه برحمة الله يوم أُخِذ ، فقال علي عليه السلام : نعم ، برحمة الله ، لقد رأيته وإني ليرتس بعنه دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وإني السيوف ليرشاه ، والنبل من كل ناحية ؛ وما هو إلا حنة رسول الله صلى الله عليه وآله ، يقه نفسه ، فقال رجل : لقد كان يوم أُخِذ يوماً قاتل فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأصابت رسول الله صلى الله عليه وآله بهول ، فقال علي عليه السلام ، أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : بيت المقدس لمع أصحابي شخص ^(١) الجمل ، ثم قال علي عليه السلام : لقد رأيتني يومئذ وإني لأدشهم في ناحية ، وإن أبادحاه لبي ناحية يدب طائفة منهم : حتى فرح الله ذلك كله ، وقد رأيتني وانفردت بهم ومثد فرقة حشاه ^(٢) ، فيها عكرمة من ألى جعل قدحيت وسطهم بالسيف ، فصرات به ، واشتموا علي حتى أفضيت إلى آخرهم ، ثم كررت بهم ثانية ، حتى رجعت من حيث حدث ، ولكن الأهل استأخر ، ويقضى الله أمرا كان مفعولا .

قال الواقدي : وحدثني حارس سليم عن عثمان بن صفوان ، عن ثعلبة بن حريمة ، قال : حدثني من نظر إلى الخطاب بن ثعلبة بن الجراح ، وإني ليخوشهم ^(٣) يومئذ كما نحاش العير ؛ ولعد اشتموا عليه حتى قيس ، قد قتل ، ثم برد والسيف في يده ، وافترقوا عنه ، وجعل يحمل على فرقة منهم ، وإنيهم يهربون منه إلى تجمع منهم ،

(١) م - لا يخص ، وصحبه من اؤو وادي ، وقد قال من أبي برد - يخص الجمل أسوة .

(٢) فرقة حشاه ، أي كثره السلاح

(٣) يخوشهم ، أي يجمعهم

وصار الحُباب إلى النبي صلى الله عليه وآله ، وكان الحُباب يومئذ معلماً بعصابة خصراء في معقره .

قال الواقدي : وطلع يومئذ عبد الرحمن بن أبي بكر على فرس مدحجاً لا يرى منه إلا هيئته ، فقال : مَنْ يبارر؟ أنا عبد الرحمن بن عتيق ! فهمس إليه أبو بكر ، وقال : أما أبارره ، وجرد سيفه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : شِمَّ سيفك ، وارجع إلى مكانك ، ومتعنا بعصك .

قال الواقدي : وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما وجدتُ لنمَّاس من هُمان شهياً إلا الحنة ، يعنى مما يقاتل عن رسول الله يومئذ ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأخذ يميناً ولا شمالاً إلا رأى شمَّاس بن هُمان في ذلك الوجه ، يذب سيفه عنه ، حتى عشي رسول الله صلى الله عليه وآله ، فترس^(١) نفسه دونه ، حتى قتل ، وذلك قول رسول الله صلى الله عليه وآله : « ما وجدتُ لشمَّاس شهياً إلا الحنة » .

قال الواقدي : ولما ولي المسلمون حين ضعف عليهم خالد بن الوليد من حلفهم ، كان أول مَنْ أقبل من المسلمين بعد التولية فيس بن عكرت مع طائفة من الأصبار ، وقد كانوا يدعوا بنى حارثة فرحموا سراعاً فصادقوا لمشركين في كفرهم ، وقد حلوا في حوَّمتهم ، فما أفلت منهم رجل حتى قُبلوا كلهم ، وقد صارهم فيس بن عكرت ، فامتنع سيده حتى قتل منهم ثلثاً ، فهاقتلوه إلا بالرماح ، نطموه ، واتخذ واحد به أربع عشرة طعنة بجافة^(٢) وعشر ضربات بالسيف .

قال الواقدي : وكان عباس بن عباد بن نضلة المعروف بابن قوقل ، وخارجة بن

(١) ترس نفسه ، أى جعل نفسه له كانه من

(٢) الطعنة الجافة : التى يسلح الخوف ، وقى الواقدي . « قد جابه »

زيد بن أبي زهير، وأوس بن أرقم بن زيد، وعباس رافع صوته يقول : يا معشر المسلمين ،
الله ونبِيِّكم ! هذا الذي أصابكم بمعصية نبيكم ؛ وعدكم^(١) النصر فما صبرتم . ثم نزع معفراً
عن رأسه ، وخلع درّعه وقال لخارجة بن زيد : هل لك في درّعي ومعفري ؟ قال خارجة :
لا ، أنا أريد الذي تريد ، فخالطوا القوم جميعاً ، وعباس يقول : ما عذرنا عند ربنا إن
أصيب بشيء ومّا عين تطرف ! قال : فيقول^(٢) : خارجة : لا عذر لنا والله عند ربنا ولا حجة ،
فأمّا عباس فقتله سفيان بن عبد شمس السلمي ، وقد ضربه عباس صريتين ، فجرحه
جرحين عظيمين ، فارتث يومئذ جرحاً ، فكث جريحاً سنة ، ثم استبل . وأخذت خارجة
ابن زيد الرماح ، فخرج بصحة عشر جرحاً ، فمّته صموان بن أمية ، فمّته فقال : هذا
من أكابر أصحاب محمد ، وبه رمق ، فأجهن عليه . وقتل أوس بن أرقم ، وقال صفوان : من
رأى حبيب بن يساف ؟ وهو يطلبه فلا يقدر عليه . ومثل يومئذ بخارجة ، وقال : هذا
عن أعزى أبى يوم بدر - يعنى أمية بن خلف - وقالت : الآن شفيت نسي حين قتلت
الأمائل من أصحاب محمد ، قتلت ابن قوئل ، وقتلت اس أبى زهير ، وقتلت أوس
ابن أرقم .

قال الواقدي : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ : من يأخذ هذا السيف
بحقه ؟ قالوا : وما حقه يا رسول الله ؟ قال : يصرب به العدو ، فقال عمر : أما يا رسول الله ،
فأعرض عنه ، ثم عرّضه رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك الشرط ، فقام الزبير ، فقال :
أنا ، فأعرض عنه ، حتى وجد^(٣) عمر والزبير وأمسهما ، ثم عرّضه الثالثة ، فقام أمودجانة ،
وقال : أنا يا رسول الله آخذه بحقه ، فدفعه إليه ، فصدّق حين لقي به العدو ، وأعطى السيف
حقه ، فقال أحد الرجلين - إمّا عمر بن الخطاب أو الزبير : والله لأجعلن هذا الرجل الذي
أعطاه السيف ومسميه من شأنى ، قال : فأتبعته ، فوالله ما رأيت أحداً قاتل أفصل من

(٣) أى غصا .

(٢) الواقدي : « يقول » .

(١) : « بوعدكم » .

قتاله ، لقد رأيتُه يصرب به حتى إذا كلَّ عليه وحاف ألا يُحك (١) عمد به إلى الحجارة ، فشجده ، ثم يصرب به العدو ، حتى يردّه (٢) كأنه منحل ، وكان حين أعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله السيف مشى بين انصافين ، واحتال في مشيته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله حين رآه يمشى تلك المشية : إن هذه لمشيئة يُفصصها الله تعالى إلأى مثل هذا للوطن . قال : وكان أربعة من أصحاب نبي صلى الله عليه وآله يعلمون في الرُّحوف ، أحدهم أبو دُحانة ، كان يعصب رأسه بعباية حمراء ، وكان قومه يعلمون أنه إذا اعتصم بها أحسن القتال ، وكان على عليه السلام يعلم بصوفة بيضاء ، وكان الزبير يعلم بعباية صفراء ، وكان حمزة يعلم بربيش بعلامة .

قال الواقدي : وكان أبو دُحانة يحدث يقول : إني لأنظر يومئذ إلى امرأة تقذف الناس وتغوشهم خوفاً منكراً ، فرقتُ عنها السيف ، وما أحسها إلا رجلاً ؛ حتى علمت أنها امرأة ، وكرهت أن أصرب سيف رسول الله صلى الله عليه وآله امرأة . والمرأة غمرة ببت الحارث .

قال الواقدي : وكان كعب بن مالك يقول : أصابني الحراج يوم أحد ، فلما رأيت المشركين يمشون بالمسلمين أشدَّ للتل وأقبح ، فمْتُ فصحت عن القتلى ، فإني لفي موضع أقلَّ خالد بن الأعلم العقلي جامع الأمة يحوش المسلمين ، يقول : استوسقوا (٣) كاستوسق حرب الغنم ، وهو مدجج في الحديد ، يصبح : يامعشر قريش ، لا تقتلوا محمداً ، أسروه أمراً حتى نعرفه ما صنع ؛ ويصُدُّ له قُرْمانٌ يضربه بالسيف ضربة على عاتقه رأيت منها سحره ، ثم أحد سيفه وانصرف ، فطلع عليه من المشركين فارس ما أرى منه إلا عيته ، فحمل عليه قُرْمانٌ فضربه ضربة حرَّكه اثنين ، وإذا هو الوليد بن العاص بن هشام الحرومي ، ثم يقول كعب : إني لأنظر يومئذ وأقول : ما رأيتُ مثل هذا الرجل أشجع

(١) لا يحك : لا يؤثر . (٢) : ردّه . (٣) استوسقوا : احتجموا .

بالسيف . ثم ختم له ، ختم له ، فيقول له : فما ختم له به ؟ فيقول : من أهل النار ، قتل
بمنه يومئذ .

قال الواقدي : وروى أبو التمر الكنانى ، قال : أتيت يوم أحد وأنا من المشركين ،
وقد اسكتف المسلمون ، وقد حصرت في عشرة من إخواني ، فقتل منهم أربعة ؛ وكان
الريح للمسلمين أول ما التقى ، فتد رأيتني واسكتفا مولين ، وأقبل أصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم على هيب العكر ، حتى بلغت الجحاة ، ثم كرت حينا ، فقتل : والله ما كرت
الحيل إلا عن أمر رآته ، فكررت على أقدامنا كأنا الحيل ، فوجد القوم قد أخذ بعضهم
بعضا ، يقتلون على غير صفوف ، ما يدري بعضهم من يصرب ، وما للمسلمين لواء قائم ،
ومع رجل من بني عبد الدار لواء مشركين ، وأنا أسمع شعار أصحاب محمد بينهم : « أمت
أمت » فاقول في نفسي : ما « أمت » ؟ وقد لا أهر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن
أصحابه يحدقون به ، وإن الشئ لم يره عن يمينه ويساره ، ويقع بين يديه ، ويخرج من
ورائه ، ولقد رميت يومئذ بحسين برماناة ، فاضت منها بأنفسهم بعض أصحابه ، ثم هداني
الله إلى الإسلام .

قال الواقدي : وكان عمرو بن ثابت بن وقش شاكيا في الإسلام ، وكان قومه يكلمونه
في الإسلام ، فيقول : لو أعلم ما تقولون حقا ما أخرت عنه ، حتى إذا كان يوم أحد بدأ به
الإسلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد ، وأحد سيمه وأسلم ، وخرج حتى دخل في
القوم ، فقاتل حتى أثبت^(١) ، فوجد في القتلى حريجا ميتا ، فدفنوا منه وهو بأخر رفق ،
فقالوا : ما جاء بك يا عمرو ؟ قال : الإسلام ، أمت به الله ورسوله ، وأحدث سبي وحصرت
فرزقي الله الشهادة ، ومات في أيديهم ، فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنه لمن
أهل الجنة »

(١) أثبت ، أي حرج .

قال الواقدي : فكان أبو هريرة يقول ، والناس حوله : أخبروني برجل يدخل الجنة لم يصل الله تعالى سعده؟ فسكت الناس ، فيقول أبو هريرة : هو أخو بني عبد الأشهل عمرو بن ثابت بن وقش .

قال الواقدي : وكان محيرق اليهودي من أخصار يهود ، فقال يوم السبت ورسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ . يامعشر يهود ، والله إنكم لتعلمون أن محمداً نبي ، وأن نصره عليكم حق . فقالوا . ويحك ! اليوم يوم السبت ، فقال : لا ست ، ثم أخذ سلاحه وحضر مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فصيب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « محيرق خير يهود » .

قال الواقدي : وكان محيرق ، قال حين خرج إلى أحد : أن أصبت فأموالي لحمد يصعبها حيث أراء الله فيه ، فهي عاتمة صدقات النبي صلى الله عليه وسلم .

قال الواقدي : وكان حاطب بن أمية مدافعاً ، وكان ابنه يريد من حاطب رجل صدق شهد أحداً مع النبي صلى الله عليه وسلم فارتب^(١) جريحا ، فرجع به قومه إلى مدينه ، قال . يقول أبوه وهو يرى أهل الدار يسكرون عنده : أنتم والله صغتم هذا به ، قالوا : كيف ؟ قال : أعررتموه من دية حتى خرج فقتل ، ثم صرتم معه إلى شيء آخر تعدونه جنة ، يدخل فيها حنة من حرمل ، قالوا : قاتلك الله ! قال هو ذاك ، ولم يفر بالإسلام^(٢) .

قال الواقدي : وكان قزمان عسيفا^(٣) من بني طغر ، لا يدري ممن هو ، وكان لهم محباً ،

(١) ارتب : حمل من المعركة جريحا وبه رمي

(٢) الخبر في ابن هشام ٣ : ٣٧ عن عاصم بن عمر بن قتادة : « أن رجلا منهم كان يدعى حاطب ابن أمية بن رافع ، وكان له ابن يقال له ريد بن حاطب ؛ أصابته حراقة يوم أحد ؛ فأتى به إلى قومه وهو بالوت ، فاحتمى إليه أهل الدار ؛ فحمل أنسهون يقولون له من الرجال والنساء : أيقض يأس حاطب بالجه ، قال : وكان حاطب شجاعاً قد عا (أي كبر) في الجاهلية ، فمعهم يومئذ نفاقه ، فقال : بأي شيء تيسرونه ! أبعثه من حرمل ! غررتم والله هذا الظلام من نسيه !

(٣) عسفاً ، أي أحمراً .

وكان مقللاً ولا ولد له ولا زوجة ، وكان شجاعاً يُعرف بذلك في حروبهم التي كانت تكون بينهم ، فشهد أحداً ، وقاتل قتالاً شديداً ، فقتل ستة أو سبعة ، فأصابت الجراح قبيل النبي صلى الله عليه وسلم : إن قرمان قد أصابته الجراح ، فهو شهيد ، فقال : إن من أهل النار ، جهنموا إلى قرمان ، فقالوا : هبنا لك أب لعيد في الشهادة ! فقال : بئس تبشرونني ! والله ما قاتلنا إلا على الأحساب ، قالوا : بئسناك بالجنة ، قال حبة والله من حرمل ، إنا والله ما قاتلنا على جنة ولا على نار ، إنما قاتلنا على أحساب ، ثم أخرج سها من كنانته ، ففعل يتوحيه نفسه ، فلما أبطأ عليه المشقص ، أخذ سيف ، فانسكأ عليه ، حتى خرج من ظهره ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وآله فقال : « هو من أهل النار » .

قال الواقدي : وكان عمرو بن الجوح رجلاً أعرج ، فلما كان يوم أُحد ، وكان له سون أربعة يشهدون مع النبي صلى الله عليه وسلم المشاهد أمثال الأسد ، أراد قومه أن يحسوه ، وقالوا : أنت رجل أعرج ، ولا حرج عليك ، وقد ذهب بؤك مع النبي صلى الله عليه وسلم قال : مح ! يذهبون إلى الجنة وأحسن أنا عندكم ! فقلت هند بنت عمرو بن حرام امرأته : كأنني أنظر إليه موالياً قد أخذ درّتي ، وهو يقول : اللهم لا تردني إلى أهل ، فخرج ولحقه بعض قومه يكلمونه في العمود ، فأبى وحاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إن قومي يريدون أن يحسوني عن هذا الوحه والخروج معك ، والله إني لأرجو أن أطأ نزعني هذه في الحمة ، فقال له : أنت أنت فقد عذر الله ولا جهاد عليك ، فأبى ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم قومه وسبه : لا عليكم أن تمنعوه ، لعل الله يرزقه الشهادة ، فمخّوا عنه ، فقتل يومئذ شهيداً . وكان أبو طلحة يحدث ، يقول : بطرت إلى عمرو بن الجوح حين اكشف المسلمون ، ثم ذهبوا وهو في الرعي الأول ، لكأنني أنظر إلى صلعه وهو يمرّج في مشيته ، وهو يقول : ما والله مشتاق إلى الجنة ، ثم أنظر إلى ابنه يعدو في أثره ، حتى قُتلا جميعاً .

قال الواقدي ، وكانت عائشة حرجت في سوة تستروح الخبر ، ولم يكن قد صُرب الحجاب يومئذ ، حتى كانت بمقطع الحرّة وهي هائطة من بي حارثة إلى الوادي ، لقيت هنداً بنت عمرو بن حرام ، أخت سعد بن عمرو بن حرام ، تسوق نعيراً لها ، عليه زوجها عمرو بن الجوح ، واسمها حذّدة بن عمرو بن الجوح ، وأخوها عبد الله بن عمرو بن حرام^(١) أبو جابر بن عبد الله ، فقالت لها عائشة : عندك الخبر ، فما وراءك ؟ فقالت هند : خير ، أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فصالح ، وكلّ مُصيبة تعدّ حلال ، واتّحد الله من المؤمنين شهداء : ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِهِمْ أَنْ يُعْطِيَهُمْ » ، لا غير ، وإلا كيف يواطىء كلامها آية من كلام الله وكان الله قوياً عزيزاً .

— قلت : هكذا وردت الرواية ، وعندى أسباط قل كل ذلك ، ولعلها قالت : « وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِهِمْ أَنْ يُعْطِيَهُمْ » ، لا غير ، وإلا كيف يواطىء كلامها آية من كلام الله تعالى أرب بعد الحديث واحتقن بعد أحد ! هذا من العهد حدّا .

قال : فقالت لها عائشة : فمن هؤلاء ؟ قالت : أحنى وأسى ورؤحى فلى ، وت

فأين يذهبون بهم ؟ قالت : إلى المدينة أقدمهم . « حنّ حنّ » ترحّل يديرها ، فركب البعير ، فقالت عائشة : لنقل ما حمل ، قالت هند : مدرك به ، لربما حمل ما يحمله البعير ، ولكي أراه لغير ذلك ، فحرثته فقام ، فلما وحيته به إلى المدينة برك ، فوحيته راحته إلى أحد ، فأسرع ، فرجعت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته بذلك ، فقال : إنّ الجبل للأمر ، هل قال عمرو شيئا ؟ قالت : نعم ، إنه « وحه » إلى أحد استقل القفلة ، ثم قال : اللهم لا تردني إلى أهلي ، وورزقي الشهادة : فقد صلى الله عليه وسلم : فلذلك الجبل لا يعصى ، إنّ مسك بامعشر الأنصار من لو أقسم على الله لأدره ، منهم عمرو بن الجوح ، يا هند ، ما زالت الملائكة مظلة على أحيك من من قُتل إلى الساعة ، ينظرون أين يدفن ! ثم مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم في قدم ، ثم قال : يا هند ، قد تراصوا في الجمة

جميعاً ؛ عمرو بن الجحوم نكث ، وحلّاد ابنك ، وعبد الله أحوك . فمالت هند : يا رسول الله ،
فادع الله لي عسى أن يحفظني معهم .

قال الواقدي : وكان جابر بن عبد الله ، يقول : اصطح ناسٌ يوم أحد الحرة ، منهم
أبي ، فقتلوا شهداء .

قال الواقدي : وكان حارثٌ يقول : أزل قتيلاً من المسلمين يوم أحد أبي ، فقتله سعيان
ابن عبد شمس أبو الأعور السلمي ، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل الهزيمة .

قال الواقدي : وكان حارثٌ يحدث ، ويقول : استشهد أبي ، وحملت تحتي تبكي ،
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما يبكيها ! ما زالت الملائكة تظلل عليه بأجمعتها
حتى دُفِن .

قال الواقدي : وقال عبد الله بن عمرو بن حرام : رأيتُ في النوم ، قال يوم أحد
بأيام مشر بن عبد المذر ، أحد الشهداء بدر ، يقول لي : أنت قادم عليهما في أيّام
فقت : فأين أنت ؟ قال : في الحفة سرح مهاجيت نشاء ، فقات له : أنه تقتل يوم
بدر ؟ قال : بلى ، ثم أحييت ، فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هذه
الشهادة يا جابر » .

قال الواقدي : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ادفوا عبد الله بن عمرو
ابن حرام وعمرو بن الجحوم في قبر واحد ، ويقال : إنهما وجدوا وقد مُثل بهما كلٌّ مُثْلَةً
قطعت آرابهما^(١) عصوا عضواً ، فلا تعرف أئدهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم :
« ادفنوهما في قبر واحد » ، ويقال : إنما أمر بدفنها في قبر واحد ، لما كان بينهما من

(١) الأراب : جمع ربت ، بالكسر والكون ، وهو الصو .

الصفا، فقال : ادفنوا هذين المتحائنين في لديسا في قبر واحد .

وكان عبد الله بن عمرو بن حرام رجلاً أحمر أصبغ ، ليس بالطويل ؛ وكان عمرو ابن الجحوح طويلاً ، فعرفا ودخلا السيل بعد عبيهما ، وكان قبرهما مما يلي السيل ، فحفر عبيهما ، وصيهما يمرتان وعبد الله قد أصابه جرح في وجهه ، فبذء على وجهه^(١) ، فأمبطت يده عن جرحه ، فصب^(٢) الدم ، فردت إلى مكاه فكن الدم .

قال الواقدي : وكان جابر بن عبد الله يقول : رأيت أبي في حفرة ، وكأنة قائم ، وما تغير من حاله قليل ولا كثير ؛ فقيل له : أفرأيت أكرمائه ؟ قال : إنما كفن في نمرة^(٣) خمرها وجهه ، وعلى رجليه الحرمل فوجدنا النمرة كاهي ، والحرمل على رجليه كهيئة ، وبين ذلك وبين وقت دفنه ست وأربعون سنة ، فشاوهم جابر في أن يطليه بمسك ، فأبى ذلك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا . لا نحدثوا فيهم شيئا .

قال : ويقال إن معاوية لما أراد أن يخرج المين إلى أحدثها بالمدينة ، وهي كطامة نادى مباديه بالمدينة : من كان له قتيل يأخذ فليشهد . فخرج الناس إلى قتلام فوجدوا رطابا يتشون ، فأصابته السمعة رجل رجل منهم ، فتمست دما ، فقال أبو سعيد الخدري : لا ينكر بعد هذا مسكر أبدا .

قال : ووحد عبد الله بن عمرو بن حزام وعمرو بن الجحوح في قبر واحد ، ووحد خارجة ابن ريد بن أبي رهير وسعد بن الربيع في قبر واحد ، فمما قبر عبد الله وعمرو الخول ، وذلك أن القمأة كانت تمر على قبرها ، وأما قبر خارجة وسعد فترك ، وذلك لأن مكانه كان معتزلاً ، وسوى عليهما التراب ، وقد كانوا يحفرون التراب ، فكلما حفروا قفرة من تراب ، فاح عليهم المسك .

(٢) صب الدم : سال

(١) : « خرحه » .

(٣) النمرة : برقة من صوف .

قال : وقالوا : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لخمار : يا جابر ، ألا أبشرك ؟ فقال : بلى ، يا بلى وأنتى ! قال : فإن الله أحب أباك ، ثم كلمه كلاما ، فقال له : تمنى على ربك ما شئت ! فقال : أتمنى أن أرجع وقتل مع سيك ، ثم أحيا فأقتل مع سيك ، فقال : إني قد قضيت أنهم لا يرجعون .

قال الواقدي : وكانت نسيبة بنت كعب أم عمارة بن عريثة بن عمرو قد شهدت أحدا ، وروحها^(١) عريثة واسماها عمارة بن غريفة وعنده الله بن زيد ، وحرحت ومعهما ش^(٢) لها في أول النهار تريد أنقى الحرثى ، ففانت يومئذ وأملت بلاء حسا ، فحرحت اثني عشر حرجا بين طعمة بروج أو صرمة سيف ، فكانت أم سعد بنت سعد بن الزبيع تحدث ، فتقول : دخلت عليها ، فقالت لها : يا حالة ، حدثيني حديثك ، فقالت : حرحت أول النهار إلى أحد ، وأما **البر ما يصبح** **البر ما يصبح** ، ومعنى سقاء فيه ماء ، فانهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في لصحة والدولة والريج للمسلمين ، فمما اهرم المسلمون ، انحوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحطت أناس القفال ، وأدب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باستيف ، وأرمى بالقوس ، حتى حصلت إلى الخراج ، ورأيت على عاتقها حرجا أحوف له عور ، فقتل . يا أم عمارة ، من أصابك بهذا ؟ قالت : أقل ابن فيثنه ، وقد وثى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصيح : دلولي على محمد ، لا بجوت إن يجا ! فاعترض له مصعب بن عمير وناس معه ، فكنت فيهم ، فصرى هذه الصرمة ، ولقد صرته على ذلك صرّاب ، ولكن عدو الله كان عليه درّعال ، فقتل لها : يدك ما أصابها ؟ قالت : أصيبت يوم البجامة ، لما حطت الأعراب تهزم بالنس ، نادت الأنصار : اخلصوا ، فخلصت الأنصار ، فكنت معهم ، حتى انتهينا إلى حديقة الموت ، فاقتلنا عليها ساعة ، حتى قتل أبو دجاجة على باب الحديقة ، ودخلتها

(١) كذا في الواقدي ، وفي ب : « وتزوجها » .

(٢) الشن : الفرقة الملقى الصبرة ، يكون فيها الماء أبعد من غيرها .

وأنا أريد عدو الله مُسيلمه ، فيعرض لي رجل ، فصررت يدي ، فقطعتها ، فوالله ما كانت ناهية ، ولا عرجت عليها ، حتى وقفت على الحديث مقتولاً ، واسبى عبد الله بن زيد المازني يمسح سيفه ثياباً ، فقمت : أفتلته ؟ قال : نعم ، فسجدتُ شكراً لله عز وجل وانصرفت .

قال الواقدي : وكان صمزه بن سعيد يحدث عن حديثه ، وكانت قد شهدت أحدًا تسقى الماء ، قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يومئذ : لمقام نسيه ست كعب اليوم حبرٌ من مقام فلان وفلان . وكان يراها يومئذ تقابل أشدَّ قتال ، وبيتها لحاحرة ثوبها على وسطها ، حتى حرحت ثلاثاً عشر حرجاً .

قلت : ليت ارتأوى لم يكن هذه الكفاية ، وكان يذكرها باسمها حتى لا يترامى العلون إلى أمور مشبهة ! ومن أمانة المحدث أن يذكر الحديث على وجهه ولا يكممه منه شيئاً ، فما بالله كم اسم هذين الرحاين .

قال : فلما حضرت أسببه^(١) الوفاة ، كنت فيس عنها فمددت حراحي حرجاً جرجاً فوحدتها ثلاثة عشر ؛ وكانت تقول : بي لأنظر إلى ابن فميثة وهو يصرها على عاتقها - وكان أعظم حراجها ، لقد داونه سنة - ثم ناي منادى النبي صلى الله عليه وسلم بعد انقضاء أحد : إلى حراء الأسد ! فشدت عيها ثيابها ، فما استطاعت من رفق الدم ، ولقد مكثنا ليلتنا سكمد الحراج ، حتى أصبحنا ، فلما رجع رسول الله من حراء الأسد ، لم يصل إلى بيته حتى أرسل به عبد الله بن كعب المازني يسأل عنها ، فرجع إليه فأخبره سلامتها ، فسر بذلك .

قال الواقدي : وحدثني عبد الجبار بن عمار بن عريفة ، قال : قالت أم حمار

(١) الواقدي : « وما حصرتها » .

لقد رأيتني وانكشف الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فما بقي إلا أنفجر ما يتشور عشرة ، وأما وأبائي وروحي بين يديه نذبت منه ، والناس يخرشون عنه مهزمين ، فرآني ولا ترس معي ، ورأى رجلاً مولياً معه ترس ، فقال : يا صاحب الترس ، ألق ترسك إلى من يقاتل . فألقى ترسه فأحدثه ، فحملت أنرمس به على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وإما حمل بما الأفاعيل أمحاب الحبل ، ولو كانوا دحانة مشاة أصنافهم ، فيقبل رجل على فرس ، فصربي وترسنت له ، فلم يصع سيفه شيئا ، وولّى وأصرب عرقوب فرسه ، فوقع على ظهره ، فحمل النبي صلى الله عليه وسلم بصبح : يا سحرارة ، أمك أمك ! قالت : فعاونني عليه حتى أوزدته شئوب^(١)

قال الواقدي : وحدثني ابن أبي سبرة ، عن عمرو بن يحيى ، عن أبيه ، عن عبد الله بن ريد المازني ، قال : خرجت يومئذ حراحي عسدي يديري ، صربي رجل كأنه ارتفل ولم يرج على ، ومضى عني ، وحمل الدم لا يرفق ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اعصب حراحت ، فتقبل أمي إلى ، ومعها عصائب في حقوبها قد أعدتها للحراح ، فرطت حراحي واسبي صلى الله عليه وسلم واقف ببطر ، ثم قالت : اسهس ياسي ، فصارب القوم ، وحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ومن يضيق ما نطيقين يا أم سحرارة ! قالت : وأقبل الرجل الذي صربي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا صارب أمك ، فاعترضت أمي له ، فصربت ساقه ، فبرك ، ورأيت النبي صلى الله عليه وسلم تسم حتى بدت بواجذه ، ثم قال : استقدت يا أم سحرارة . ثم أقبلنا صلوه^(٢) بالسلح حتى أتينا على نفسه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الحمد لله الذي طفرك وأقر عيبك من عدوك ، وأراك تارك بعينك !

(١) شئوب : اسم اللبة .

(٢) ب : « صلوه » ، والصواب ما أثبتته من الواقدي .

قال : الواقدي وروى موسى بن ضمرة بن سعيد ، عن أبيه قال : أتى عمر بن الخطاب في أيام خلافته بمروط^(١) كان فيها مِرْطٌ واسع جيد فقال بعضهم : إن هذا المِرْطَ يشمن كذا ، فلو أرسلت به إلى زوجة عبد الله بن عمر صفية بنت أبي عبيد ، وذلك حدثان^(٢) ما دخلت على ابن عمر ، فقال : بل أبعث به إلى من هو أحقّ منها ، أمّ عمارة سيدة بنت كعب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد يقول : ما التفت يمينا وشمالا إلا وأبأ أراها تقاتل دوني .

قال الواقدي : وروى مزوان بن سعيد بن مَعْلَى ، قال : قيل لأمّ عمارة : يا أمّ عمارة ، هل كنّ ساء قريش يومئذ يقاتلن مع أرواحهنّ ؟ فقلت : أعود بالله ، لا والله ما رأيت امرأة منهنّ رمت بسهم ولا حطرت ، ولكن رأيت معهنّ الدّفاف والآكار يصرن ويدكرن القوم قتلى بدر ، ومعهنّ مكاحل وسراود ، فكلما ولّى رجل أو تكعكع ناولته إحداهنّ صرودا ومكحلة ، ويقلن : يا ثمت امرأة ، ولقد رأيتنّ ولدين منهنّ مشتمرات ، ولها عنهنّ الرّحال أصحاب الحيل ، ونحوها على متن حيلهم ، وحملنّ يسمنّ الرّحال على أقدامهنّ ، فجعلنّ يستطعنّ في الطريق ، ولقد رأيت هذا بنت عتبة ، وكانت امرأة ثقيلة ، ولها خلق ، قاعدة خاشية من الحيل ، ما بها مشى ، ومعها امرأة أخرى ، حتى كثر القوم عليها ، فأصابوا منها ما أصابوا ، فعند الله بحسب ما أصابا يومئذ من قتل الرماة ومعصيتهم لرسول^(٣) الله صلى الله عليه وسلم .

قال الواقدي : وحدثني أسد أبي سبرة ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صعصعة ، عن الحارث بن عبد الله ، قال : سمعتُ عبد الله بن زيد بن عاصم ، يقول . شهدتُ أحدا

(١) المِرْط ، بالكسر : كساء من صوف أو حر أو كان يؤمر به ، ورعا منه المرأة على رأسها ومنلع به وجهه مروط .
(٢) حدثان الأمر : اجتازاه .
(٣) ١ : « الرسول » .

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصا تفرق الناس عنه ، دعوت منه ، وأمي تدب عنه ، فقال : يا بن عمارة ، قلت : نعم ، قال : ارمي فرميت بين يديه رجلا من المشركين بحجر ، وهو على فرس ، فأصابت عين الفرس ، فاضطرب الفرس حتى وقع هو وصاحبه ، وجعلت أعلوه بالحجارة ، حتى نصبت عليه منها وقرا ، والنبي صلى الله عليه وسلم ينظر إلى ويتنسم ، فمطر إلى جرح أمي على عاتقها ، فقال : أمتك أمتك ! اعصب جرحها ، بارك الله عليكم من أهل بيت ! لمقام أمتك خير من مقام فلان وفلان ، ومقام ربيبك - يعنى روج أمه - خير من مقام فلان ، رحمكم الله من أهل بيت ! فقالت أمي : ادع لنا الله يا رسول الله أن يرافقك في الجنة ، فقال : « اللهم احملهم رضى و الجنة » ؛ قالت : فما أمانى ما أصابى من الدنيا .

قال الواقدي : وكان حنظلة بن أبي عامر تزوج حميلة بنت عبد الله بن أبي بن سؤل ، فأدخبت عليه في الليلة التي في صبيحتها قتال أحد ، وكان قد استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيت عندها ، فأذن له ، فمما صبح أصبح عدا يريد النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فمرته حميلة ، فعاد فكان معها ، فأحسب منها ، ثم أراد الخروج ، وقد أرسلت قبل ذلك إلى أربعة من قومها ، فشهدتهم أنه قد دخل بها ، فقبل لها بعد : لم أشهدت عليه ؟ قالت : رأيت كأن السماء خرجت ، فدخل فيها ، ثم أطعمت . ففقت هذه الشهادة ، فأشهدت عليه أنه قد دخل بي ، فعليقت منه بعد الله بن حنظلة ثم تزوجها ثات بن قيس بعد ، فولدت له محمد بن ثابت بن قيس وأحد حنظلة بن أبي عامر سلاحه ، فالحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد ، وهو بسوى الصعوف ، فلما اكشف المشركون ، اعترض حنظلة لأبي سفيان بن حرب ، فصرع عرقوب فرسه ، فاكسعت الفرس ، ووقع أبو سفيان إلى الأرض ، فحمل يصيح : يا معشر قريش ، أما أبو سفيان بن حرب ! وحنظلة يريد دحاه بالسيوف ، فسمع الصوت رجلا لا يلتفتون إليه من المريمة ، حتى عاينه الأسود بن شعوب ، فحمل على حنظلة بالرمح ،

فأنفذه ، ومشي حطلة إليه في الريح فصر به صيحة فقتله ، وهرب أبو سفيان يعدو على قدميه ، فلاحق بعض قریش ، فبرل عن صدر فرسه ، وردف وراءه أبا سفيان ، فذلك قول أبي سفيان يذكر صوته ووقوفه وأنه لم يفر ، وذكره محمد بن إسحاق ^(١) :

ولو شئتُ نَحْتَفِي كَمِيتٌ طِمْرَةٌ ولم أحمل السماءَ لأنَّ شعوبَ ^(٢)
ومارال مُهْرِي مزجر الكلب فيهمُ لأنَّ عُدُوَّةً حَتَّى دَتَ لُروِبَ ^(٣)
أفاناهم وأدعى يالَ غالبِ وأدفعهم عني بركنِ صليبِ ^(٤)
فكُنِّي ولا تَرعَى مَقَالَةَ عاذِلِ ولا نسامي من عَصْرِهِ ونَجِيبِ
أباك وإخواناً لسا قد تناسروا ^(٥) وحسبُ لهم من حِمرَةٍ بدِصِيبِ
وسلَّى الذي قد كان في النفسِ إتييَ فقلتُ من النَحَارِ كلَّ نَجِيبِ
ومن هاشمٍ قرماً كريماً ومُصَلِّةً وكانَ لَدَيَّ المِيعَاءُ عَيرَ هَيُوبِ ^(٦)
ولو أني لم أشعِرْ نَفْسِي مِنْهُمْ لكانتْ حِطَلَتِي الصَّدْرَاتِ بَدُوبِ ^(٧)
فأبوا وقد أودى الجلابيبُ منهم هم كد من راحمٍ وكثيبِ ^(٨)
أصابهم من لم يكن لدمائهم كِفَاءً ولا في سِجِّهِم بَضْرِبِ ^(٩)

قال الواقدي : مرَّ أبو عامر الراهب على حطلة أبا وهو مقتول إلى حسب

(١) سيرة ابن هشام ٣ : ٧١ ، ٧٢

(٢) الطمرة : الفرس السريعة الوثب ، وفي الأصول : « النمل » تحريف .

(٣) ابن هشام : « منهم » ، ومرحرا الكلب ، يريد أنه قريب ، والصير في « دت » يعود إلى الشمس .

(٤) صليب : شديد قوى . (٥) ابن هشام . « وإخواناً له » .

(٦) القرم في الأصل : الفعل المكرم من الإبل ، وعنى به هاشم حرة من عبدة المثلث . والصعب : الفعل من الإبل أيضاً .

(٧) النعوب : آثار المروح .

(٨) الجلابيب : الجماعات . وفي ابن هشام :

« بهم حذبٌ من مُعِيطٍ وكثيب »

(٩) في ابن هشام : « ولا في سِجِّهِم بَضْرِب » .

حمزة بن عبدالمطلب، وعبد الله بن جحش : فقال : إن كنت لأحذرك هذا الرجل - يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم - من قبل هذا مصرع، والله إن كنت لبراً بالوالد ، شريف الخلق في حياتك ، وإن مما تلت لم سراء أحمك وأشرافهم ، إن جرى الله هذا القتل - يعني حمزة - خيراً ، أو جرى أحداً من أصحاب محمد خيراً ، فليحرك ، ثم مادي : يا معشر قريش ، حظلة لا يمثل به ، وإن كان خدي وحامكم ، فلم يأت الله فيما يرى خيراً ، فقتل بالناس وترك حظلة فلم يمثل به .

وكانت هذبت عتبة أول من مثل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وأمرت النساء بالمثل ، ونذع الأوف والآذان ، فلم تنق امرأة إلا عليها معصداً^(١) ومسكتان^(٢) وخدمتان^(٣) إلا حظلة لم يمثل به ، وقد رسول الله صلى الله عليه وسلم . « إن رأيت الملائكة تصل حظلة بن أبي عامر بين السماء والأرض ماء المرن في صحف العيصه » ؛ قال أبو أسيد الساعدي : فذهبا فمطرنا إليه ، فودا رأسه فمطر ماء ، فرحمت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحبرته ، فأرسل إلى امرأته فسلها ، فأحبرته أنه خرج وهو حبس .

قال الواقدي : وأقبل وهب بن قابوس الثوري ، ومعه ابن أخيه الحارث بن عتبة بن قابوس نعم لهما من حمل مربية ، فوجد المدينة جيلواً ، فسألا : أين الناس ؟ قالوا : بأحد ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل المشركين من قريش ، فقال : لا تنمى أثراً بعد عين ، فخرجا حتى أتيا النبي صلى الله عليه وسلم بأحد ، فبعدان القوم يقتلون ، والله لقرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فأعادرا مع اسمين في النهب ، وحامات الخيل من ورائهم حاله بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل ، فأحبط الناس ، فقاتلا أشد القتال ، فأهزقت فرقة من المشركين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لهذه العرقة ؟ فقال وهب بن قابوس : أنا يا رسول الله ، فقدم فرماهم تسبل حتى انصرفوا ، ثم رجع فأهزقت فرقة

(١) المعصدا : المصنع ، وهو حلي لباس في المعصم

(٢) المسكتان : الأسورة من القرون ونحوها (٣) الخدمه ، الخدم

أخرى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ لهذه الكتبة ؟ فقال المرئي : أنا يا رسول الله ، فقال : فقام فدهبها بالسيف حتى وثت ، ثم رجع فطلعت كتبة أخرى ، فقال النبي صلى الله عليه : مَنْ يقوم لمولاء ؟ فقال المرئي : أنا يا رسول الله ، فقال : قم وأبشر بالجنة . فقام المرئي مسرورا يقول : والله لا أقبل ولا أستقبل ، فجعل يدخل فيهم فيصرب بالسيف ورسول الله صلى الله عليه وسلم يطر إليه والمسلمون ، حتى خرج من أقصى الكتبة ؛ ورسول الله صلى الله عليه يقول : اللهم ارحمه ، ثم يرجع فيهم ، فما زال كذلك وهم محدقون به ، حتى اشتدت عليه أسباقيهم ورماحهم ، فقتلوه فوجدوه يومئذ عثرون ملعنة بالرماح ، كلها قد حلصت إلى مقتل ، ومثل به أفح الثل يومئذ . ثم قام ابنُ أخيه ، فقاتل كحمو قتاله ، حتى قُتل ، فكان عمر بن الخطاب يقول : إنَّ أحبَّ ميتة أموت عليها لما مات عليها المرئي .

قال الواقدي . وكان بلال بن الحارث امرئي يحدث يقول : شهدنا القادسية مع سعد بن أبي وقاص ، فمَّا فتح الله علينا ، وقدمت علينا غنائمنا ، أرفط فتى من آل قايوس من مربية ، فحشت سعدا حين فرغ من يومه ، فقن : بلال ! قلت . بلال ، قال : مرحبا بك ، مَنْ هذا معك ؟ قلت . رجل من قومي ، قال : ما أنت يا فتى من المرئي الذي قُتل يوم أحد ! قال : ابنُ أخيه . قال سعد : مرحبا وأهلا ، أحم الله بك عينا ! لقد شهدت من ذلك الرجل يوم أحد مشهداً ما شهدت من أحد قط ، لقد رأيتنا وقد أصدق المشركوننا من كل ناحية ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم وسطا ، والكتائب تطلع من كل ناحية ، وإنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمي ببصره في الناس يتوسمهم ، ويقول : مَنْ لهذه الكتبة ؟ كل ذلك يقول المرئي : أنا يا رسول الله ، كل ذلك يرد الكتبة ، فما أسي آخر مرة فها ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قم

وأشرف بالجنة ، فقام وقت على أثره ، يعلم الله أى أطيب مثل ما يطلب يومئذ من الشهادة ، فخصنا حوائجهم ، حتى رجعنا فيهم الثانية ، فأصابوه رحمه الله ، ووددت والله أنى كنتُ أصيت يومئذ معه ، ولكن أجل^(١) استأخر ، ثم دعا من ساعته نسمة فأعطاه وقضاه ، وقال : احتر في المقام عندنا أو الرجوع إلى أهيك ، فقال بلال : إنه يستحب الرجوع ، فرجع .

قال الواقدي : وقال سعد بن أبي وقاص : أئمتدُ رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا على المِزْبَةِ ، وهو مقتول ، وهو يقول : رضى الله عنك ، فأبى عنك راص ؛ ثم رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله قام على قدميه ، وقد ماله عليه السلام من ألم الحراح ما ماله ، وإبى لأعلم أن القيام يشق عليه على قبره ؛ ثم حتى وضع في الخدوع وعيه بُرْدَةٌ ، لها أعلام حمراء ، فهد رسول الله صلى الله عليه وآله العدة على رأسه ، فخره وأدرجه فيها طولاً ، فلما نصف ساقيه ، فأمرنا فحمتنا الحرمل ، فحملناه على رجليه وهو في الخدوع ، ثم انصرف فما حال أحسن إلى من أن أموت عليها وألقى الله عليها من حال المِزْبَةِ .

قال الواقدي : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أُحُد قد حاصم إليه يتيم من الأنصار أباً لبابة بن عبد المنذر عِدْقٍ بينهما ، فضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى لبابة ، فجزع اليتيم على العِدْق ، فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم العِدْق إلى أبى لبابة لليتيم ، فأبى أن يذمه إليه ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأبى لبابة : ادعه إليه ولك عِدْق في الجنة ، فأبى أبى لبابة ، وقال : أنت^(٢) من أبى الدحداحة : يا رسول الله ؛ أرايت إن أعطيت اليتيم عِدْقَه من مالى أقال : لك به عِدْق في الجنة ، فذهب ثابت بن الدحداحة ، فاشترى من أبى لبابة ذلك العِدْق بمديقة نحل ، ثم رد العِدْق إلى الغلام ،

(١) الواقدي : « أحلى استأخر » . (٢) كذا في الاستيعاب ١ : ٢٠٣ .
(١٨ - ١٩ هـ)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ربّ عذق مذنب ^(١) لائن الدحداحة في الجنة » ، فكانت ترجى له الشهادة بذلك القول ، فقتل يوم أحد .

قال الواقدي : ويقبل ضرار بن الخطاب فارساً يحرّ قنّاة له طويلة ، فيطعن عمرو بن معاذ ، فأفذه ، ويمشي عمرو إليه حتى غُيب ، فوقع لوحه ، قال : يقول ضرار : لا تدمن رحلا روتجك من الحور العين ، وكان يقول : زوجت يوم أحد عشرة من أصحاب محمد الحور العين .

قال الواقدي : سألت شيوخ الحديث : هل قتل عشرة ؟ قالوا : ما بلغنا أنه قتل إلا ثلاثة ، ولقد صرب يومئذ عمرو بن الخطاب حين جال للمسلمون تلك الجولة بالقنّاة ، وقال : يا ابن الخطاب ، إنها نعمة مشكورة ، ~~ما كنت لأقتل~~ .

قال الواقدي : وكان ضرار يحدث بعد ، ويذكر وقعة أحد ، ويذكر الأنصار فيترحم عليهم ، ويذكر عمام في الإسلام ، وشجعائهم وإقدامهم على الموت ، ثم يقول : لقد قتل أشرف قومي بدر ، فأقول : من قتل أبا الحكم ؟ فيقال ^(٢) : ابن صفراء . من قتل أمية بن خلف ؟ فيقال : حبيب بن بسف . من قتل حنّبة بن أبي معيط ؟ فيقال : عاصم بن ثابت . من قتل فلان بن فلان ؟ فيسألني من الأنصار ، من أسر سهيل بن عمرو ؟ فيقال : مالك بن الدحشم . فدا خرجنا إلى أحد ، وأنا أقول : إن قاموا في صياصيتهم فهي منيعة لا سبيل لنا إليهم ، هيم أيما تم نصرف ، وإن خرجوا إلينا من صياصيتهم أصننا منهم ، فإنّ معا عدداً أكثر من عددهم ، ونحن قوم موتورون ؛ خرجنا بالظنّ يذكّرنا قتل بدر ، ومعنا كراع ولا كراع معهم ، وسلاحنا أكثر من سلاحهم ، ففُضي لهم أن يخرجوا ، فالتفينا ، هو الله ما قتنا لهم حتى هزمنا وانكشفنا مولّين ، فقلت

(١) العذق بالفتح : النحلة . وبالكسر : المرحون بما فيه من الشارب ، وقد ورد في هذا الحديث

(٢) الواقدي : « قتال » .

في اللسان « عذق » .

في غشي : هذه أشد من وقعة بدر ، وحملت أقول لخالد بن الوليد : كرت على القوم ، فيقول : وترى وجها نكرا فيه ! حتى نظرت إلى الجبل الذي كان عليه الرماة خاليا ، فقلت : يا أبا سليمان ، انظر وراءك ، فمطف عنان فرسه ، وكررنا معه ، فأتينا إلى الجبل ، فلم نجد عليه أحدا له بال ، وجدنا نغيرا فصنم ، ثم دخلنا السكر ، والقوم غارون ينهبون عسكرنا ، فأقمنا الخيل عليهم ، فخطروا في كل وجه ، ووضعنا السيوف فيهم حيث شئنا ، وجعلت أطلب الأكابر من الأوس والخزرج قتلة الأحبة ، فلا أرى أحدا ، هربوا لما كان حلب ناقة حتى تداعت الأنصار إليها ، فأقبلت فمنا الطونا ومن فرسان ، فصبرنا لهم ، وصبروا لنا ، وبذلوا أنفسهم حتى عقر أعزسى ، وترحلت ، فقتلت منهم عشرة ؛ ولقيت من رجل منهم الموت النافع ، حتى أحدث ريح الدم ، وهو معاني ما يفارقى ، حتى أخذته الرماح من كل ناحية ، فوُلح ، فأخذ الله الذي أحكمهم بيدي ، ولم يهني بأيديهم .

قال الواقدي : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد : مَنْ له علم بذكوان ابن عبد قيس ؟ فقال علي عليه السلام : أنا رأيت برسول الله فارسا يرْكض في أثره حتى لحقه ، وهو يقول : لا نَحوتُ إِبْ نَحوتُ ! حمل عليه فرسه وذكوان راحل ، فصر به وهو يقول : حذها وأنا اس علاج ! فقتله ، فأهويت إلى الفارس ، فضربت رجله بالسيف ، حتى قطعنها من نصف العنق ، ثم طرخته عن فرسه فذقت عليه ، وإذا هو أبو الحكم بن أخس بن شريق بن علاج بن عمرو بن وهب التثقي .

قال الواقدي : وقال علي عليه السلام لما كان يوم أحد وجال الناس تلك الجولة : أقبل أمية بن أبي حذيفة بن النيرة ، وهو دارع منقح في الحديد ما يرى منه إلا عيناه ، وهو يقول : يوم بيوم بدر ! فيعرض له رجل من المسلمين ، فقتله أمية ، قال علي عليه السلام : وأصيد له ، فأضربه بالسيف على هامته ، وعليه بيضة ، وتحت البيضة يَمُفر ، فباصفى ،

وكنيت رجلاً قصيراً ، ويضربني بسيفه ، فأتيت بالدُرقة ، فلحج سيفه ، فأضربه ، وكان
درعه مشمّرة ، فأقطع رجله ، هوقع وجعل يعالج سيفه ، حتى حلّصه من الدُرقة ، وجعل
يناولني وهو يرك حتى نظرت إلى فتق تحت إبطه فأخشّ فيه بالسيف ، قال
فأنت ، وانصرفت .

قال الواقدي : وفي يوم أخذ اسمي رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : « أما ابن
المواتك » ، وقال أيضا :

أنا الذي لا كذب أنا ابن عبد اللطيف

قال الواقدي : لما عمر بن الخطاب يومئذ في رهط من المسلمين فمروا ، مر بهم أس بن الصخر بن ضمضم ثم أس بن مالك فقال : ما يتعدكم ؟ قالوا : قُتِل رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال : فما تصنعون بالحياة بعده ؟ فوموا فموتوا على ما مات عليه ، ثم قام ، خالد سبه حتى قُتِل ، فقال عمر بن الخطاب : إني لأرجو أن يمشي الله أمةً وحده يوم القيامة ، وأجد به سبعون ضربةً في وجهه ما عرف حتى عرفته أحته .

قال الواقدي : وقالوا : إن مالك بن النضر حرم على حارثة بن زيد بن زهير يومئذ وهو قاعد ، وفي حُسُونِهِ ^(١) ثلاثة عشر حراماً قد حصلت إلى مقتل ، فقال له مالك : أما علمت أن عمداً قد قتل ! قال حارثة : فإن كان محمد قد قتل ، فإن الله حي لا يُقتل ولا يموت ؟ وإن محمداً قد بلغ رسالته ربه ، فادع أمت مقاتل عن دينك .

قال : ومرة مالتك من الدخشم أيضا على سعد بن الربيع ، وبه اثنا عشر جرحا كلها قد خلصت إلى مقتل ، فقال : أعلنت أن عمدا قد قتل ! فقال سعد : أشهد أن عمدا قد بلغ رسالة ربه ، فقاتل أنت عن دينك ، فإن الله حي لا يموت .

(١) حثوة العطن : أسماؤه .

قال محمد بن إسحاق: وحدثني محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صَعَصعة المازني، أخو بني النَجَّار، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله يومئذ: مَنْ رَجُلٌ يَنْظُرُ مَا فَعَلَ سَعْدُ بْنُ الرَّيِّعِ، أَمْ الْأَحْيَاءُ هُوَ أَمْ فِي الْأَمْوَاتِ؟ فقال رجل من الأنصار: أنا أنظر يا رسول الله ما فعل، فنظر فوجده حريصاً في أمته، وبه رَمَقٌ، فقال له: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَمَرَنِي أَنْ أَنْظُرَ فِي الْأَحْيَاءِ أَمْ فِي الْأَمْوَاتِ فَأُبْدِغُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَنَ السَّلَامِ، وَقُلْ لَهُ: إِنْ سَعْدُ بْنُ الرَّيِّعِ يَقُولُ: جَرَأُكَ اللَّهُ حَبْرَاعَةً مَا جَزَى نَبِيًّا عَنْ أُمَّتِهِ وَأُبْدِغُ قَوْمَكَ السَّلَامَ عَنِّي، وَقُلْ لَهُمْ: إِنْ سَعْدُ بْنُ الرَّيِّعِ يَقُولُ لَكُمْ: لَا عَذْرَ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ يَخْلُصَ إِلَى سَيْكُمُ وَمَعَكُمْ عَيْنُ تَطَرُفٍ، قَالَ: فَمِ أَرْحَ صَدِّهِ حَتَّى مَاتَ، ثُمَّ جِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَرَرْتُهُ، فَقَالَ: لِلَّهِمَّ ارْصَ عَنْ سَعْدِ بْنِ الرَّيِّعِ.

قال الواقدي: وحدثني عبد الله بن محمد، عن الحارث بن العَصِيلِ الحِطِّي، قال: أَفْجَلُ ثَابِتِ بْنِ الدَّحْدَاحَةِ يَوْمَئِذٍ وَالْمَسْلُومِ أَوْ رَعٍ، قَدْ سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ، لِحِمْلِ بِصِيحٍ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، إِلَيَّ إِنِّي أَمَّا ثَابِتُ بْنُ الدَّحْدَاحَةِ إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ قَدْ قُتِلَ، فَبِإِنَّ اللَّهَ حَتَّى لَا يَمُوتَ! قَاتِلُوا عَنْ دِيْنِكُمْ، فَبِإِنَّ اللَّهَ مَعَكُمْ وَمَا صَرَّكُمْ؟ فَهَمَّ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، لِحِمْلِ يَحْمِلُ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ وَضَعَتْ لَهُمْ كَتِيبَةً حَشَاءً^(١) فِيهَا رُؤُوسُهُمْ: حَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، وَعُكْرَمَةُ بْنُ أَبِي حَنْظَلٍ، وَصَرَّارُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَجَعَلُوا يَنْأَوِشُوهُمْ، ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِ حَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِالرَّمْحِ فَطَعَهُ، فَأَنَدَبَهُ فَوَقَعَ مَيِّتًا، وَقُتِلَ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْأَنْصَارِ، هِيَ قَالَ: إِنْ هَؤُلَاءِ آخِرُ مَنْ قُتِلَ مِنْ مُسْلِمِينَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ.

وقال عبد الله بن الزُّبَيْرِ يَذْكُرُ يَوْمَ أُحُدٍ:

أَلَا ذَرَفَتْ مِنْ مُقْتَنِيكَ دُمُوعٌ وَقَدْ بَانَ فِي حِمْلِ الشَّيْبَابِ قَطُوعٌ^(٢)

(١) كَتِيبَةٌ حَشَاءٌ: كَثِيرَةٌ مُسَلِّمَةٌ.

(٢) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ٣: ١٠٤ - ١٠٦، وَبِهِ: «مَالِكُ بْنُ حَبِلٍ الشَّابُّ».

يا عراب البسين أسحمتَ أقدن^(١) تب مدب أمراً قد فعل^(٢)
 إنَّ للخير ولاشرَ مدى وسواء قمر مثير وثقل^(٣)
 كل حير وبعير رائيل وشارات الذاهر يلعبن بكل^(٤)
 ألبعا حنَّ عني آية فم من اشعر بشي دا العليل^(٥)
 كم ترى بالخير من تخججه وأكك ود أرب ورجل^(٦)
 وسراييل حصار شقق عن كده نوذر واني المنزل^(٧)
 كم قتلنا من كرم سدر وحيد الخدين مقدم نطال^(٨)
 صدق المتحدث فرم نال سير منطاط لاي وقع الأسفل^(٩)
 وصل الدهراس من سكره من كردن وهام كالخجل^(١٠)
 ايت أشاحي سدر شم ذو حنح حرج من وقع الأسفل^(١١)
 حين حطبت رنما توكسنا واستحز عمل في عدد الأذل^(١٢)
 ثم جهوا عند دا كز رنم رفس حنن نغدو في الخجل^(١٣)

(١) من هتام ٣ - ٩٦ - ٩٨ ، وره ٥

ما مدخل شذ قد فعل

(٢) اس هتام : * وكلا ذلك وحة وقيل *

(٣) من هتام : * لاجر * ، أي حين وأرب مص

(٤) الأسفل : موضع الرمال (٥) رونه من حشاه

* عنبر ملئت لدى وقوع الأسفل *

(٦) الدهراس ماء بجل أحد ، ود كردن جمع كردسه ، وهي ماءه بيل واحده ، حنن في حجم الخمام ، وروية اس هتام *

* بين أختاف وهام كالخجل *

(٧) الرنم : الصدر ، واستحز أقلل حسد ، وعد الأسف ر - عدد لأسهن ، خذف الماء

(٨) الرفس : صرف من الشئ المنريد ، وحنن صغر بعم

فَقَتَلْنَا النِّصْفَ مِنْ سَادَاتِهِمْ وَعَدَلْنَا مِثْلَ بَدْرِ فَأَعْمَدُوا
لَا أَلُومَ النَّفْسَ إِلَّا أَنَا لَوْ كَرَّرْنَا لَفَعَلْنَا الْمَقْتَعَلُ
بِسُيُوفِ الْهِنْدِ تَعْلُو هَامَهُمْ تَبْرَدُ الْغَيْظَ وَيَشْفِينُ الْغُلَّ (١)

قلت : كثير من الناس يعتقدون أن هذا البيت ليزيد بن معاوية ، وهو قوله : « ليت
أشياخي » ، وقال مَنْ أكره التصريح باسمه : هذا البيت ليزيد ، فقلت : له إنما قاله يزيد
متمثلاً لما حُمل إليه رأس الحسين عليه السلام ، وهو لابن الزبير ، فلم تسكن نفسه إلى
ذلك ، حتى أوضحت له ، فقلت : ألا تراء يقول : « جزع الخزرج من وقع الأسل » ، والحسين
عليه السلام لم تحارب عنه الخزرج ، وكان يابن أن يقول : « جزع بني هاشم من وقع الأسل » ؛
فقال بعض من كان حاضراً : لعله قاله في يوم الحرة ! فقلت : المنقول أنه أنشده لما حمل إليه
رأس الحسين عليه السلام ؛ والمنقول أنه شعر ابن الزبير ، ولا يجوز أن يترك المنقول
إلى ما ليس بمنقول .

وعلى ذكر هذا الشعر فإني حضرت وأنا غلام بالنظامية ببغداد في بيت عبد القادر
ابن داود الواسطي المعروف بالحب ، خازن دار الكتب بها وعنده في البيت باتكين الرومي
الذي ولي إربل أخيراً وعنده أيضاً جعفر بن مكى الحاجب ، فخرى ذكر يوم أحد وشعر
ابن الزبير هذا وغيره ، وأن المسادين اعتصموا بالجبل ، فأصعدوا فيه ، وإن الليل حال
أيضاً بين المشركين وبينهم ، فأنشدا ابن مكى بيتين لأبي تمام متمثلاً .

لَوْلَا الظَّلَامُ وَقَلَّةُ عَلَقُوا بِهَا بَاتَ رِقَابُهُمْ بِغَيْرِ قِلَالٍ (٢)

(١) رواية ابن هشام :

* عَدَلْنَا نَعَاوَهُمْ بَعْدَ نَهْلٍ *

(٢) ديوانه ٣ : ١٣٩ ، من قصيدة يمدح فيها المعصم ، وبذكر فتح الحرمية . وقلة الجبل : أعلاه ،
وجعه قلل وقلال .

فلبشكروا جُنتِ الظَّلامِ وذِرْوَدًا^(١) فهمُ لذِرْوَدَ والظَّلامِ موالِي^(٢)
 فقال باتكين : لا تقل هذا ؛ ولكن قل : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ
 بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأُمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ
 يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ مَرَقَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا
 عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٣) ، وكان باتكين ملداً ، وكان جعفر ساعده الله
 مغموصاً عليه في دينه .

﴿ ثم الجزء الرابع عشر من شرح نهج النبوة لابن أبي الحديد ﴾

وبله الجزء الخامس عشر ﴿

مركز تحقيق وتوثيق التراث الإسلامي

(١) ذرود بكسر الهمزة وسكون ثمانية وفتح الواو وآخره دال مهملة : اسم جبل .

(٢) سورة آل عمران ١٥٢

فهرس الموضوعات

باب الكتب والرسائل

صفحة

- ١ - من كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة
٦-
- ٢ - من كتاب له عليه السلام بعد فتح البصرة
٢١-٨
- ٣ - من كتاب له عليه السلام لشريح بن الحارث قاضيه
٢٥-٢١
- ٤ - من كتاب له عليه السلام إلى بعض أمراء جيشه
٢٦
- ٥ - من كتاب له عليه السلام إلى الأشعث بن قيس وهو عامل أذر بيجان
٢٨، ٢٧
- ٦ - من كتاب له عليه السلام إلى معاوية
٢٩، ٢٨
- ٧ - من كتاب له عليه السلام إلى معاوية أيضا
٣٢
- ٨ - من كتاب له عليه السلام إلى جرير بن عبد الله البجلي لما أرسله إلى معاوية
٣٣
- ٩ - من كتاب له عليه السلام إلى معاوية أيضا
٣٥-
- ١٠ - من كتاب له عليه السلام إلى معاوية أيضا
٤٠-٣٨
- ١١ - من كتاب له عليه السلام إلى معاوية أيضا
٤٤-٤١
- ١٢ - من كتاب له عليه السلام إلى معاوية أيضا
٤٥-
- ١٣ - من كتاب له عليه السلام إلى معاوية أيضا
٤٧
- ١٤ - من كتاب له عليه السلام إلى معاوية أيضا
٦٤-٥٢

٦٥٠-٦٤	القول في المؤمنين والكافرين من بني هاشم
٨٤-٦٥	اختلاف الرأي في إيمان أبي طالب
١٥٧-٨٤	قصة غزوة بدر
١٦٤-١٥٧	القول في نزول الملائكة يوم بدر ومحاربتها للشركيين
١٩٩-١٦٥	القول فيما جرى في الغنمة والأسارى بعد هزيمة قريش ورجوعها إلى مكة
٢٠٥-١٩٩	القول في تفصيل أسماء أسارى بدر ومن أسرم
٢٠٧-٢٠٥	القول في العظميين في بدر من الشركيين
٢٠٨-٢٠٧	القول فيمن استشهد من المسلمين بدر
٢١٢-٢٠٨	القول فيمن قتل بدر من الشركيين وأسماء قتلهم
٢١٣-٢١٢	القول فيمن شهد بدرا من المسلمين
٢٨١-٢١٣	قصة غزوة أحد



مركز بحوث وتوثيق التاريخ الإسلامي